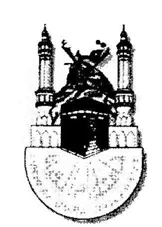


المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

مكة المكرمة



الأبحاث المقدمة إلى الندوة الكبرى

المقامة بمناسبة اختيار

مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ

المنعقدة في رحاب جامعة أم القرى بمكة المكرمة

خلال الفترة من ١٣– ١٥/٨/١٤٢٦هـ

الموافق ١٧– ١٩/٩/٢٠٠٥م

المحور الثاني

(الحياة الاجتماعية للمجتمع المكي)

ح جامعة أم القرى، ١٤٢٦هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

الندوة العلمية الكبرى

الندوة العلمية الكبرى بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .../ الندوة العلمية الكبرى - مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ

٣٦٢ ص ؛ ١٧×٢٤ سم

١ - مكة المكرمة - ندوات   أ. العنوان

ديوي ٩٥٣,١٢١٠٦٣   ٤٢٧٢ / ١٤٢٦

رقم الإيداع : ٤٢٧٢ / ١٤٢٦

ردمك : ٩ - ٧٨١ - ٠٣ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى



محتويــات المحور الثاني

الحياة الاجتماعية للمجتمع المكي:

المحور الثاني

الحياة الاجتماعية للمجتمع المكي



وظيفـــة الإفتـــاء في مكة المكرمة
خلال القرن العاشر الهجري
وأهميتها لدى سلاطين الدولة العثمانية

إعـــداد

أ . د . عـايض بـن خَـزَّام الـروقـــي

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

جامعة أم القرى – مكة المكرمة

بحث مقدم إلى ندوة

مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ



إن الشريعة الإسلامية هي المنهج الرباني الذي يسير عليه أبناء الإسلام من حكام ومحكومين وبالتالي فإن الدستور الإسلامي للدول والمجتمعات الإسلامية ينبثق من التعليمات السماوية التي جاءت في كتاب الله الكريم وسنة رسوله ﷺ .

وللشريعة الإسلامية دور نظري وعملي تلعبه في شئون الحياة الدنيا وأحداثها المتسارعة والمتشابكة حيث يتمثل الدور النظري للشريعة الإسلامية ومعالجتها للشئون الحياتية في إصدار الفتوى حيال هذه القضية أو تلك ، وهو ما يعرف بالإفتاء ويتصدى لهذه المهمة علماء متخصصون في الفقه الإسلامي المستند على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ويُعْرَف القائم بهذه المهمة – بالمفتي – وهو من يتولى مهمة الإفتاء الشرعي سواء بصفة رسمية أو شخصية ، من هنا يتبين أن المفتي هو الشخص الذي يستفتى ويستشار وفتواه لا تحتمل الرأي القطعي ، رغم أنها تبين وتشرح تلك القضية من الناحية الشرعية .

يقول ابن منظور في لسان العرب [١] :

" أفتاه في الأمر أبانه له ، ويقال أفتيت فلاناً رؤيا رآها إذا عبرتها له ، وأفتيته في مسألته إذا أجبته عنها ؛ وقال : الفتيا تبيين المشكل من الأحكام، وأفتى المفتي إذا أحدث حكماً ؛ وقال أبو إسحاق في قوله تعالى : { فاستفتهم أهم أشد خلقاً } أي فأسألهم سؤال تقرير أهم أشد خلقاً أم من خلقنا من الأمم السابقة ؛ وقوله عز وجل : { يستفتونك قل الله يفتيكم } أي يسألونك سؤال تعلُّم ؛ والفُتْيا والفتْوَى : ما أفتى به الفقيه . أ.هـ . " ؛ ويقول في المعجم الوسيط أفتى في المسألة أبان الحكم فيها ؛ ... والقوم إلى المفتي : تحاكموا

(١) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم أبن منظور الأفريقي المصري : لسان العرب ، باب الألف – فصل الفاء – المجلد الخامس عشر ، ص ١٤٧ ، دار صادر بيروت ، ب.ت.ن.

إليه ، واستفتاه : سأله رأيه في مسألة ، والفتوى الجواب عما يشكل من المسائل الشرعية أو القانونية ، وهي جمع فتاوى ، ودار الفتوى : مكان المفتي، والمفتي من يتصدى للفتوى بين الناس ، وهو فقيه تعيّنه الدولة ليجيب عما يشكل من المسائل الشرعية ، والجمع : مُفْتُون[1] .

–أما الجانب العملي للشريعة الإسلامية ومعالجتها للشئون الحياتية المختلفة فيتمثل في القضاء ، أي في إصدار الأحكام الشرعية المستندة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وبالتالي فإن حكم القاضي يتم تنفيذه من قبل ولي الأمر الذي كلفه بمهمة القضاء ، والقاضي يعتمد في مهمته هذه على إصدار الحكم الشرعي ويترك تنفيذه للأمراء والولاة ، ويُعرَف القائم بمهمة القضاء بالقاضي ومهمته تعتبر مهمة سياسية لأنه يمثل الدولة وولاة الأمر فيها – أي أن القاضي يمثل رجل الحقوق الذي يصدر الأحكام العادلة بين الناس ويعيد لهم حقوقهم وفق النصوص الشرعية ، وحكم القاضي في هذه الحالات قطعي يتم تنفيذه والعمل به بعد تمييزه من السلطة الشرعية والسياسية .

–وقد عَرَف العثمانيون هذين المفهومين منذ ظهورهم على مسرح التاريخ كأمة مؤثرة في المسار التاريخي والإنساني ، بيد أن القضاء كان هو الأسبق لدى العثمانيين حين ظهر مفهوم قاضي العسكر ، وبرز القضاة المركزيون مثل : المولا شمس الدين فناري قاضي بورصة ، وخضر بك جلال زاده قاضي العاصمة إستانبول ، وكان القضاة حينئذ يقومون بمهمة الإفتاء ، ومع تطور الدولة وإتساع رقعتها أصبحت الحاجة ملحة لوجود إفتاء مستقل ، وظهر ذلك جلياً مع إنتخاب فخر الدين عجمي ليكون مفتياً للدولة سنة ٨٣٤هـ/١٤٣٠م ، وقد لقب رئيس المفتين المخولين بالإفتاء بلقب – مفتي الأنام

---

(١) ابراهيم أنيس وآخرون : المعجم الوسيط ، باب الفاء ، ج٢ ، ص٦٧٣-٦٧٤ ب.م.ن : ب.ت.ن .

– والذي تحول فيما بعد إلى شيخ الإسلام[1] .

–وكان شيخ الإسلام في النظام العثماني يمثل المركز الثاني بعد الصدر الأعظم ، وكان واجب شيخ الإسلام الأصلي هو الإفتاء[2] ، وقد إكتسب شاغلو منصب مفتي الأنام الكثير من النفوذ والشأن وتقدموا في أهميتهم حتى باتوا يراقبون إنتخابات قاضي العسكر والقضاة في المدن والإيالات العثمانية[3] .

وقد أوصل بعض المؤرخين عدد من شغلوا منصب شيخ الإسلام إلى ١٧٥ شيخاً منهم من شغل المنصب لأكثر من ربع قرن ، بينما كان متوسط المدة للبقاء في منصب شيخ الإسلام هي ثلاث سنوات وأشهر ، وشغل هذا المنصب عدد من العرقيات غير التركية منهم العرب والبشناق والشركس والألبان[4] .

وقد أنشأ السلطان العثماني سليمان القانوني "٩٢٦–٩٧٤هـ/١٥٢٠–١٥٦٦م" مكتباً فنياً ألحقه بشيخ الإسلام وأطلق عليه المصطلح التاريخي " باب فتوى – أو – فتوى خانه" أي دار الإفتاء ، وكان يعمل بها جماعة من كبار العلماء يبحثون بصفة تمهيدية المسائل الشرعية التي يُطلَب إلى شيخ الإسلام إصدار فتاوى بشأنها ، وكان يرأس دار الإفتاء أحد كبار العلماء المرموقين

(١) حكمت قفلجملي : التاريخ العثماني رؤية مادية ، تعريب فاضل لقمان ، ص٢٧٨–٢٧٩ ، دار الجليل، ب.ت.ن. : ب.م.ن .

(٢) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ،ج٢، ص٤٧٢ ،منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ١٩٩٠م ، إسطنبول .

(٣) حكمت قفلجملي : المرجع السابق ، ص٢٧٩ .

(٤) يلماز آوزتونا : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٤٧٣ .

ويطلق عليه " فتوى أميني – أي أمين الإفتاء أو أمين الفتاوى " ،[١] وكانت الحكومة المركزية تتقدم بطلب رسمي إلى شيخ الإسلام لأخذ رأيه في مسألة معينة وتمر إجراءاتها الإدارية بعدة مراحل وإتصالات بين الوزراء المختصين وبين أمين الإفتاء ، الذي يبحثها بصفة مباشرة أو يحيلها إلى أحد معاونيه في الفتوى خانه .

ويرى أحد المؤرخين أن شيخ الإسلام كان يحظى بتقدير أكبر من الصدر الأعظم في الدولة العثمانية ، لأنه كان يمارس سلطاته في مجالات دينية لها وزنها وتقديرها في نظر الجميع ؛ " وتتصل إتصالاً مباشراً بالسياسة العليا للدولة فله وحده ودون سواه الحق في إصدار فتاوى تجيز الحرب التي تخوضها الدولة ، أو فتاوى بتقرير الصلح ، أو إبرام المعاهدات ، أو عزل السلطان الحاكم .. " [٢] ، ويؤكد هذه الحقائق أحد المؤرخين المعاصرين حين تحدث عن فتح قبرص من قبل الدولة العثمانية ، إذ يقول : " ... فكان أهل قبرص في أيام الدولة الشريفة العثمانية مهادنين يدفعون إلى الخزانة العامرة السلطانية ما كان مقرراً عليهم ، غير أنهم أخذوا في المكر والخداع وإظهار الإطاعة والوفاق وإخفاء الغدر والشقاق ، فصاروا يقطعون الطريق في البحر على المسلمين ، وإذا أخذوا سفينة من سفائن المسلمين قتلوا جميع من ظفروا به في تلك السفينة لإخفاء ما فعلوه ، وصاروا يؤون قطّاع الطريق من النصارى ويساعدونهم على المسلمين إلى أن كثُر أذاهم وعمَّ ضررهم ، فأستفتى المرحوم السلطان سليم خان من المرحوم مفتي الإسلام مولانا أبي السعود

---

(١) عبدالعزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، ج١ ص٤٠٨ مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ،ط ١٩٨٠م

(٢) عبدالعزيز محمد الشناوي : المرجع السابق ،ج١ ،ص٤٠٩–٤١٠ .

أفندي العمادي رحمهما الله تعالى فأفتاه بأنهم غدروا ونقضوا العهد وأن قتالهم جائز بسبب ما ارتكبوه من الغدر والخيانة ، فجهّزَ عليهم حضرة السلطان سليم جيشاً كثيفاً وعسكراً منصوراً منيفاً أرسلهم من البر وعمارة عامرة من جانب البحر ..." [1]ـ

وبما أن المفتين كانوا يشكلون قطاعاً مهماً في الهيئة الإسلامية داخل الدولة العثمانية ، فإنهم كانوا يُعَيَّنون في المدن المهمة ويقومون بمهام مناصبهم بجانب القضاة وربما يظلون في مناصب الإفتاء مدى الحياة دون التقيد ببلوغهم سناً معينه ، وكانت مهمتهم إصدار الفتوى في ضوء مذهب الإمام أبي حنيفة ، حتى بات " مفتو الأنام " هم أصحاب الكلمة المسموعة والرأي الراجح في عاصمة الدولة وولاياتها المختلفة ، ورغم وجود السلطان العثماني على قمة نظام الحكم في الدولة العثمانية ، فقد كان يلتزم قبل تنفيذ أي إجراء سياسي مهم بالحصول على فتوى من المفتي – شيخ الإسلام – بأنه يتماشى مع الشريعة الإسلامية ، وكثيراً ما أدى رفض المفتي إلى إرغام السلطان على العدول عن المشروعات أو الإجراءات التي كان يود إعتمادها ، حتى أن بعض المؤرخين ذهب إلى أن المفتي كان يتمتع بسلطة دستورية من شأنها أن تقيد سلطة السلطان العثماني ، بمقتضى حق الرفض ، حيث كان بإستطاعته أن يرفض قرارات السلطان ، ولا سيما إذا كان السلطان ضعيفاً ولا يملك شعبية تؤهله للتفوق في إتخاذ قراراته وكسب المفتي إلى جواره [2] ، وبذلك كان

---

(١) قطب الدين الحنفي : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ص٣٠١-٣٠٢ ، مطبوعات المكتبة العلمية بمكة ١٣٧٠هـ .

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : أصول التاريخ العثماني ،ص١٠٨-١٠٩ ،الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، دار الشروق ، القاهرة .

الناس يلجأون إلى المفتين للأخذ بفتاويهم حول القضايا المختلفة ومعرفة موقف الشريعة الإسلامية منها ، والمفتي يكتب رأيه كتابة على ورقة رسمية خاصة به لعرضها على الجهات الحكومية ، وبذلك يأخذ المواطن هذه الفتوى أو تلك ويقدمها كمستند شرعي يدعم موقفه في القضية ، وعادة تتمكن مثل هذه الفتاوى أن تحسم القضية لصالح حامليها ، وبالتالي فإن المفتين بموقفهم الشرعي هذا باتوا يقدمون للدولة أرقى وأجل الخدمات ، فقدموا لها بصفتهم حراس الشريعة قوة الإسلام الحقيقية التي هي أعظم قوة روحية عملت في هدوء ومثابرة وإستمرار على تماسك الدولة العثمانية ومجتمعاتها الإسلامية دون أن تتعرض هذه القوة الروحية لهزات أو تغييرات ، بل مضت في طريقها تطبع العثمانيين وحياتهم الخاصة والعامة بالطابع الإسلامي العميق .

ومنذ أن وصل العثمانيون إلى مصر في أوائل سنة ٩٢٣هـ/أوائل سنة ١٥١٧م أدركوا أهمية مكة المكرمة ، وأهمية علمائها لدولتهم سواء في المشرق العربي عامة أو في الجزيرة العربية بشكل خاص ، وحين عزم السلطان سليم الأول – ياووز – "٩١٨–٩٢٦هـ/١٥١٢–١٥٢٠م" على تجهيز جيش عثماني من مصر إلى مكة المكرمة لضمها للدولة العثمانية التي فرضت سلطتها على مصر ، كان قاضي الشافعية بمكة المكرمة وأبرز علمائها وفقهائها القاضي " صلاح الدين محمد بن أبي السعود بن ظهيرة " معتقلاً بمصر منذ أيام السلطان الغوري ، لكن السلطان العثماني سليم أطلقه من معتقله عندما دخل مصر ، فلما عرف القاضي ابن ظهيرة بتجهيز الجيش العثماني إلى مكة سارع للإجتماع بوزير السلطان سليم الأول وشرح له عظمة مكة وأهلها ومكانة أميرها الشريف بركات بن محمد ، وأنه من المؤيدين للدولة وللسلطان العثماني ، ثم كتب القاضي ابن ظهيرة إلى الشريف بركات

يعلمه بما جرى في مصر ويطلب منه إرسال أبنه محمد أبي نمي للحضرة السلطانية في مصر كما كتب السلطان سليم كتاباً مماثلاً للشريف بركات ، والذي سارع بإرسال إبنه محمد أبي نمي إلى مصر لمقابلة السلطان سليم الأول وإعلان الولاء له ولدولته [١] .

وفي منتصف جمادى الآخرة سنة ٩٢٣هـ/ أواخر ١٥١٧م ، وصل إلى مصر محمد أبي نمي ابن الشريف بركات وقدم التهنئة والولاء للسلطان العثماني وقابله السلطان بالتقدير والإحترام وخلع عليه الخلع والهدايا القيمة ، ثم أعاده شريكاً لوالده في ولاية مكة وأعطى أمراً للشريف بركات بن محمد بأن يكون أميراً لمكة المكرمة بدلاً من الباشا السابق وأضاف له نظارة الحسبة [٢] ، ويصف لنا أحد المؤرخين الأتراك إعتماداً على الوثائق العثمانية ، تلك الحادثة التاريخية التي تمثلت في الإحترام والتقدير الذي منحه السلطان العثماني سليم الأول للشريف محمد أبي نمي أبن أمير مكة الشريف بركات بن محمد والتي تعطي إنطباعاً خاصاً عن إحترام السلطان العثماني ورجال دولته لأهل مكة وأمرائها وعلمائها ، حيث يقول ذلك المؤرخ : " إن مجئ الشريف أبو نمي بن بركات إلى مصر كان في ١٣ جمادى الآخرة سنة ٩٢٣هـ آب ١٥١٧م وقد أمر السلطان بإستقباله والترحيب به وأنزل ضيفاً في المكان المخصص له وبعد تقديم الهدايا التي جلبها الشريف أبو نمي إلى الديوان في اليوم السادس عشر من الشهر نفسه ، أي بعد ثلاثة أيام من

---

(١) السيد أحمد بن زيني دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ص٥٠،ط١ ، ١٣٠٥هـ ، المطبعة الخيرية بالقاهرة .

(٢) محمد بن أحمد بن إياس الحنفي : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، ج٥ ص١٩٠-١٩٣ ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

مجيئه، حيث جلس على المقعد الموضوع بين قاضي العسكر والوزير الأعظم يونس باشا ، أما أبن عمه الشريف عرار الذي جاء معه بصفة رسول فقد جلس على كرسي في الجهة المقابلة ، وبعد سماع مذاكرة الديوان وإنتهاء أعماله قوبل أبونمي من قبل السلطان حيث قدم له الهدايا التي جلبها ، وخلال فترة ضيافة أبو نمي ورسوله كان يذبح ثلاثون خروفاً يومياً كما أمنت بقية إحتياجاتهم بشكل زائد ، وفي ٢٢ جمادى الاخره مثل الشريف أبو نمي في حضرة السلطان للوداع وقد ألبس الخلعة مع هدايا كثيرة ، كما صرف لأمير مكة راتب من خزينة مصر " [١] .

من هنا يتبين لنا أن تعامل العثمانيين مع أهل مكة المكرمة كان من خلال وجهة نظر القاضي صلاح الدين أبن أبي السعود أبن ظهيرة ، وهو ما تمثل في إرسال السلطان العثماني هداياه إلى مكة المكرمة وأعيان الأشراف فيها ، كي توزع على فقرائها مع كثير من الصدقات ، كما رتب لهم الغلال والهبات المتنوعة والتي ترسل لهم سنوياً وبصفة منتظمة على أن يتم توزيعها عن طريق القاضي وأمير مكة المكرمة .

ولقد كانت وظيفة المفتي تختلف كثيراً عن وظيفة القاضي ، فوظيفة القضاء عادة تكون من إختصاص العثمانيين أنفسهم بإعتبارها جزءاً من إدارة الحكم ، أما الإفتاء فكان من إختصاص بيوت العلم المعروفة في مكة

---

(١) إسماعيل حقي جارشلي : أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني ترجمة خليل علي مراد، ص٤٥-٤٧ ، الدار العربية للموسوعات - بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م " ويشير المؤلف في الهامش إعتماداً على وثيقة عثمانية في أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول إلى أنه قد أخرج مبلغ ٢٥٠٠٠ قرش من خرجية جيب همايون المأخوذة للسلطان سنوياً من جائزة ولاة مصر ، وخصص هذا المبلغ لأمراء مكة " .

المكرمة وبتأييد من العثمانيين أنفسهم ، وكان الأهالي إذا شعروا بالحيف أو الظلم من القضاة لجأوا إلى إستفتاء المفتي وحملوا فتواه إلى أمير مكة المكرمة أو إلى القاضي إذا كانت الفتوى لصالحهم [١] .

من هذا المنطلق كان بعض أمراء الأشراف في مكة المكرمة ينتزعون الفتوى من أصحاب الإفتاء ضد خصومهم ومن ثم يحملونها إلى القاضي ليحكم لهم بموجب هذه الفتوى ، وكان مفتي الحنفية يرأس جميع المذاهب الأربعة ومن يفتي ، وكان الشيخ قطب الدين الحنفي المكي أول من تولى رئاسة الإفتاء في مكة المكرمة في العهد العثماني أوائل القرن العاشر الهجري أوائل القرن السادس عشر الميلادي [٢] ، واستمر إعتماد أمراء الأشراف بمكة على آراء وفتاوى المفتي ردحاً من الزمن خاصة في الأمور والقضايا الدينية التي يختلف حولها الناس وتحتاج إلى رأي عام يلزم الجميع ، كي يتمكن الأمراء من تحقيقه دون مضايقة أو مداخلات خارجية تحدث ضعفاً وتصدعاً في موقف الإمارة والولاة بشكل عام [٣] .

وإذا كان منصب شيخ الإسلام في الدولة العثمانية يعتبر واحداً من أهم منصبين من مناصب الهيئة العلمية في نظم الدولة ، فإن مشيخة الإسلام تلك زادت أهميتها في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي حيث ظهر مجموعة من الشيوخ الأقوياء مثل الشيخ زنبيللي علي أفندي المتوفى سنة ٩٣٢هـ/١٥٢٦م ، والشيخ أبي السعود أفندي المتوفى سنة ٩٨٢هـ/١٥٧٤م ،

---

(١) أحمد السباعي : تاريخ مكة ،ج٢ ، ص٤٧٣ ، ط٦ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م نادي مكة الثقافي .

(٢) محمد طاهر الكردي المكي : التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، ج٥ ، ص٤٢٢ ، ط١ ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ، دار خضر للطباعة – بيروت – لبنان .

(٣) السيد أحمد زيني دحلان : المصدر السابق ، ص١٠٧-١٠٨ .

ومثل هؤلاء الشيوخ تجاوزت صلاحياتهم تعيين المفتين ، حتى باتوا أصحاب صلاحيات مطلقة في مناصب التدريس والقضاء ، وبفضل جهاز الإفتاء وتأثيره في سياسة الدولة تبوأ مشائخ الإسلام مكانة رفيعة من الناحية السياسية ، حيث كان يدعى شيخ الإسلام إلى الديوان الهمايوني عند الحاجة وهو ليس عضواً فيه ، كما كان بإستطاعته أن يتوجه إلى الديوان لعرض أي أمر من الأمور وهو ما تجلى في مجئ شيخ الإسلام زنبيللي علي أفندي إلى الديوان ولقائه السلطان سليم الأول ، وبذلك صار شيخ الإسلام يحتل المكانة الثانية بعد الصدر الأعظم في أجهزة الدولة بل هناك من السلاطين من جعل مشائخ الإسلام يتقدمون الصدر الأعظم نفسه ، وكان شيخ الإسلام مسئولاً عن جهاز الإفتاء وإدارة شئون كبار المدرسين والقضاة وعرفت مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية بالمصطلح العثماني "باب مشيخت" أو "فتوا خانه" ، وبذلك صارت دور الإفتاء في الأيالات والسناجق تابعة لمنصب مشيخة الإسلام داخل العاصمة [١] ، ومن ضمن هذه الايالات مكة المكرمة التي كان للقضاة والمفتين فيها دور كبير في الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية وبالتالي صار لهم مكان مميز لدى أمراء مكة والولاة العثمانيين في الحجاز لأهميتهم في عاصمة الدولة ولدى السلاطين العثمانيين .

ويقول أحد المؤرخين أن أول قاضٍ أرسل لمكة من عاصمة الدولة العثمانية – إستانبول– كان في سنة ٩٤٣هـ ، وأن أحكام القضاة كانت مرتبطة بمشيخة الإسلام في الأستانة ، حيث كان القاضي يمثل السلطة العثمانية في الأمور الدينية ويرأس الحفلات التي يُنَصّب فيها أمراء مكة ،

---

(١) أكمل الدين إحسان أوغلي وآخرون : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، ترجمة صالح سعداوي ، المجلد الأول ، ص٣٠٢ – ٣٠٣ ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون ، إستانبول ، ط١٩٩٩م .

ويعقد المراسيم الخاصة بذلك ، ويتولى تقديم الخلع السلطانية إلى الأمير [١] .

ويرى المؤرخ أندريه ريمون أن القضاة قد لعبوا في الولايات العربية دوراً ملحوظاً في الحياة الإجتماعية والإقتصادية بل والسياسية ، وكانوا يتمتعون بإختصاصات لا حدود لها من الناحية العملية ، وكان القضاة وعدد من العلماء يتواجدون في المجالس التي تعاون الولاة وفي مقدمة هؤلاء القائمين على الإفتاء ، وكان على القضاة بشكل خاص التأكد من تنفيذ الأوامر الصادرة من الأستانة إلى الوالي ، في إطار مراعاة القانون الديني الذي كان العلماء حراساً ومفسرين له وكان القضاة يطلعون الحكومة المركزية في الأستانة على مسلك الولاة ، كما كان بوسعهم في نهاية الأمر شجب تصرفاتهم عندما يرون أنها تستحق التوبيخ ، وهو عمل كان بوسعه أن يدفع السلطان إلى عزل الوالي ، وهذا ما يؤكد أن تدخل القضاة والمفتين في النزاعات الداخلية بين القوى الرئيسية التي تتنازع على السلطة هو أمر يكاد يكون حاسماً ومؤثراً في إتخاذ القرار ولمن يقفون إلى جواره ومساندته [٢] .

لقد كان المفتي في الدولة العثمانية بصفة عامة وفي مكة المكرمة بصفة خاصة يعطى دعماً قوياً في إتخاذ القرارات التي تصدرها السلطنة العثمانية سواءً في عاصمة الدولة – الأستانة – أومن قبل ولاتها في الولايات العثمانية المختلفة ، وتزيد أهمية الفتوى في مكة بشكل خاص عندما تتعلق الأمور بالقضايا الدينية ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، فعندما إختلف أئمة الصلاة في الحرم المكي في إمامة المصلين في صلاة التراويح حيث إعترض

---

(٢) محمد طاهر الكردي : المرجع السابق ، ج٥ ، ص٤٢١ .

(١) روبيرمانتران وآخرون : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة بشير السباعي ،ج١ ، ص٥٣٤–٥٣٧ الطبعة الأولى ١٩٩٣م ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة .

الشيخ الإمام يحيى الطبري من أئمة الشافعية على الشيخ سعيد ابن محمد من أئمة الشافعية في مقام إبراهيم عليه السلام داخل الحرم المكي ، ورفض الطبري أن تكون إمامة التراويح في ذلك المكان لغيره وأن لديه فتوى سابقة للقيام بهذه المهمة ، حينئذ عرض الأمر على مشيخة الإسلام ودار الإفتاء فأفتوا برفض دعوى الطبري وان إمامة التراويح في الحرم المكي الشريف لا تنحصر فيه لوحده ولا تقتصر عليه ، وله دوره ومكانته مع مشائخ وأئمة الحرم الآخرين من جميع المذاهب الأربعة ، وصدر فرمان سلطاني بذلك أبلغ لأمير مكة وقاضيها والمفتي فيها لإبلاغ مضمونه والتمشي بموجبه [1]

وعندما أراد الأمير العثماني مصلح الدين تجديد وبناء المقام الحنفي داخل الحرم المكي الشريف سنة ٩٢٤هـ / ١٥١٨م والذي كان مسقفاً على أربعة أعمدة وفي صدره محراب ، وأراد أن يوسعه ويجعل له قبة ، أمر بعقد مجلس شرعي وطلب إصدار فتوى في ذلك ، وأشار المجتمعون من العلماء أن لكل إمام من الأئمة الأربعة مكانة عظيمة ، وأن تعداد المقامات في وقت بنائه لأول مرة سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٩م قد أنكره كثير من العلماء ولهم في ذلك العصر رسائل متعددة ومعروفة وباقية حتى الآن ؛ وأن علماء مصر المحروسة أفتوا بعدم جواز ذلك ، وخطّأوا من قال بجوازه ، وعندئذ إنفض المجلس الشرعي من غير إتفاق ، إلا أن القاضي بديع الزمان بن الضياء الحنفي – قاضي مكة وشيخ الحرم بها – وكان من أهل الرئاسة والفتيا – ذكر للأمير أن جده القاضي الشيخ أبا البقاء محمد بن أحمد القرشي الفقيه الحنفي ٧٩١–٨٥٨هـ قد أفتى بجواز ذلك ، فوجد هذا الرأي وتلك الفتوى راحة في

(١) وثيقة عثمانية ، دفاتر المهمة رقم ١١٠ ، الحكم رقم ٢٤٩٣ ، أرشيف رئاسة الوزراء ، إستانبول .

نفس الأمير فشرع في إتمام ذلك المشروع تحت مظلة هذه الفتوى [١] .

وكان أمراء مكة يحرصون على إكرام العلماء والقضاة ورجال الإفتاء ومصاحبتهم عند زيارة عاصمة الدولة – الأستانة – ومقابلة السلطان ، وهو ما تمثل في صحبة القاضي إبراهيم ابن ظهيرة المتوفى سنة ٩٦٢هـ/١٥٥٥م، والقاضي تاج الدين المالكي – الإمام والمحدث والمفتي بمكة المكرمة المتوفى سنة ٩٦٠هـ/١٥٥٣م ، واللذين صحبا الشريف أحمد بن أبي نمي إلى الأستانة سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م ، والتقيا بالسلطان سليمان القانوني الذي أنعم عليهما وعلى الشريف أحمد بالأُعطيات والخلع الكثيرة والهبات والعطايا الجزيلة [٢] .

ونظراً للمكانة الدينية المتميزة للعلماء بصفة عامة والمفتين بصفة خاصة فإن سلاطين الدولة العثمانية وأمرائها وولاتها كانوا حريصين على أخذ موافقتهم والحصول منهم على فتوى شرعية تُجيز لهم أعمالهم التي يؤدونها لمصلحة الدولة ومنشآتها ، لاسيما ما يتعلق منها بشئون المسجد الحرام ومنشآته سواءً من ناحية الترميم أو البناء أو الإضافات ، لأنه لابد وأن يحصل أي عمل في هذا الشأن تحت مظلة شرعية وبموافقة المفتين والعلماء في الدولة العثمانية سواء في عاصمة الدولة – الأستانة – ، أو في مكة المكرمة ، لأن موافقتهم ومباركتهم لتلك الأعمال تُعطي دعماً معنوياً للسلطان العثماني

---

(١) محمد بن علي بن فضل الطبري : تاريخ مكة ، تحقيق محسن سليم ، ج١ ، ص٣٦٦–٣٦٧ ، ط١ دار الكتاب الجامعي ، القاهرة .

(٢) عبدالحي بن احمد أبن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج٨ ، ص٣٣١ ، القاهرة ، ١٩٣٣م ، ب.ن.

ويحصل من خلالها على التأييد والدعم والثناء الذي يحرص عليه سلاطين الدولة العثمانية دائماً ، خاصة عندما يأتي من علماء وأعيان مكة المكرمة ، فعندما أراد السلطان العثماني أن يجري بعض الإصلاحات والترميمات للكعبة المشرفة والمسجد الحرام سنة ٩٥٢هـ الموافق ١٥٤٥م ، أخذ الفتوى من مشيخة الإسلام في الأستانة ومن العلماء المفتين في مكة المكرمة فأذنوا له بذلك وتم حينئذ تصفيح باب الكعبة المشرفة بالفضة وكانت نحو أربعة آلاف مثقال ، وطليت بالذهب ، الذي كان يزن ألف ومائتين وثمانين ديناراً وأعيدت الحلقات الأربع على باب الكعبة الشريف وتم إصلاح ميزاب الكعبة وصفح بالفضة المموهة بالذهب ، وعندما رمم المسجد الحرام في عهد السلطان سليمان الأول ابن سليم الأول "٩٢٦-٩٧٤هـ / ١٥٢٠-١٥٦٦م" في سنة ٩٥٨هـ/١٥٥١م سارع مفتي مكه وفقيهها الشيخ عبدالعزيز الزمزمي الشافعي إلى رفع الشكر شعراً إلى السلطان العثماني حين قال :

- يامعشر الإسلام بشرى لنا ..... وواجب الله منا الثنا
- صلوا وطوفوا واشكروا ربكم ..... ومتعوا في بيته الأعينا
- وادعوا إلى سلطاننا انه ..... لما وهى رمم منه البنا
- فهب له يارب في عمره ..... وعافه وامنحه كل المنا
- وقد أتى تاريخ ترميمه .....—رمم بيت الله سلطاننا

كما شاركه في هذا الثناء الشيخ الزيني عبدالرؤف بن يحيى بن عبدالرؤف الشافعي المكي ، والذي أشار إلى تصفيح الباب الشريف للكعبة المشرفة تحديداً حين قال :

- صفح هذا الباب سلطاننا ..... أعني سليمان هو العادل—

- وقد أتى تاريخ تصفيحه ..... لم يخب في بابنا النازل [١]

ويؤكد أحد المؤرخين المعاصرين أن السلطان العثماني سليمان القانوني قد أصدر أمراً سلطانياً في سنة ٩٥٩هـ/١٥٥٢م بتصفيح باب الكعبة المشرفة وكلف بذلك أحد فضلاء مشيخة مصر وهو المعمار أحمد المقطعجي ، وكان سبب ذلك وقوع خلل في سقف الكعبة ، وعندما عرض الأمر على السلطان إستفتى مفتي الدولة العثمانية محمد بن محمد أبي السعود أفندي "٨٩٨-٩٨٢هـ " والذي أفتى بأن الكعبة تعمر إذا إحتاجت إلى العمارة ، وقد أرسل السلطان العثماني هذه الفتوى إلى أمير مكة المكرمة لعرضها على علماء مكة ، فجمع أمير مكة الشريف أبا نمي محمد بن بركات علماء مكة وأعيانها في الحطيم ومنهم مفتي الشافعية الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي "٩٠٩-٩٧٤هـ" ، ومفتي الحنفية الشيخ محمد بن احمد القطبي النهروالي "٩١٧-٩٩٠هـ" ، ومفتي المالكية القاضي تاج الدين بن عبدالوهاب بن يعقوب المالكي " توفى سنة ٩٦٠هـ " ، فأفتوا بموافقة فتوى أبي السعود أفندي وأختلفت طائفة أخرى ، وقالوا بعدم الجواز وأن من تعظيم البيت الحرام أن لا يتعرض إلى ترميم ولا إصلاح وقالوا إن قيام الكعبة المشرفة هذه المدة المديدة والرياح تنسفها من كل جانب ولا تؤثر فيها دليل على أن قيامها ليس بقوة البناء بل بقوة الله تعالى وأنه لا يجوز تغيير أخشابها إلا إذا سقطت بنفسها ، وكادت أن تقوم لذلك فتنة من العوام، وقد كتب مفتي الشافعية الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي في ذلك كتاباً أسماه " المناهل العذبة في إصلاح ما وهى من الكعبة " ، أجاز فيه تعمير ما تهدم من جدران الكعبة المشرفة لمصلحة ضرورية أو حاجة مستحسنه ووافقه

---

(١) محمد بن علي الطبري : المصدر السابق ، ج١ ، ص٤٨٠-٤٨٢ .

في هذا الرأي مفتي الحنفية قطب الدين النهروالي وأستند إلى ما قال به الشيخ محب الدين الطبري في كتابه : " إستقصاء البيان في مسألة الشاذروان " ، وأنه يجوز التغيير في الكعبة لمصلحة ضرورية أو حاجة ماسة ، وحينئذ جمع أمير مكة أعيان مكة وعلمائها وطلب من قاضي مكة الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري أن يلقي درساً في الناس يتكلم فيه عن هذه القضية وموقف علماء الإسلام منها فتحدث وأجاد ، فلما إنتهى من محاضرته تلك ، أُخرجت فتوى أبي السعود أفندي للناس فوافقوا عليها وأيدوها فبُدئ بالعمل ، وسكنت الفتنة وأبدلت أعواد سقف الكعبة بأعواد جيدة بغاية الإحكام والجودة ثم أعادوا السقف والسطح كما كان وبغاية الإتقان ، وقد إمتدح المفتي الحنفي بمكة المكرمة الشيخ محمد بن أحمد القطبي النهروالي ذلك العمل الذي تشرف به السلطان سليمان القانوني الذي جدد سقف الكعبة المعظمة ، وأصلح أرضها وجدارها المتخذ قبلة للسجود والركوع ، وأمر بتجديد أحجار المطاف وتسويتها تحت أقدام الطائفين في الطواف وتحلية الباب الشريف والميزاب المعظم المنيف ، ودون بذلك شهادة للتاريخ بلغة العلماء البلغاء حين قال : " الحمد لله الذي عمر الكعبة الشريفة بالشريعة المحمدية فغدت وهي البيت المعمور حساً ومعنى ، وشيد قواعد ملك من جدد سقفها بتشييد " وإذ يرفع إبراهيم القواعد وإسماعيل ربنا تقبل منا " – يقصد بذلك الآية ١٢٧ من سورة البقرة – وأصلح وجود من وجد " فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه " – يقصد بذلك الآية ٧٧ من سورة الكهف – وخصه بكنز " إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر " – يقصد بذلك الآية ١٨ من سورة التوبة – ، وكان له بذلك عظمة وكرامة ، وأنّا له الحظ الوافر من ملكٍ سميهُ نبي الله سليمان ، ... فلقد جدد سقف الكعبة المعظمة حفظ الله دولته ، ... وأصلح أرضها وجدارها المتخذ قبلة للسجود والركوع ، ... إلى أن قال : تقرباً إلى الله أمر بتجديد أحجار المطاف وتسويتها تحت أقدام الطائفين

في الطواف وتحلية الباب الشريف والميزاب المعظم المنيف خليفة الله الأعظم سلطان الروم والعجم من أصطفاه الله تعالى وأجتباه لترميم بيت الله الحرام وأختاره وارتضاه لخدمة الركن والمقام ، السلطان ابن السلطان الملك المظفر أبو الفتوحات سليمان خان تقبل الله منه صالح الأعمال وبلغه مايؤمله من السعادة والإقبال ، وكما ثم غرد بالتاريخ طير الهنا به عمر الله قبلتنا " [١] .—

وكان للمفتي نفسه حضوراً في الثناء على ما قام به السلطان مراد الثالث بن سليم الثاني "٩٨٢-١٠٠٣هـ" من عمارة وتجديد في المسجد الحرام ، حيث أقرضه شعراً بقوله :

- جدد السلطان مراد بن سليم—.....—مسجد البيت العتيق المحترم
- سُرّ منه المسلمون كلهم—.....—دام منصور اللوا والعلم
- قال روح القدس في تاريخه—.....—عمر السلطان مراد الحرم [٢]

من هنا يتبين لنا أن السلاطين العثمانيين في عاصمة الدولة الأستانة ، وكذلك أمراء مكة المكرمة كانوا جميعاً حريصين أشد الحرص على وجود الفتوى الشرعية في كل أمر يتخذونه في شئون دولتهم ولا سيما في مكة المكرمة والمسجد الحرام تحديداً ، وهذا الحرص أعطى أهمية معنوية لوظيفة الإفتاء التي كانت تابعة أو مساندة لوظيفة القاضي ، والتي نشأت في أحضان مشيخة الإسلام [٣] .

ومع أن وظيفة الإفتاء تعتبر من أهم الوظائف الشرعية التي يجب أن

---

(١) محمد بن علي الطبري : المصدر السابق ، ج١ ، ص٤٨٨-٤٩١ .

(٢) محمد بن علي الطبري : المصدر السابق ، ج١ ، ص٥٣٣ .

(٣) وثيقة عثمانية ، دفاتر المهمة ، دفتر رقم ٨٧٣ ،ص١٤١، أرشيف رئاسة الوزراء ، إستانبول .
وثيقة عثمانية ، دفاتر المهمة ، دفتر رقم ١١٢ ، حكم رقم ٨٣٧ ، أرشيف رئاسة الوزراء إستانبول .

تكون قائمة ودائمة في أنحاء الدولة الإسلامية ، وهو ما ذهب إليه ابن خلدون عندما ذكر الخطط الدينية المختصة بالخلافة وعدّ منها الفتيا وجعلها من مصالح المسلمين وجعل مراعاتها من الواجبات على ولي الأمر ، إلا أن البعض يرى أنه على ولي الأمر أن يبحث عمن يصلح للفتوى ويمنع من لا يصلح وأنه ليس من الضروريات إقامة ولي الأمر مفتياً وتوظيفه شرعاً ، وأن يكون لهذا المفتي مرتب من بيت المال لأن المفتي عامل للمسلمين ، حبس نفسه لعملهم فيجب أجره من مالهم فإن أخذه من بيت المال فليس له أن يأخذ من الناس شيئاً ، وإن لم يكن له مرتب أخذ أجره ممن يستفتيه [١] .

ومع كل ذلك نستطيع أن نؤكد أن وظيفة الإفتاء في مكة المكرمة خلال القرن العاشر الهجري باتت ذات أهمية قصوى لدى سلاطين الدولة العثمانية ، وصار السلطان العثماني يتتبع أحوال المفتين وأخبارهم وظروف حياتهم المعيشية ، ومكانتهم الإجتماعية لأنهم يمثلون له السند والدعم اللامحدود ، ويقفون إلى جواره ويتصدون للمعارضين لقراراته ويضفون على أعماله أنواعاً من الثناء والشكر ، ويطلبون له الدعاء والنصر .

لذلك حرص سلاطين الدولة العثمانية على أوضاع المفتين بمكة المكرمة وهذا ما أثبتته الوثائق العثمانية غير المنشورة ، حيث نرى أن السلطان العثماني يصدر حكماً إلى والي مصر يبلغه فيه بزيادة راتب المفتي في مكة إلى مائة أقجة [٢] بدلاً من سبعين آقجة وذلك على سبيل

(١) محمد طاهر الكردي المكي : المرجع السابق ، ج٥ ، ص٤٣٦ .

وثيقة عثمانية ، دفاتر المهمة ، دفتر رقم ٨٧٧، ص٢٩ ، أرشيف رئاسة الوزراء إستانبول .

(٢) أصلها مغولية ومعناها النقد الأبيض وهي قطعة صغيرة من الفضة ، ضربت لأول مرة عام ٧٢٩هـ في عهد السلطان أورخان ، وكانت تحمل على وجهها الأول كلمة الشهادة وعلى وجهها الآخر أورخان.

الترقي والمساعدة [1] ، وليس هذا فحسب وإنما هناك حكم سلطاني آخر إلى أمير سنجق جدة وإلى مشيخة الحرم في مكة المكرمة بأن تحدث وظيفة ويعين عليها من الكفاءات المعروفة لخدمة المفتي في مكة ومساعدته في أعماله الخاصة مراعاة لظروفه ورفعاً لمكانته العلمية التي يشغلها [2] .

وزيادة في الحرص على القضاة والمفتين في مكة المكرمة فقد حرص السلاطين العثمانيين على حفظ مكانتهم بعد وفاتهم ، حيث صدر توجيه من السلطان العثماني إلى أمير مكة المكرمة للإهتمام بأبناء وأسر المفتين والأئمة والخطباء في المسجد الحرام ، وان تصرف لهم مستحقاتهم كاملة التي كانت تدفع لآبائهم ، ومن توجد فيه الكفاية من أبنائهم لشغل وظيفة والده فيتم تعيينه فوراً في تلك الوظيفة ، و إلا صرف له مكافأة مجزية ومورد سنوي من الصرة العثمانية والهبات التي ترسل كل عام إلى مكة المكرمة [3] .

ويذهب أحد المؤرخين المعاصرين إلى أن وظيفة الإفتاء لم يكن لها مكافأة مادية أو عينية حتى صدرت تعليمات السلطان مراد الثالث بن سليم الثاني "٩٨٢-١٠٠٣هـ" بصرف مبلغ خمسين عثماني في كل يوم من بيت المال لمفتي مكة المكرمة الشيخ عبدالكريم بن محب الدين ابن احمد القطبي "٩٦١-١٠١٤هـ" وليس هذا فحسب بل هناك رواتب يومية للخطباء والأئمة والمدرسين بالحرم المكي الشريف [4] .

=

" سهيل صابان : المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ، ص٢٠- ٢١ ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ١٤٢١هـ " .

(١) وثيقة عثمانية،دفاتر المهمة ،دفتر رقم ١١٠ ،حكم رقم ٢٥٠٦ ،أرشيف رئاسة الوزراء ، إستانبول

(٢) وثيقة عثمانية ،دفاتر المهمة ،دفتر رقم ١٠٨ ،حكم رقم ٢٣٤ ،أرشيف رئاسة الوزراء ،إستانبول .

(٣) وثيقة عثمانية ،دفاتر المهمة ،دفتر رقم ٨٧٥ ،حكم رقم ٢٥ ،أرشيف رئاسة الوزراء ، إستانبول .

(٤) محمد بن علي الطبري : المصدر السابق ، ج١ ، ص٥٦٦ .

ومع هذا الإهتمام الذي أولاه رجال الدولة العثمانية للمفتين في مكة المكرمة ، فقد إزدهرت وظيفة الإفتاء وأخذت طابع التعيين الرسمي من قبل الحكومة المركزية في الأستانة وكثر رجال الإفتاء على المذاهب الأربعة ، بيد أن وظيفة المفتي الرسمية لمكة المكرمة كانت تكاد تكون في واحد أو اثنين، وكان السلطان العثماني ينعم بوظيفة الإفتاء على المشائخ والعلماء من المذهب الحنفي أما ماعدا ذلك فقد كان هناك علماء ومفتين على المذاهب الأخرى كالشافعية والمالكية والحنابلة ، بيد أن جُلهم ليسوا معينين في وظائف رسمية من قبل السلطنة العثمانية أو أمير مكة أو الوالي العثماني في الحجاز، وبذلك باتت وظيفة الإفتاء تأخذ طابع المنافسة مع وظيفة القاضي الرسمية التي لابد أن يكون شاغلها معيناً رسمياً من قبل السلطنة ومرتبط بأمير مكة والوالي العثماني ، وقد برز في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي عدد كبير من المفتين جلهم على المذهب الحنفي ، ولكن المذاهب الأخرى كان لها نصيب وافر من العلماء الذي تصدوا للإفتاء وأثبتوا جدارتهم في هذه المهمة الدينية الشريفة ، وقد أوصلت المصادر والمراجع التاريخية التي توفرت للبحث عدد هؤلاء المفتين إلى أكثر من خمسة وعشرين عالماً قاموا بوظيفة الإفتاء ، سواء بصفة رسمية من قبل الدولة العثمانية أو بإجتهاد منهم ، لكنهم من اتباع الدولة العثمانية ومن المؤيدين لها في قراراتها وسياساتها ، وقد عرفت مكة المكرمة خلال القرن العاشر الهجري وخاصة بعد وصول العثمانيين إلى إقليم الحجاز أكثر من ثلاثة عشر عالماً يقومون بمهمة الإفتاء على المذهب الشافعي ، أما المفتين على المذهب الحنفي فقد وصل عددهم إلى تسعة علماء كانوا يقومون بوظيفة الإفتاء وغالبيتهم تم تعيينه من قبل الدولة العثمانية في الأستانة ، أما علماء المذهب المالكي

والحنبلي فهم الأقل عدداً حينذاك ، وكانت وظيفة الإفتاء على المذهب المالكي والحنبلي تتم بجهود شخصية من قبل أصحابها ولم تسند لهم وظيفة الإفتاء رسمياً طوال تلك الفترة كما تذهب كتب التاريخ أو بالأصح قل أنها لم تبرز في المصادر والمراجع التاريخية ، رغم وجود علماء أجلاء على المذهب المالكي والحنبلي إلى جوار زملائهم علماء المذهب الشافعي والحنفي ، وهذه الظاهرة التاريخية إنعكست تلقائياً على مكة المكرمة بل وعلى المسجد الحرام والصلاة فيه وحتى على الآذان ، وعلى صلاة التراويح ، وعلى مقامات الأئمة الأربعة داخل المسجد الحرام ؛ ولعلنا هنا نشير بإيجاز إلى ابرز هؤلاء المفتين كما ذكرتهم المصادر والكتب التاريخية [١] ، وهم على النحو التالي :

---

(١) للاستزادة عن تراجم هؤلاء العلماء وسيرتهم العلمية يمكن الرجوع للمصادر والمراجع التالية :

- أبن حميد النجدي : محمد بن عبدالله الحنبلي : السحب الوابلة على أضرحة الحنابلة .
- الشوكاني ، محمد بن علي : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع .
- الطبري ، علي بن عبدالقادر : الأرج المسكي في التاريخ المكي .
- العصامي، عبدالملك بن حسين:سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي
- ابن العماد الحنبلي، عبدالحي بن علي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب
- الغزي ، نجم الدين محمد بن محمد بن أحمد : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة .
- لمياء أحمد شافعي : إبن حجر الهيتمي المكي وجهوده في الكتابة التاريخية .
- المحبي، محمد أمين بن فضل الله : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر
- مرداد ، أبو الخير عبدالله بن احمد : المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر .
- المعلمي ، عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم : أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري .
- النهروالي ، قطب الدين محمد بن أحمد : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام .
- الهيلة ، محمد الحبيب : التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر .

أولاً : علماء المذهب الشافعي :

١- جمال الدين عبدالله بن أحمد بن أبي كثير الحضرمي "٨٤٧-٩٢٥هـ" شيخ الإسلام والمفتي الفقيه ، وعالم الحديث المتميز ، ومن أبرز مؤلفاته : " الدرر اللوامع في نظم جمع الجوامع" ؛ " ثمة الكلام وسفك المدام في عقائد الإسلام " .

٢- صلاح الدين محمد بن أبي السعود بن إبراهيم أبن ظهيرة القرشي المكي الشافعي " ٠٠٠٠-٩٢٧هـ " قاضي الشافعية بمكة وأبرز علماء مكة المكرمة في تلك المرحلة .

٣- جمال الدين أبو المكارم بن ظهيرة الشافعي المكي " ٠٠٠٠-٩٥٦هـ" برع في التدريس والفتوى وصار من علماء الشافعية البارزين بمكة المكرمة .

٤- شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي "٩٠٩-٩٧٤هـ" من كبار علماء الشافعية ، صار مدرساً بالحرم المكي الشريف ومن كبار فقهاء الشافعية وقصده الناس في طلب الفتوى ، وكانت أجوبته دقيقة ومراعية لمشاكل مجتمعه ، وقد جمعت في كتاب كبير يقع في أربعة مجلدات ، ومن آبرز مؤلفاته : " تحفة المنهاج في شرح منهاج النووي " " معدن اليواقيت الملتمعة في مناقب الأئمة الأربعة " ؛ " شرح الأربعين النووية " ؛ " كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع " ؛ " الزواجر عن إقتراف الكبائر " ؛ " أسنى المطالب في صلة الأرحام والأقارب " ؛ " الفتاوى الحديثة " ؛ " الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان " ؛ " إتحاف ذوي المروءة والأنافة فيما جاء في الصدقة والضيافة " ؛ " تاريخ الخلفاء الراشدين " ؛ " أخبار الشهيدين الحسن والحسين " -

٥- محمد الخفاجي الجمال المصري الشافعي "٠٠٠٠-٩٨١هـ" ، الفقيه المحدث والمفتي والمدرس بالحرم المكي الشريف درّس وأفتى بمكة المكرمة أكثر من ثلاثين عاماً ، وتوفي بمكة المكرمة .

٦- عطية بن علي بن حسن السلمي المكي – الشافعي " ٠٠٠٠-٩٨٢هـ" ، عالم مكة وفقيهها في عصره إنتهت إليه رئاسة الشافعية وكان عالماً فاضلاً مفتياً معروفاً ، ومن أشهر مؤلفاته : " تفسير القرآن الكريم في ثلاثة أجزاء " .

٧- أبو بكر بن علي بن أبي بكر بن أحمد بن عبدالرحمن الأنصاري الخزرجي المكي "٩٧١-١٠٠٦هـ" ، من علماء مكة ، أجازه جميع شيوخه بالتدريس والإفتاء، فدرّس وأفتى ، وأخذ عنه جماعة من طلبة العلم ، له كثير من الحواشي والشروحات على كثير من كتب الفرائض والعلوم المختلفة .

٨- محمد بن عبدالعزيز بن علي البيضاوي الشيرازي المكي الزمزمي الشافعي " ٠٠٠٠-١٠٠٩هـ" ولد بمكة وأخذ عن علمائها وفي مقدمتهم أحمد بن حجر الهيتمي ، درس وأفتى وفاق أقرانه في العلوم الشرعية وأجازه شيوخه في ذلك .

٩- إبراهيم بن أبي اليمن بن محمد أبي السعادات الطبري الحسيني الشافعي المكي "٩٤٥-١٠٢٤هـ" من قضاة مكة وعلمائها ، أخذ عن شيوخ مكة وأجازوه في القضاء والفتيا ، وكان أديباً فاضلاً وفقيهاً حافظاً .

١٠- يحيى بن أبي السعادات بن ظهيرة الشافعي المكي "٠٠٠٠-١٠٢٧هـ" كان عالماً فاضلاً وخطيباً متميزاً في المسجد الحرام تلقى العلم عن

مشاهير علماء مكة وأجازوه للتدريس والفتيا ، وكان أول من تولى التدريس بالمدرسة السليمانية التي أنشأها السلطان سليمان القانوني .

١١- محمد بن عبدالله بن عبدالمعطي بن محمد الطبري الحسيني الشافعي المكي "٩٦٢-١٠٣٢هـ" كان إماماً للمقام الشافعي وإماماً بالمسجد الحرام أمَّ الناس زمناً طويلاً ، ودرس وأفتى على المذهب الشافعي ، وقصده الناس بالفتوى لمكانته وغزارة علمه ، من اشهر مؤلفاته : " السلاح في أحكام الطلاق والعدة والنكاح " ؛ " تحرير العلم في شرح لامية العجم " ؛ " شرح العدة " ؛ " منظومة الآجرومية في النحو " ؛ " منظومة شروط الوضوء وفروضه وسننه " .

١٢- محيي الدين الحسيني ، عبدالقادر بن محمد بن يحيى بن مكرم الحسيني الطبري الشافعي "٩٧٦-١٠٣٣هـ" إمام المقام الشافعي والخطيب بالمسجد الحرام والمفتي على المذهب الشافعي تصدر للتدريس وللإمامة والفتيا بالمسجد الحرام له مؤلفات عدة من أشهرها : " إفحام الجاري في افهام البخاري " ؛ " كشف الخافي في علمي العروض والقوافي " ؛ " كشف النقاب عن أنساب الأربعة الأقطاب " ؛ " وابل الثج في بيان متعة الحج " ؛ " حفظ الحرم في أوقاف الحرم " .

١٣- محمد علي بن محمد بن علاّن بن إبراهيم بن محمد بن علاّن البكري الصديقي الشافعي المكي "٩٩٦-١٠٥٧هـ" ؛ إمام عصره عالم بالحديث والتفسير ، تصدر للدرس والإفتاء وأجيز من شيوخ عصره وجمع بين الرواية والحديث وكان إماماً ثقة من أشهر مؤلفاته : " الإبتهاج في ختم المنهاج " ؛ " إتحاف الثقات في الموافقات " ؛ " إعلام الإخوان بتحريم الدخان " ؛ " الأقوال المعرفة بفضائل أعمال عرفه " ؛ " البيان ونهاية

التبيان في تاريخ آل عثمان " ؛ " تحفة ذوي الإدراك في المنع من التنباك " ؛ " خاتم الفتوة في خاتم النبوة " ؛ " دليل الفالحين شرح رياض الصالحين " " رفع الإلتباس ببيان إشتراك معاني الفاتحة وسورة الناس " ؛ " العلم المفرد في فضل الحجر الأسود " ؛ وغير ذلك كثير .

١٤- عبدالعزيز بن محمد بن عبدالعزيز الزمزمي الشافعي المكي "٩٧٥-١٠٧٢هـ" سبط إبن حجر الهيتمي ، تولى وظيفة الإفتاء في مكة المكرمة ، وانتهت إليه رئاسة العلم في عصره ، من أشهر مؤلفاته : " فتح الرجاء في نشر العلم والإهتداء " ؛ " المنح الحرمية بترتيب الخطب الزمزمية " .

ثانياً : علماء المذهب الحنفي :

١- شرف الدين عبدالباقي بن أبي الحسين بن علي الحنفي "٠٠٠٠-٩٥٤هـ" من علماء الحرم المكي الشريف ومن القضاة المعروفين في عصره ، عرف بمفتي المسلمين في بلد الله الحرام.

٢- محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي بن ظهيرة المكي المخزومي القرشي الحنفي "٠٠٠٠-٩٨٦هـ" نُعت بشيخ الإسلام وشيخ الفتيا والتدريس ومرجع العلماء وصفوة الفقهاء بمكة المكرمة ، حيث تصدر للتدريس والفتوى ومن أشهر مؤلفاته : " الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف" .

٣- تقي الدين بن حزن الحنفي المكي "٠٠٠٠-٩٨٧هـ" مفتي المسلمين وصدر المدرسين كما نعته معاصروه أجازه علماء عصره بالإفتاء والتدريس ، وتولى القضاء بمكة والخطابة في منى أيام الحج ، ودرّس بالمسجد

الحرام وأفتى به ، ومن أشهر مؤلفاته : " المختصر في مذهب أبي حنيفة "

٤- قطب الدين محمد بن أحمد بن محمد بن قاضي خان بن بهاء الدين النهروالي المكي الشهير بالقطبي "٩١٧-٩٩٠هـ" ، أخذ عن علماء الحديث ، وعمل بالتدريس والإفتاء في مكة المكرمة على المذهب الحنفي تولى منصب الإفتاء والقضاء بأمر السلطان العثماني سنة ٩٣٢هـ/١٥٢٥م ، ألف في الحديث والتاريخ ، من أشهر مؤلفاته : " طبقات الحنفية " ؛ " منتخب التاريخ في التراجم " ؛ " الإعلام بأعلام بيت الله الحرام "؛" البرق اليماني في الفتح العثماني " ؛ " الجمع بين الكتب الستة" .

٥- علي بن جار الله بن محمد بن أبي اليمن بن أبي بكر بن علي بن أبي بركات بن ظهيرة المكي الحنفي "٠٠٠٠-١٠١٠هـ" من علماء بيت بني ظهيرة وهو أول من أتبع المذهب الحنفي منهم، تولى الخطابة في المسجد الحرام وأفتى كثيراً ، من أشهر مؤلفاته:" حاشية على السراج الوهاج" ؛ " حاشية على الأشباه والنظائر " ؛ " تاريخ المدينة " ؛ " الشربات السنية من مزاج ألفاظ الآجرومية "

٦- عبدالكريم بن محب الدين بن أبي عيسى بن محمد بن قاضي خان النهروالي الحنفي المكي الشهير بالقطبي "٩٦١-١٠١٤هـ" وهو أبن أخ المؤرخ قطب الدين النهروالي ، وقد تولى الإفتاء بمكة المكرمة سنة ٩٨٢هـ وتولى المدرسة السليمانية بمكة ، وأمّ بالمقام الحنفي ، كان خبيراً بالفقه وأحكامه ذا خط جميل واستحضار علمي فريد من أشهر مؤلفاته : " شرح صحيح البخاري " ؛ " النهر الجاري " ؛ " إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام " .

٧- أكمل الدين بن عبدالكريم القطبي الحنفي المكي "٩٨٨-١٠١٩هـ" مفتي مكة وعالمها في عصره ، كان من العلماء الأجلاء درس وأفتى ، تولى الإفتاء وإمامة المقام بمكة سنة ١٠١٤هـ بعد والده ، وكان تقياً وورعاً ، توفي شهيداً مقتولاً بالأعاضيد قرب الطائف ، ويذهب بعض المؤرخين إلى أنه تدخل بين شريفي مكة فهيد وإدريس حين نشب بينهما الخلاف ووقف بجانب فهيد ضد إدريس الذي تغلب في نهاية الأمر وسعى إلى قتل الشيخ أكمل الدين القطبي .

٨- عبدالرحمن بن عيسى بن مرشد العمري المرشدي الحنفي المكي "٩٧٥-١٠٣٧هـ" شيخ الإسلام ومفتي الأنام ببلد الله الحرام ، تولى إمامة المسجد الحرام وخطابته وتولى التدريس وتولى الإفتاء السلطاني بمكة وتولى القضاء والخطابة في المسجد الحرام ، قُتل في السجن بعد أن أعتقله أمير مكة محسن بن الحسن بن أبي نمي ، وقد قُتل خنقاً ليلة الجمعة الحادي عشر من ذي الحجة سنة ١٠٣٧هـ ، من أشهر مؤلفاته : " الفتح القدسي في تفسير آية الكرسي " ؛ " تعميم الفائدة بتيمم سورة المائدة من تفسير الجلالين " ؛ " براعة الإستهلال فيما يتعلق بالشهر والهلال " ؛ " الوافي شرح الكافي في علمي العروض والقوافي" " الجواب المكين عن مسألة إن كان يعذب المشركين " .

٩- محمد بن عبدالعظيم بن ملا فروخ المكي الحنفي – الملقب بعبدالعظيم – " ٩٩٦-١٠٦١هـ " كان يكتب على الفتوى حسبةً وهو إبن عشرين سنة ، تولى العديد من الوظائف منها التدريس بالمقام الحنفي ومدرسة محمد باشا والمدرسة المرادية ثم أصبح إماماً بمقام إبراهيم وخطيباً بالمسجد الحرام ، وعمل بالإفتاء ، ومن أشهر مؤلفاته : " القول السديد

في بعض مسائل الإجتهاد والتقليد " ؛ " إعلام القاصي والداني بمشروعية تقبيل الركن اليماني " .

ثالثاً : علماء المالكية :

١- شمس الدين أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالرحمن الحطاب الرعيني الأندلسي الأصل الطرابلسي المكي المالكي "٠٠٠٠-٩٥٤هـ" ، من عائلة أندلسية الأصل نزلت طرابلس ثم قدمت إلى مكة سنة ٨٧٧هـ، أخذ العلم عن السخاوي وعبدالقادر النويري ، أجازه علماء مكة في الفقه المالكي والحديث ، من أشهر مؤلفاته : " شرح على المختصر في الفقه المالكي " ؛ وله " شرح قرة العين لإمام الحرمين في الأصول " ، قام بالتدريس والإفتاء في الحرم المكي الشريف

٢- خالد بن أحمد بن محمد الجعفري المغربي المالكي المكي "٠٠٠٠-١٠٤٤هـ" صدر المدرسين في عصره بالمسجد الحرام وتصدر للفتوى على المذهب المالكي وأجازه كثير من شيوخه ، ومن أشهر مؤلفاته : " رسالة تتعلق ببناء الكعبة " .

رابعاً : علماء الحنابلة :

١- أحمد بن عطية بن عبد الحي القيوم بن أبي بكر بن ظهيرة القرشي المكي "٨٧٩-٩٣٣هـ" ، فقيه من حنابلة بني ظهيرة ، أخذ من علماء مكة في عصره ، وتولى نيابة قاضي مكة الشافعي أبي السعود بن ظهيرة فيما يتعلق بمذهب الحنابله ، وتصدر للتدريس والفتيا على المذهب الحنبلي .

٢- عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر الأنصاري الجزيري "٩١١-٩٧٧هـ" ،

أجاز له علماء عصره بالتدريس والإفتاء على المذهب الحنبلي وتصدر لذلك وكان عالماً وقوراً ، ومع ذلك تعرض للأذى والتنكيل من أمير الحاج العثماني أحمد بيك سنة ٩٧٦هـ ، ومن أشهر مؤلفاته : " تلخيص عمدة الصفوة في حل القهوة " ؛ " خلاصة الذهب في فضل العرب " ؛ " الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة " ؛" عمدة الصفوة في حل القهوة " .

من هنا يتبين لنا ومن خلال ما سبق طرحه في ثنايا البحث أن وظيفة الإفتاء في مكة المكرمة طوال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي قد أخذت تميزاً خاصاً وبروزاً معنوياً لدى رجالات الدولة العثمانية ، وصار للمفتين دور بارز في مسار الحياة الدينية والإجتماعية في مكة المكرمة ، ليس هذا فحسب وإنما كان لهم دور ظاهر في الحياة السياسية ، وبالتالي كانت وظيفة الإفتاء مهمة لشاغلها ومهمة بصورة أكبر لسياسة الدولة العثمانية وسلاطينها ، وشملت هذه الأهمية المواطن العادي في مكة المكرمة الذي أصبح المفتي بالنسبة له الملاذ الأخير ، فعندما تتأزم الأمور يحصل على فتوى من المفتي وبموجبها يطالب بحقوقه مستنداً عليها وعلى ما فيها من رأي شرعي أعطاه المفتي لصاحب الفتوى ، كما أن أمراء مكة شملهم ذلك العطاء ، فأي قرار يرغبون إتخاذه يلجأون للمفتي لأخذ فتواه وعرضها على الملأ والتمشي بموجبها رغم أن هناك سلبيات وقع فيها بعض الأمراء ، حينما إصطدموا بالمفتين وربما وصل الأمر إلى المصادمة بين الأمير والمفتي ، وحتى ساسة الدولة العثمانية في الأستانة كانوا حريصين كل الحرص على أخذ رأي المفتي والتمشي بموجبه لأنه يعطي للدولة أهمية خاصة عند الناس ، ويضفي على أعمالها الشرعية والموافقة الجماعية ، وبذلك تكون فكرة البحث قد

تحققت من خلال التأكد من معطيات البحث وعناصره وأن المفتي في تلك المرحلة كان ذو أهمية واضحة للسلاطين العثمانيين وللدولة العثمانية إجمالاً سواءً في مكة المكرمة وهي جوهر البحث ، أو في أنحاء الدولة العثمانية الأخرى .



الوثائق والمصادر والمراجع

أولاً : الوثائق :

(١) وثيقة عثمانية – دفاتر المهمة – دفتر رقم ١٠٨ – حكم رقم ٢٣٤ – أرشيف رئاسة الوزراء – إستانبول .

(٢) وثيقة عثمانية – دفاتر المهمة – دفتر رقم ١١٠ – حكم رقم ٢٤٩٣ – أرشيف رئاسة الوزراء – إستانبول .

(٣) وثيقة عثمانية – دفاتر المهمة – دفتر رقم ١١٠ – حكم رقم ٢٥٠٦ – أرشيف رئاسة الوزراء – إستانبول .

(٤) وثيقة عثمانية – دفاتر المهمة – دفتر رقم ١١٢ – حكم رقم ٨٣٧ – أرشيف رئاسة الوزراء – إستانبول .

(٥) وثيقة عثمانية – دفاتر المهمة – دفتر رقم ٨٧٣ – صفحة رقم ١٤١ – أرشيف رئاسة الوزراء – إستانبول .

(٦) وثيقة عثمانية – دفاتر المهمة – دفتر رقم ٨٧٥ – حكم رقم ٢٥ – أرشيف رئاسة الوزراء – إستانبول .

(٧) وثيقة عثمانية – دفاتر المهمة – دفتر رقم ٨٧٧ – صفحة رقم ٢٩ – أرشيف رئاسة الوزراء – إستانبول .

ثانياً : المصادر :

(١) إبراهيم أنيس وآخرون : المعجم الوسيط ، باب الفاء ، ج٢ ، ب-ن ؛ ب.ت.

(٢) ابن العماد الحنبلي ؛ عبدالحي بن علي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الفكر بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(٣) ابن إياس الحنفي ؛ محمد بن أحمد : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٤) ابن حميد النجدي : محمد بن عبدالله : السحب الوابلة على أضرحة الحنابلة، مكتبة الإمام أحمد ، دمشق ، طبعة سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

(٥) أبو الفضل جمال الدين ابن منظور ؛ محمد بن مكرم : لسان العرب ، المجلد الخامس عشر ، دار صادر – بيروت ، ب.ت.ن.

(٦) دحلان ؛ السيد أحمد بن زيني : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، الطبعة الأولى – سنة ١٣٠٥هـ – المطبعة الخيرية بالقاهرة .

(٧) الشوكاني ؛ محمد بن علي : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، طبعة ١٣٤٨هـ مطبعة السعادة بمصر .

(٨) الطبري ؛ علي بن عبدالقادر : الأرج المسكي في التاريخ المكي ، تحقيق محمد الطاسان ، رسالة دكتوراة بجامعة أدنبرة – غير منشورة .

(٩) الطبري ؛ محمد بن علي بن فضل : تاريخ مكة ، تحقيق محسن سليم ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب الجامعي – القاهرة – ١٩٩٦م .

(١٠) العصامي ؛ عبدالملك بن حسين : سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي – المطبعة السلفية بالقاهرة – ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .

(١١) الغزي ؛ نجم الدين محمد بن محمد بن أحمد : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، تحقيق جبرائيل جبور ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت – ١٩٧٩م .

(١٢) المحبي ؛ محمد بن أمين بن فضل الله : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، دار صادر – بيروت – ب.ت.ن.

(١٣) النهروالي ؛ قطب الدين محمد بن أحمد : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، مطبوعات المكتبة العلمية بمكة – سنة ١٣٧٠هـ .

ثالثاً : المراجع :

(١) السباعي ؛ أحمد : تاريخ مكة ؛ نادي مكة الثقافي ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٢) الشناوي ؛ عبدالعزيز محمد : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

(٣) صابان ؛ سهيل : المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤٢١هـ .

(٤) الكردي ؛ محمد طاهر : التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، ط١ ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ، دار خضر للطباعة ، بيروت – لبنان .

(٥) المعلمي ؛ عبدالله بن عبدالرحمن : أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي .

(٦) الهيلة ؛ محمد الحبيب : التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى

القرن الثالث عشر ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٩٩٤م

(٧) أوزتونا ؛ يلماز : تاريخ الدولة العثمانية ، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ، ١٩٩٠م ، إسطنبول .

(٨) أوغلي ؛ أكمل الدين إحسان وآخرون : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ؛ ترجمة صالح سعداوي ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون ، ط١٩٩٩م ، إسطنبول .

(٩) جارشلي ؛ إسماعيل حقي : أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني، ترجمة خليل علي مراد ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، لبنان، ط١ ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

(١٠)روبير مانتران وآخرون : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة بشير السباعي ، ط١ ، ١٩٩٣م ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة .

(١١)شافعي ؛ لمياء أحمد : إبن حجر الهيتمي المكي وجهوده في الكتابة التاريخية ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م ، مكتبة ومطبعة الغد ، القاهرة .

(١٢)قفلجملي ؛ حكمت : التاريخ العثماني رؤية مادية ، تعريب فاضل لقمان ، دار الجليل ب.ت.ن. ، ب.م.ن.

(١٣)مرداد ؛ أبو الخير عبدالله بن أحمد : المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر ، إختصره ورتبه محمد سعيد العامودي ، وأحمد علي ، طبعة عالم المعرفة بجدة ، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(١٤)مصطفى ؛ أحمد عبدالرحيم : أصول التاريخ العثماني ، ط١ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، دار الشروق ، القاهرة .

مجتمع مكة في أدب الرحلات المغربية

(قراءة في النصوص والدلالات)

إعداد

د . عبد الرحيم العلمي

أستاذ التعليم العالي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس

المملكة المغربية

بحث مقدم إلى ندوة

مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ

ملخص البحث

- تدور تجربة الكتابة السفَرية، أو أدب الرحلات المغربية في عمومه على ثلاثة مقاصد أساسية هي :

أ - الحج إلى البقاع المقدسة .

ب - التفكر في عجائب صنع الله ومصائر الخلق .

ج - اللقاء بالأكابر من علماء ومشايخ وعباد ، طلبا للعلم والمعرفة ، وطلبا للإجازة وطرق الرواية ، وكذلك طلبا للاقتداء في الأخلاق والسلوك .

- ونظرا لبعد المسافة بين بلاد المغرب وأرض الحجاز ، حيث البقاع المقدسة ، ومهبط الوحي ، ظهر لدى المغاربة فن أدبي جميل متخصص ، هو أدب الرحلة الحجازية ، أو : " الحجازيات " ، أبدعوا فيه وكثرت كتاباتهم بشكل كبير ومتميز ، إذ تعد بالعشرات .

من أهم هذه النصوص رحلة : " ماء الموائد " لأبي سالم العياشي ، التي حرص فيها المؤلف على تقديم صورة حية عن خصوصيات المجتمع المكي ، ووصف أدق التفاصيل والجزئيات عن مكوناته وأصولها واهتماماتها ، فقدم لنا معلومات تاريخية في غاية الأهمية ، عن أنماط الحياة والسلوك والتفكير لدى أهل مكة في تلك المرحلة .

بالإضافة إلى ذلك ، تستدعي هذه الرحلة منا في الحقيقة - مثل غيرها من النصوص الرحلية - توقفا كبيرا أمام حرص أسلافنا على ربط الفروع بأصولها ، وعلى التواصل والتلاقح العلمي مع أهل بلاد الإسلام من مختلف الأمصار ، باعتبار هذه الأمصار كلها وطنا واحدا ، وباعتبار مكة مركز هذا الوطن ومحوره .

مدخل :

بدءا لابد أن يلاحظ الباحث منذ الوهلة الأولى أن منطلق الكتابة في أدب الرحلة عموما الذي يمثل جنسا متميزا في أدب الغرب الإسلامي، تحكمه معادلة ثنائية تتميز بالتلازم في مجمل خصوصياته قضاياه المطروحة، من حيث الدلالة، والأبعاد، والتجليات، والمرجعيات التي يؤسس عليها . وهي : البعد جغرافي الفيزيقي من جهة، والبعد الديني الروحي من جهة ثانية .

فرغم الإمكانيات الهامة التي تتيحها الحركة السفرية والكتابة السفرية عموما للمشاهدة والاستكشاف، فإنها بالنسبة إلى أدب الرحلة الإسلامي تكتسيي أهمية مضاعفة بالنظر إلى دلالاتها المتعددة في المرجعية الدينية المقدسة، هذه المرجعية التي تحث عل السفر والرحلة والسياحة في عدد كبير من النصوص نذكر منها قوله تعالى : ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله،وبشر المومنين ﴾[1]، ﴿والله جعل لكم الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً ﴾[2]، ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾[3]، ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾[4] ، ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ﴾[5]، ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ﴾[6]،

١ –سورة التوبة – الآية ١١٢ .

٢ – سورة نوح / آية : ١٩–٢٠ .

٣ – العنكبوت / ٢٠ .

٤ – النحل / ٣٦ – وأيضاً بنفس اللفظ : الأنعام / ١١ .

٥ – الروم / ٤٢ .

٦ – النمل /٦٩ .

﴿ أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها...﴾ [١] ، ﴿ .. وقدرنا فيها السير، سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين ﴾ [٢] ، ﴿ فلولانفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون .. ﴾ [٣] ، ﴿ ..أفلم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها...﴾ [٤] ، ﴿ .. ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة... ﴾ [٥] ، ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ﴾ [٦] ، ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ [٧] ، ﴿ هو الذي يسيركم في البر والبحر...﴾ [٨] ، وقصة هجرة لوط : ﴿ فآمن معه لوط، وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم ..﴾ [٩] ، والرحلة الموسوية مع الفتى والعبد الصالح : ﴿..وإذقال موسىلفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقباً . فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً...﴾ [١٠] ، ورحلة ذي القرنين : ﴿.. فاتبع سبباً حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً ... ثم اتبع سبباً حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم

---

١ – الروم / ٩ .

٢ – سبأ / ١٨ .

٣ – التوبة /١٢٢ .

٤ – النساء /٩٦ .

٥ – النساء /٩٩ .

٦ – النساء /٩٩ .

٧ – الملك /١٥ .

٨ – يونس /٢٢ .

٩ – العنكبوت /٢٥ .

١٠ – الكهف/ ٥٩ وما بعدها .

لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك ... ثم اتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا..﴾[١] ...إلخ .

إلى جانب دلالة الهجرة والرحلة والسفر في النص الحديثي الشريف، في قوله عليه السلام مثلاً : "سافروا تصحوا "[٢] . وقوله : "...فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه .. "[٣]، وقوله : " يا أبا ذر جدد السفينة فإن البحر عميق، وخفف الحمل فإن السفر بعيد، وأحمل الزاد فإن العقبة طويلة، وأخلص العمل فإن الناقد بصير "[٤]، ثم حديث " الملائكة السياحين "، وغيرها من النصوص، وهي كثيرة جداً .

انطلاقاً من هذه المرجعية إذن، تحول السفر إلى واحد من وسائل التعبد والتفكر، فاكتسى صبغة تربوية، منذ الطبقة الأولى من عباد بغداد خلال القرن الثالث ومن بعدهم ، ولذلك أفرد له مؤلفوهم أبوابا خاصة،

---

١ – الكهف / ٨٣ وما بعدها . وانظر أيضا : الأحزاب / ٥٠– البقرة / ٢١٨ – آل عمران / ١٩٠ – الأنفال / ٧٢ – الأنفال / ٧٤ – الأنفال / ٧٥– التوبة /٢٠– النحل / ٤١– النحل / ١١٠– الحج / ٥٨ – الممتحنة / ١٠ – التوبة / ١٠٠.

٢ –حديث حسن أخرجه ابن السني وأبو نعيم في الطب عن أبي سعيد -- الجامع الصغير –السيوطي – دار الفكر – بيروت – ١٩٨١ – ج ٢ – ص ٣٩ .

٣ –حديث متفق عليه أخرجه البخاري في الصحيح – دار إحياء التراث – ط بيروت – لات – ج ١ – ص : ٢١ . ومسلم في صحيحه – دار إحياء التراث – بيروت – لات – ج : ٣ ص : ١٥١٥ .

٤–حديث رواه الديلمي في الفردوس– انظر : الفردوس بمأثور الخطاب – لأبي شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي الهمذاني (ت ٥٠٩ هـ) – تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول – دار الكتب العلمية – بيروت – ط ١ – ١٩٨٦ . ج : ٥ ص : ٣٣٩ .

كالطوسي [١]، و المكي [٢]، والقشيري [٣]، والغزالي [٤] ...

هذا إضافة إلى عدد من المؤلفات الكبرى المعروفة في التاريخ الإسلامي التي تأسست أصلا على هذه الصورة المرجعية كليةً مثل كتاب : منازل السائرين إلى الله، للهروي الأنصاري، وكتاب : مدارج السالكين، وكتاب : وطريق الهجرتين، وكتاب : زاد المهاجر إلى ربه لابن قيم الجوزية ... وغيرها .

ولهذا وجدناهم يطلقون تصنيفات مثل : " السياحين" و" المسافرين "... باستمرار في مؤلفاتهم [٥].

وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة إلى عموم أدب الرحلة الإسلامي، فإن التداخل في أدب الرحلات المغربية تعمق بشكل واضح ومثير يجعل من الصعوبة بمكان تصنيف نصوصه ضمن خانة بعينها، خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار بعد المسافة التي تفصل بلاد المغرب عن الحجاز، مهبط الوحي وتربة صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام، التي لا تكتمل أركان الإسلام إلا في بقاعها المقدسة .

إنه ارتباط فرض على أهل الغرب الإسلامي لزاما خوض تجربة السفر

---

١ – اللمع – لأبي نصر السراج الطوسي (ت ٣٧٨ هـ) – تحقيق د عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور – دار الكتب الحديثة بمصر – ومكتبة المثنى ببغداد – ١٩٦٠ – من : ص ٢٩٧ – إلى : ص ٢٣٣ – ومن : ص ٢٥٠ – إلى : ص ٢٥٢ .

٢ – قوت القلوب – لأبي طالب المكي (ت ٣٨٦ هـ) – دار الفكر – بيروت – لات :٢ / ٦٣ .

٣ – نفسه – ٢ / ٣٠٤ .

٤ – إحياء علوم الدين – لابي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) – دار الفكر – بيروت – ط ١ – ١٩٩١ : ٢ / ٢٦٧ .

٥ –انظر في ذلك : مثلا : اللمع – ص : ٤٢ – والإحياء : ٣ / ٨٤ .

والرحلة ومتعلقاتها، وجعلهم يحرصون على استغلال ما يبذلونه فيها من مشقة، وما يلقونه من تعب في تحقيق أقصى الفوائد، وتحصيل أكبر قدر من المرويات والمدركات والمواعظ والعبر التربوية، إلى جانب مناسك الحج طبعا .. الخ [١] .

هكذا إذن، بالنظر إلى كل ما ذكرنا، تدور تجربة الكتابة السفرية، أو أدب الرحلات المغربية عموما على ثلاثة مقاصد أساسية هي :

أ – الحج إلى البقاع المقدسة .

ب – التفكر في عجائب صنع الله ومصائر الخلق .

ج – اللقاء بالأكابر من علماء ومشايخ وعباد، طلبا للعلم والمعرفة، وطلبا للإجازة وطرق الرواية، وكذلك طلبا للاقتداء في الأخلاق والسلوك .

بل إن الأمر عند المغاربة سيفضي في النهاية إلى إفراز فن أدبي متخصص برعوا فيه بشكل كبير، ألا وهو أدب الرحلة الحجازية، أو " الحجازيات " كما اصطلح على تسميته، أبدعوا فيه أيما إبداع وكثرت كتاباتهم ورسائلهم فيه بشكل كبير، إذ تعد بالعشرات . من هذه النصوص نذكر على سبيل المثال :

– الرحلة الصغرى المسماة : التعريف والإيجاز، ببعض ما تدعو الضرورة في طريق الحجاز، لصاحبنا أبي سالم العياشي [٢] .

---

١ – مقدمة ابن خلدون – تحقيق علي عبد الواحد وافي – دار النهضة المصرية – ١٩٥٦ – ص : ٨٠٥ .

٢ – منها ثلاث نسخ مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحمل أرقام : ٤٣ ك، ٢٨٣٩ د، ٢٧٩٣ د .

– الرحلة المقدسة لمحمد بن المرابط الدلائي [١] .

– حجازية أبي علي اليوسي [٢] .

– رحلة المنى والمنة، لأحمد المصطفى بن طوير الجنة الشنقيطي [٣] .

– هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام، والوقوف بالمشاعر العظام، وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام، لأحمد بن محمد الجزولي الهشتوكي [٤] .

– وله حجازية ثانية [٥].

– نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس، لأحمد بن علي القادري الحسني الفاسي [٦].

– رحلة القاصدين ورغبة الزائرين، لعبد الرحمن بن أبي القاسم الشاوي [٧] .

---

١ – منها نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ٣٦٤٤ د ، ضمن ديوان والده .

٢ – منها نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ١٤١٨ ك ضمن مجموع، وأخرى بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم : ٢٣٤٣ .

٣ – رحلة المنى والمنة لجامعها ومنشئها الطالب أحمد المصطفى بن طوير الجنة – عبد القادر زمامة– مجلة البحث العلمي– ع : ٢٨– س ١٤– يوليوز / دجنبر ١٩٧٨ – المعهد الجامعي للبحث العلمي – جامعة محمد الخامس –الرباط .

٤ – منها نسخة بخط المؤلف بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم:١٩٠ ق (٦٤ ميكروفيلم) .

٥ – منها نسخة يتيمة بخط المؤلف، بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ١٤٧ ق .

٦ – منها نسختان مخطوطتان بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ١٤١٨ ك ضمن مجموع، و: ٢٢١٦ ك . ونسخة ثالثة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: ٨٧٨٧ .

٧ – منها نسخة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم : ٥٦٥٦ .

– حجازية محمد الشرقي بن محمد الإسحاقي [١] .

– حجازية أبي مدين محمد بن أحمد السوسي الدرعي [٢].

– بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام، لعبد المجيد بن علي المنالي الزبادي الحسني

الفاسي [٣].

– حجازية محمد بن أحمد الجزولي الحضيكي [٤] .

– إحراز المعلى والرقيب، في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب، لابن عثمان المكناسي [٥] .

– حجازية أحمد بن محمد الفهري [٦] .

– الحجازيتان الصغرى [٧] والكبرى [٨] لمحمد بن عبد السلام الناصري الدرعي .

– حجازية إدريس بن عبد الهادي العلوي [٩] .

---

١ – منها نسخة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم : ١١٨٦٧ ، وثانية بخزانة القرويين بفاس تحت رقم : ١٢٥٨ .

٢ – منها نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ٢٩٧ ق ضمن مجموع .

٣ – منها نسختان مخطوطتان بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم :١٨٠٨ د، ورقم :٣٩٨ ك.

٤ – منها نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ٨٩٦ ضمن مجموع .

٥ – منها نسختان بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم : ٥٢٦٤، و : ١٢٣٠٧ .

٦ – منها نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ٨٨ ج ضمن مجموع .

٧ – منها نسختان بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم : ١٤٧، و : ١٢١ .

٨ – منها مخطوطة فريدة بخط المؤلف بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم : ٥٦٥٨ .

٩ – منها نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ١١١٥ د ضمن مجموع .

- حجازية محمد بن عبد الله الغيغائي العمري [١] .

- حجازية أحمد بن محمد السبعي السغروشني [٢] .

- حجازية عبد السلام بن محمد السرغيني العمراني المراكشي [٣] .

- حجازية محمد بن أحمد العلمي الحسني الفاسي [٤] .

- حجازية محمد بن الهاشمي بوشعراء السلوي [٥] .

- حجازية إدريس بن محمد السلاوي [٦] .

- حجازية أحمد بن العياشي سكيرج الفاسي الخزرجي [٧] .

- الرحلة الطنجوية الممزوجة بالمناسك المالكية، للحسن بن محمد الغسال الطنجي [٨].

- الرحلة المغربية المكية، لأحمد بن محمد السلاوي [٩] .

- الرحلة المعينية المحررة، إلى مكة والمدينة المنورة، لمحمد ماء العينين بن

---

١ – منها نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ٩٨ ج (١٢ ميكروفيلم) .

٢ – منها نسخة فريدة بخط المؤلف بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ٢٩٠٧ ك .

٣ – منها نسخة بالخزانة العامة تحت رقم : ١٠١٢ ك ضمن مجموع .

٤ – منها نسخة مخطوطة بالخزانة العامة تحت رقم : ١٠١٢ ك ضمن مجموع .

٥ – منها نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ٣٢٥٩ د .

٦ – منها نسخة مخطوطة ببعض الخزائن الخاصة بسلا .

٧ – مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم : ١٢٤٩٩ .

٨ – منها نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ١٤٩٦ د .

٩ – منها نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ١٨٥٠ د – ضمن مجموع (ميكروفيلم : ١٢١٦)

محمد العتيق الشنقيطي[١] .

– ومعظم هذه الرحلات لا زال مخطوطا في حاجة إلى التحقيق والدراسة والنشر ونفض غبار السنين عنه وإخراجه للباحثين وطلاب العلم، وهي ملاحظة يمكن اعتبارها بمثابة دعوة نوجهها إلى الباحثين والأكاديميين للعناية بهذا التراث النفيس والتعريف به .

طبعا بما أن موضوع مداخلتي هو مجتمع مكة في أدب الرحلة المغربية ، وبما أن الرحلات المذكورة كلها حجازية ، فمعنى هذا أنها بالضرورة تعرضت لهذا الأمر، ووصف أصحابها جملة من خصوصيات المجتمع المكي، وعادات أهله وغير ذلك ، بحيث لا يتسع المجال لاستقصاء كلها في هذه الندوة المباركة .

لهذا الاعتبار، فقد آثرت أن أقف على نموذج واحد منها ، وهو في اعتقادي أوسعها وأوعبها ، إذ لم يكتف فيه المؤلف بمشاهداته ومروياته المباشرة عن مجتمع مكة المكرمة ، بل استفاد كذلك من مرويات ومشاهدات من سبقوه من كتاب الرحلات المغاربة عبر القرون كالعبدري، وابن رشيد ، وغيرهما .

هذا النموذج الذي نتحدث عنه هو رحلة الشيخ العالم الفقيه المحدث الشاعر الأديب اللغوي، أبي سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن يوسف بن موسى بن محمد بن يوسف بن عبد الله العياشي، نسبة لآل عياش أو آيت عياش، قبيلة بربرية تتاخم الصحراء من أحواز سجلماسة، ولد سنة ١٠٣٧هـ

---

١ – منها نسخة على الميكروفيلم بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ٨٠ .

/١٦٢٨م بقرية تازروفت - على بعض روافد وادي زيز جنوب المغرب الأقصى، وتوفي سنة ١٠٩٠ هـ / ١٦٧٩ م . أخذ عن جملة من العلماء الناصريين، وعلماء فاس، ومراكش، وطرابلس، ومصر، وفلسطين، ومكة، والمدينة المنورة وغيرها .

ورحلته المقصودة هي المشهورة ب : " ماء الموائد " .

إنها رحلة جمع فيها المؤلف كل ما أمكنه الوقوف عليه من مشاهدات ومرويات، ومن فوائد ومعلومات في شتى أنواع الفنون والعلوم، ومن أسانيد ومسلسلات وإجازات ومناولات، وقضايا ونوازل ومناقشات فقهية، ومن حكايات الصالحين والعباد، وكذلك من مختلف الملاحظات التي أثارت انتباهه، على المستوى الاجتماعي، وأنماط السلوك والتفكير، وأشكال البدع والخرافات السائدة غير المؤصلة شرعا . وحرص فيها حتى على تدوين ما لاحظه من ظواهر وخصائص نباتية وجيولوجية ومناخية وغيرها ... ولذلك وصفها هو نفسه قائلا : " إذ الغرض من هذه الرحلة أن تكون ديوان علم، فلا آلو ما أدخلت فيها من الفوائد لرغبة كثير من الأصحاب في ذلك "[١].

إن القيام بعملية قراءة أولية لمشاهدات أبي سالم العياشي في مكة المكرمة يحمل الباحث على الاعتقاد بأنه رغم أن رحلة " ماء الموائد " لم تكن في أصل منطلقها استكشافية بالمعنى الجغرافي للكلمة، إذ كانت محكومة بخلفية المناسك التي شكلت لحمتها وسداها، وصفا ونقاشا وتأصيلا فقهيا ونقاشا وبسطا ورواية ومقارنة، إلا أن الحس الوصفي الذي كان يتمتع به أبو

١- الرحلة : ٥٤٦ .

سالم جعله يلتفت إلى جانب كل ذلك إلى جملة من الظواهر تتعدد مجالات تصنيفها : منها ما يتعلق بالظاهرة الطبيعية، ومنها ما يتعلق بالظاهرة البشرية أي بالأنماط السلوكية السائدة في المجتمع، ومنها ما يتعلق بالحركة العلمية ... الخ .

١ – فبالنسبة إلى المشاهدات ذات العلاقة بالظاهرة الطبيعية، لعل من المفيد الإشارة إلى أن هذا النوع من المشاهدات ربما لم جاز اعتباره على غير شرط موضوع المداخلة التي تدور حول خصوصيات المجتمع المكي، إلا أنه كان لا بد من الإشارة إليها هنا في عجالة لأنها في كثير من الأحيان تتحكم في صياغة بعض أنماط السوك والتفكير لدى أفراد مجتمع معين .

هكذا نجد أبا سالم يتحدث عن ما لفت انتباهه من خصوصيات نباتية مثل : زهر الخزامى في بعض المسالك، وأشجار العرعر في الطريق إلى الطائف [١] التي قال إنها تشبه ما يوجد في بلاده، وعن خصوبة الأرض وكثرة المزارع قرب مكة [٢]، وفي الطريق إلى جدة، هذه المزارع التي يذكر أنها كانت مصدرا أساسيا لما نال أهل مكة من رغد العيش وكثرة الخيرات ومن فواكه طيبة اشتهرت جودتها، من لحم وإدام ودلاع، أي البطيخ الذي قال إنه كان معروفا بالجودة عند أهل مكة [٣]، وغيرها .

وإلى جانب ما لقيه هو وأصحابه من عنت بسبب شدة الحر الذي لم يعتد مثله في بلاده، تحدث أبو سالم في المقابل عما كانت تتعرض له مكة

١ – الرحلة : ٦٠٧ .

٢ – الرحلة : ٥٩٥ .

٣ – الرحلة : ٦٠٢ .

المكرمة بين الحين والآخر من كوارث وخراب ودمار بسبب السيول، فذكر أنها تعرضت سنة تسع وثلاثين وألف ١٠٣٩ هـ لسيل عظيم قال إن الكعبة : " سجدت لله فيه ووقع معظمها "، فوصف بعض ما حدث فيه وما حل بالناس بسببه، روايةً عن بعض من شاهده وأدركه .

أما السيل الثاني الذي تعرضت له مكة المكرمة، فهو الذي حصل سنة ١٠٦٤ هـ وقت حلول أبي سالم بها، وقال إنه : " أفسد الطريق وخرب الأسواق والدور وأهلك الناس والأموال وأفسد معظم المسجد "[١] .

لقد أسهب المؤلف فعلا في الوصف الدقيق لما حل بالمدينة المقدسة نتيجة هذا السيل الأخير، وما خلفه من هلاك ودمار، وما كابده الطائفون من مشقة وعناء بسبب الطين المتراكم في فنائه وحول الكعبة، وما تلف أو ضاع فيه من نفائس الكتب والمصنفات، ثم ما أنفقه بعض رجال الدولة من أموال لإصلاح ما فسد وإعادة بناء البيت وتنظيفه، حسبما سيأتي بيانه وشيكا .

وإلى جانب ذلك، تحدث العياشي عن جملة من تفاصيل الحياة اليومية في المجتمع المكي التي نحسب أن منها ما هو معلوم لدى أهل عصرنا ولا زال العمل به جاريا في بعض مناطق الحجاز، وكان أحيانا يقف عندها واصفا بدقة، متعجبا أحيانا، ومقارنا أحيانا أخرى بين ما يشاهده في مكة وبواديها، وبين ما تركه في بلاده . من هذه الأمور نذكر على سبيل الإيجاز :

– عادة أهل الحجاز في السفر بالليل على غير عادة المغاربة[٢] .

---

١ – الرحلة : ٥٩٥ .

٢ – الرحلة : ٥٩٧ .

– عادتهم في التعامل مع الإبل، وفي تحميلها حسب إرادتها، وفي إعطائها الحرية في المشي على مهل بحسب إرادتها .[١]

– الوصف الدقيق لبعض آلاتهم ومتاعهم كالشقدف، وهو محمل كبير قال إنه ما رآه

إلا في أرض الحجاز : " ذو شقين، توضع كل واحدة على جنب البعير، ويقرن بينهما بحبال وثيقة على ظهره . ولا بد للراكب فيه من معادل له في الجهة الأخرى مقاربا له في الرزانة . ثم يوصل بين الشقين من أعلى بحبال، يظلل عليها بغطاء يقي الحر والبرد . وهو من أشهى المراكب وأهناها، سيما لمن له فرش وثيرة ووسائد يتكئ عليها من الجانبين ؛ فإنه لا يكاد يحس بأن الإبل تسير به، فقد رأينا من اعتاد الركوب فيه ينام من أول الليل إلى آخره، ولا يستيقظ إلا بإناخة الجمل عند النزول، وقد لا يستيقظ "[٢] .

– ظاهرة القهاوي التي لم يعتدها في بلاده، ينزل المسافرون في كل قهوة، فيستريحون ويشربون القهوة أو الماء ويشترون علفا للدواب . قال العياشي إنه وجد هذه القهاوي بين مكة والطائف، ووجد منها في الطريق إلى جدة ثمانية[٣] .

– وصف سكنى الجاج بمكة ومرافقها[٤] .

---

١ – الرحلة ٥٩٧ .

٢ – الرحلة : ٥٩٣ .

٣ – الرحلة : ٦٠٣ – ٦٠٧ .

٤ – الرحلة ٥٩٩ .

– هذا بالإضافة إلى وصف أهم مزارات مكة [١] كدار الأرقم، والمودع (مزار ينسب للشيخ عبد القادر الجيلاني)، ومسجد الجن [٢]، ومولد الرسول (ص) [٣]، ودار خديجة، ومولد فاطمة، ومولد علي، ودار أبي بكر، وغار جبل ثور، وشعب أبي طالب، وجبل أبي قبيس [٤]، و مولد عمر (ض)، والحجون حيث قبر خديجة ، والفضيل بن عياض، وبهاء الدين السبكي، وقباب كثيرة للشرفاء أمراء مكة ... الخ .مع المقارنة بين مشاهداته ومشاهدات ابن رشيد وموصوفاته (ماء قبط مثلا) [٥] .

٢ – أما على مستوى المشاهدات ذات العلاقة بالظاهرة البشرية أو أنماط السلوك والتفكير لدى المجتمع المكي، فقد كان أبو سالم حريصا غاية الحرص على أن لا يهمل شيئا مما لاحظه أو أثار انتباهه من عادات القوم وأخلاقهم ومكارمهم، سواء في أمور دينهم وعبادتهم، أو دنياهم ومعاشهم، مثنيا على علو همتهم في العبادة، ومحبتهم في القرآن وأهله، وحسن خدمتهم للحجاج، وكثرة اشتغالهم بالعلم وطلبه وتلقينه ... الخ .

ففي رمضان على سبيل المثال، ذكر الرجل بإعجاب كبير أن أهل مكة لحماسهم في العبادة، عادتُهم في رمضان أن يعتمروا بأُسَرهم [٦]، ومنهم

١ – الرحلة : ٦٢٣ .
٢ – الرحلة ٦٢٤ .
٣ – الرحلة : ٦٢٤ .
٤ – نفسه .
٥ – الرحلة ٦٢١ .
٦ – الرحلة ٦٩٩ .

من كان يخرج للتحنث في غار حراء [١] .

أما الأثرياء منهم، فقد قدم لنا صورة دقيقة ورائعة عن عادتهم في الاحتفال بهذا الشهر الكريم، وتشميرهم فيه للعبادة والطاعات، وخدمة الكتاب العزيز وأهله، إلى غير ذلك من أنواع القربات، وذلك في نص بديع نورد جزءا منه لأهميته – على طوله –. يقول : " ولما دخل شهر رمضان أخذ الناس بالجد ، وشمروا عن ساق الاجتهاد في العبادة، ونصبت الأسواق طول الليل كما هو شأن أهل المشرق في ليالي رمضان ؛ فلا تكاد ترى بالمسجد ليلا إلا طائفا أو تاليا أو مصليا . وأخذ الناس من أهل مكة والمجاورين في الاعتمار سيما ليلة الجمعة، فلا تكاد الطريق تنقطع طول الليل من التنعيم إلى مكة، ركبانا ومشاة، رجالا ونساء، وصبيانا وعبيداو إماء ...

واجتهد أهل الثروة من أهل مكة، فكان لكل واحد منهم مصباحٌ كبير بين يديه وخصفة يجلس فيها كل ليلة بالمسجد . ويأتي بنفر يقرؤون عنده من القرآن أجزاءً على المناوبة، إلى أن تذهب حصة من الليل ؛ فإن كان قارئا قرأ معهم، وإلا استمع . ويسقيهم من الأشربة اللذيذة على قدر وسعهم ويطيبهم . ويستعدون لذلك على قدر وسعهم ؛ فترى صحن المسجد على سعته يزهر مصابيح، وعلى كل مصباح نفر يقرؤون .

فإذا كان ليلة الختم احتُفل لها أكثر، حتى تكون ليلة العيد، فيعطِي كلُّ واحد منهم لمن يقرأ عنده كسوة ودراهم على قدر حاله ومروءته، فينتفع بذلك غاية ضعفةُ المغاربة المجاورين ممن كان يستظهر القرآن، سيما من

---

١ – الرحلة : ٦٠٦ .

كان حسن الصوت منهم . ومن كانت فيه صرامةٌ يقرأ في عدة أماكن، ويأخذ من كل مكان ما شورط عليه .

وبولغ في تنظيف مقامات الأئمة الأربعة، وترتب في كل مقام إمام يصلي بصلاته جماعةٌ كثيرةٌ من أهل مذهبه، ولهم مسمع . وأعظمهم أبهة وأكثرهم جعجعة وأصواتا مرتفعة الحنفية ؛ فيصلون بين كل تسليمتين بتحميدات وتهليلات وتسبيحات يرفع بها جماعة كثيرة من المؤذنين أصواتَهم، فيرتج لذلك ما حولهم من المسجد . فإذا كانت ليلة ختم كل واحد من أئمة المقامات احتفل لذلك أتم احتفال، وزيد في مصابيح المقام وفرشه وطيبه، وأُتي بشموع كبار هائلة، ورُفعت على حسك عظيمة رائقة . ويحضر الختمَ غالب من في المسجد من الناس، ويُخلع على الإمام بعد الفراغ من الصلاة خلعة من عند السلطان، ويُعطى فتوحا زائدا على الخلعة، كلٌّ على قدر حاله . وأول من يختم الشافعي وهو إمام مقام إبراهيم عليه السلام، ويختم ليلة إحدى وعشرين، والمالكي ليلة خمس وعشرين والحنفي ليلة سبع وعشرين، وَجَدَّ الناس في أنواع العبادات والطاعات ؛ وقد رأيت من المجاورين من يعتمر كل ليلة خمس وعشرين . ويخرج غالب الناس للعمرة من اعتمر قبل ذلك ومن لم يعتمر " .

وكان العياشي إذا تعجب من اجتهاد الناس ونشاطهم للعبادة يقول له شيخه أبو مهدي الثعالبي : إن هذا تأييد إلهي لسكان الحرم ببركة هذا الشهر . ويقول له : " إذا خرج هذا الشهر الكريم لا ترى في الناس حتى عشر نشاطهم . وكان الأمر كما قال ؛ فما هو إلا أن جاء يوم العيد، خف المسجد من سكانه وعُمَّارِه وفَتَرَتِ العزائمُ، حتى أنكرتُ نفسي في أنواع القربات من

طواف وغيره، فما هي التي أعهد " .

وكذلك الأمر في الحج، فقد أطال المؤلف في وصف فرح أهل مكة واهتبالهم به في أكثر من سياق قائلا : " أنه لما استهل شهر ذي الحجة غصت مكة بالوفود، وكثر الناس بها كثرة ما رأينا مثلها في غير هذه السنة . وحج خلق كثير من أهل اليمن وأطراف نجد والحجاز، لأن السنة كانت مخصبة، فسهل عليهم ذلك، وهم أكثر الناس في هذه السنة . وإن كان الأفاقيون أيضا في غاية الكثرة، إلا أن رحاب المسجد وأفنيته والشِّعاب إنما امتلأت من هؤلاء . فتهيأ أهل مكة للخروج من أول الشهر . وخرج غالب أهلها حتى العواتق وذوات الخدود، وبالغوا في انتقاء الفرش والمراكب المزينة ولذيذ الأطعمة كما هي عادتهم . وخرج غالبهم إلى عرفات في اليوم السادس . ويقيمون بها السابع والثامن . وتكون لهم فيها سوق عظيمة حافلة لا يُرى مثلها؛ يجلب إليها طرائف الأطعمة كما هو عادتهم، من الفواكه وغيرها من كل مكان "[١] .

ولعل مما تجدر إليه الإشارة أن ما ذكره العياشي في هذا النص من التفنن في أنواع الأطعمة والطيبات لم يكن أمرا مقتصرا على الأثرياء فحسب، بل أشار في غير ما موضع إلى أنه كان أمرا ميسورا بأسواق مكة المكرمة لكل الحجاج، بفضل ما يجلب إليها من المزارع المجاورة وغيرها من قبل رجال السلطان، وكذلك بفضل ما يبذله أعيان مكة وأمراؤها خدمة للحجيج، حتى قال : " ولم نعد نخرج معنا ما يثقلنا، لتمكن شراء المحتاج إليه

---

١ – الرحلة : ٦٢٧ .

في كل مكان ".

بل صار أحيانا يجد الماء أو غيره متوفرا في بعض البقاع، فيأسف على ما تكبده من مشقةِ حملِه خشيةَ فقدانه . يقول : " واستقينا من المشعر ماء للاغتسال بعرفة، وآوينا إلى ظل جدار من جدران المسجد . ووجدنا الماء كثيرا في أبواب المسجد، سبله بعض أرباب الدولة جزاه الله خيرا ؛ يبعث روايا، حتى إذا فرغت بعث غيرها، لا يُذاد عنها شارب ولا متطهر . إلى أن صلى الناس وذهبوا إلى الموقف، ولم يُعهد ذلك في غير هذه السنة "[١] .

هذه الحركة الاقتصادية التي تعرفها مكة وما إليها، إلى جانب الحركة الدينية التعبدية، جعلت العياشي يشبه منى بحال الدنيا : " قصور عالية وأسواق حافلة، وجنود مجندة، وملابس فاخرة، وأطعمة شهية ومراكب هنية، وبضائع غير معدودة ومتاجر ثمينة، إلى أنواع العبادات من تكبير وتهليل وصلاة وقراءة ونحر وذبح وإطعام طعام ورمي جمار . وما الدنيا محمودها ومذمومها إلا ما ذكرنا "[٢] .

وهو في كل ذلك يؤكد المرة تلو الأخرى على الدور الذي كان يلعبه أرباب الدولة ورجال السلطان ليس في توفير الرخاء الاقتصادي المذكور وتأمين الحركة التجارية النشيطة وتوفير متطلبات الحجاج فحسب، بل أيضا في الإنفاق بسخاء على إصلاح المسجد الحرام حسبما سبقت إليه الإشارة، و في حفر الآبار والعيون والعناية بها[٣]، وفي توفير الأمن للمسافرين من مكة

١ – نفسه .

٢ – الرحلة : ٦١٠ .

٣ – الرحلة : ٦٠٧ .

وإليها، الأمر الذي انعكس على مستوى ونمط العيش فيها، ووقف عنده المؤلف وقفات عدة .

فعلى الرغم مما ذكره من كثرة السرقة والنهب بمكة أيام الموسم، لاختلاط الناس واجتماع الأوباش من كل أوب [1]،وما يحدث بسبب ذلك أحيانا من فتنة وضجيج بين الناس، وعلى عكس ما لاحظه في الطرق من المدينة وإليها من كثرة اللصوص وقطاع الطرق الذين يخلقون الرعب لدى القوافل المسافرة [2]، إلى جانب عسكر أميرها الذين ذكر أنهم كانوا ينتزعون الإبل من المسافرين ويقتادونها إليه، [3] يسجل العياشي بتقدير كبير أن الطريق من مكة وإليها آمنة لا يخاف فيها لص ولا قاطع طريق، وذكر أن ما يروى عن مستوى الأمن هذا يصل إلى حد الغرابة أحيانا .

يقول : " وقد شاهدنا في هذه الخطرة من العافية التي بسطها الله في الطرق والقرى والأمان التام ما قضينا منه العجب ؛ فمن ذلك أنا لقينا عيرا في ليل مظلم تحمل أحمالا من البز الهندي والقماش الرفيع نحوا من عشرين جملا، وطلبنا أحدا من أصحابنا نسأله عن خبر البلد، فلم نجد معها أحدا . وذهبنا نحوا من ميل، فوجدنا أصحابها في قهوة مستريحين، وأخبرونا أنها لو ذهبت كذلك إلى مكة لم يَتَعَرَّضْهَا أحد . وأخبرونا بعجائبَ من مثل ذلك وقعت في أيام الأمير زيد ووالده محسن ؛ فمن ذلك أنهم زعموا أن رجلا جاء إلى السلطان محسن، فقال له : إني وجدت بالفلاة الفلانية حملا من البز في

١ – الرحلة : ٥٩٥ .

٢ – الرحلة : ٥٩٥ – ٦٣١ .

٣ – الرحلة : ٥٩٥ .

الطريق . فقال له : ومن أخبرك أنه من البز ؟ فقال : مسسته برجلي . فأمر بقطع رجله ، وقال له : لِمَ مسسته ؟ إلى غير ذلك من أمثال هذه الحكايات ، لا نعلم صحيحها من سقيمها .

ومن لطيف ما شهدناه من أمان هذه الديار وعافيتها أن المسافرين من مكة إلى جدة ومن جدة إليها يكترون الحمير للركوب ولا يذهب صاحب الدابة معها ، فإذا بلغ المكتري إلى المحل الذي ذهب إليه أرسل الحمار ولا عليه فيه ؛ فلا يأخذه أحد إلا ربه إن كان في ذلك البلد أو نائبه . ولكل واحد من أصحاب الدواب نائب في غير البلد الذي هو فيه يعرف دابته ويقبضها حتى يكريها له ممن يرجع إلى البلد الذي هو فيه " .

وهذا الحماس الذي أبداه أبو سالم العياشي في الثناء على أهل مكة ، وتعداد فضائلهم ومكارمهم ، لم ينل منه ما صادفه في بعض السياقات وبعض الظروف من ممارسات ينسبها إلى بعض المكارين من أعراب بادية الحجاز [1] الذين لقي منهم _ هو وصحبه _ عنتا كبيرا بسبب الإساءة إليهم بالغلظة وكثرة إخلاف الوعود والزيادة في ثمن كراء الجمال كل مرة ، " حتى بعد شد الأحمال عليها " . وربما فعلوا ذلك في وسط الطريق ، وهددوا بطرح الأمتعة ، ولذلك وصف بعضهم بأنهم : من أجلاف الأكرياء ، " ليس لهم دين ولا مروءة " [2] .

ولم ينل منه حتى ما لاحظه عند بعض الأهالي من تقاليد وعادات حاول

١ – الرحلة ٥٩٤ .

٢ – الرحلة : ٦٢٧ – ٦٢٨ .

باستمرار أن يتعامل معها من منظور الفقيه الذي يحرص على الوقوف في كل صغيرة وكبيرة على أحكام الشريعة وحدودها، فيرفض ما خالفها ويمتنع عن مشاركة القوم فيه، ويناقش أو يتحفظ في ما فيه خلاف.

من ذلك مثلا أنه وجد عادة بعضهم الخروج ليلـــة ذي القعدة إلى قبر عبد الله بن عمر، وذكر من خرافاتهم في ذلك أنهم يأخذون معهم نوى التمر فيدفنونه بالأرض في ذلك الجبل تلك الليلة، ويزعمون أن من دفن شيئا حصل له في تلك السنة بعدده ريالا أو دنانير، لكن العياشي رفض الخروج معهم، إذ لم يجد له أصلا في كتاب الله ولا في سنة رسوله (ص)[١].

وأشار كذلك في عجالة إلى عادتهم ليلتها في عمل مولد كبير في مشهد السيد العيدروس عند الشبيكة.[٢]

ومن ذلك ما ذكره من أن: " غالب المساجد والمزارت التي هي خارج مكة تُنْتَهك في أيام الموسم، وينزلها الناس بدوابهم، ويطبخون فيها من غير نكير، وهي من البلايا العظيمة ".[٣] حتى إن مسجد النحر، وهو موضع منحر النبي ﷺ في منى، انهدم أكثره، وتلوث بالأقذار والكناسات.[٤]

ومن العادات التي قال إنها مذمومة أن بعض الناس كانوا يحرصون على مشاهدة خلع السلطان على الأمير يوم العيد أكثر من حرصهم على الخطبة، فإذا تم ذلك انصرفوا قبل أن يكمل الخطيب خطبته. يقول: " ولما كان يوم

---

١ – الرحلة: ٦٠٥.

٢ – الرحلة: ٦٩٦.

٣ – الرحلة: ٦٢٦.

٤ – نفسه.

الأربعاء يوم الفطر، بكر الناس لأخذ مواضعهم للصلاة في المسجد، وبكرتُ وجلست قرب المنبر لاستماع الخطبة . فلم يأت الإمام حتى ارتفعت الشمس وبدا الحر، وخطب خطبة بليغة وأطالها . وقدم مع الإمام جماعة من المؤذنين وأكابر الناس، معهم ألوية، وعلى باب المنبر ألوية أخر، وفرش المنبر كله بالديباج، وجلس المؤذنون تحته إلى باب المنبر، فلما وصل إلى ذكر السلطان والدعاء إليه قام إليه أحد أصحاب الأمير وخلع عليه الخلعة وهو يخطب . وما هو إلا أن يخلع عليه فيذهب الذي معه وتتابع الناس أفواجا حتى لا يكاد يبقى مع الخطيب إلا قليلٌ من الناس، ولا ينتظرون فراغ الخطبة ولا دعاء الإمام . وكان قصدهم إنما هو مشاهدة الخلع على الخطيب، وتلك عادة مذمومة . ولما انفض الجمع ذهب كل واحد إلى منزله، ومن كان له صديق حميم أو قريب أو ولي نعمة ذهب للسلام عليه في مجلسه، ولو لقيه في المسجد أو جلس معه لا يكتفي بذلك حتى يأتيه إلى منزله .[1]

ومن الأمور التي اعترض عليها العياشي، أن بعض الحجاج يشترون الغنم ويصعدون لأكلها في جبل أبي قبيس زاعمين أن ذلك يقي فاعلَه من وجع الأسنان والرأس[2] .

واعترض كذلك على عادة الحجاج أخذ نجارات الخشب وبعض تراب البيت للبركة، على أساس اعتبارها من متاع البيت الحرام، لا يجوز أخذه بصرف النظر عن تفاهة المأخوذ، أو القصد منه .[3]

---

١ – الرحلة : ٦٠١ .

٢ – الرحلة : ٦٢٣ .

٣ – الرحلة : ٦٠٥ .

وتحفظ برفق من روايات عدة لم يصح له بشأنها دليل، مثل : نسبة حكاية الذبيح عليه وعلى نبينا السلام إلى موضع مسجد الكبش [١]، أونسبة حلق رسول الله (ص) إلى موضع مسجد بعينه [٢]، وسفه ما ذهب إليه بعضهم بشأن قبر علي كرم الله وجهه [٣].

وعلى عادة العلماء المحققين، كان الرجل لا يتردد في تصحيح ما يبدو له أوهام العوام في مروياتهم، مستنجدا في ذلك بأمهات الكتب العلمية، مثلما فعل مع قبر الإمام القشيري النيسابوري الذي جزم بأنه لابنه، بعد الرجوع إلى طبقات تاج الدين السبكي [٤].

لكنه كان في كل هذا وذاك حريصا على التزام حدود الأدب، سواء في الرفض أو التصحيح أو التحفظ أو غير ذلك .

٣ – وباعتبار اشتغال العياشي بالعلوم الشرعية وانتمائه إلى حملتها، فقد كان طبيعيا أن يقف مليا عند طبقة مهمة من مكونات المجتمع المكي، ألا وهي طبقة العلماء والفقهاء، فوصف بإسهاب – وإطناب أحيانا – ما كانت تعرفه الساحة العلمية من ازدهار ومن حركة نشيطة على جميع المستويات، تعلما، وتعليما، وجمعا، وتأليفا، وتوثيقا، وشرحا، وتعليقا، وجدالا، ومناظرة، وإجازة، واستجازة، ورواية، وسماعا، ومناولة، إضافة إلى الأعمال الإحسانية الخيرية التي كان يضطلع بها العلماء، كحفر العيون

---

١ – الرحلة : ٦٢٧ .

٢ – نفسه .

٣ – الرحلة : ٦٢٤ .

٤ – نفسه .

والآبار، وإصلاح الطرق، ومساعدة الفقراء، وغير ذلك، الشيء الذي انعكس على نص الرحلة نفسها، إذ حفلت بعدد من النصوص والمعلومات القيمة في هذا الصدد .

وقد أمدنا العياشي بأسماء عدد كبير من أكابر العلماء الذين أثروا الساحة العلمية بمكة في أيامه، غير أن ما يثير الانتباه في هذا الأمر أن عددا كبيرا ممن ذكرهم كانوا مغاربة، وكان لهم حضور قوي في المجتمع المكي، وعلى رأسهم شيخه أبو مهدي عيسى الثعالبي، الذي ترجم له ولعدد من شيوخه، وذكر أنه لازمه وأخذ عنه في شتى العلوم، واستجازه، وارتبط به في الحج وغيره، وحكى كثيرا من مذاكراته العلمية معه ومروياته إلى غير ذلك، وقال إنه كانت له وجاهةٌ وقبولٌ تامٌ عند أهل الدنيا والآخرة معا .[1]

ومن هؤلاء كذلك شيخه أبو زيد عبد الرحمان بن أحمد المكناسي الحسني المغربي الذي أخذ عن عدد من أعلام فاس وقصر كتامة وتامسنا والقصر واصطنبول . وذكر أنه لصلاحه واستقامته صارت له وجاهة ومحبة وتقدير لا في نفوس العوام فحسب، بل أيضا في نفوس رجال الدولة والأمراء والأثرياء من أهل البلد، وفي نفوس الفقراء والمحتاجين كذلك، حتى صار ملجأ لهم . يقول : " وأتحفه أمراء الأطراف بالهدايا السنية وفاخر العطية، وحصلت له بمكة وجاهة كبيرة، ومنزلة خطيرة عند أمرائها . وبث العطاء في العباد، وسال من غيث سخائه كل واد . فعم معروفه أهل مكة، الأمراء فمن دونهم . ولا يتمسك من الدنيا بقليل ولا كثير . ولا يقتني منها ملبوسا ولا

١ – الرحلة : ٦١٦ .

مركوبا ... وكان له عبيد وإماء للخدمة في غير الدار التي يسكنها . ولم يتخذ من الفُرُش سوى حصير يجلس عليه أو لبد وما يشبه ذلك . غالب لباسه شتاء وصيفا قميص واحد وكوفية على رأسه ... وقد أخبرني بعض أصحابنا أن له في كل يوم مصروفا نحوٌ من مائة قرش في أهل مكة ؛ منهم ذو الدرهمين إلى العشرة إلى العشرين إلى أكثر، سوى ما يكون للفقراء والغرباء من خبز ولحم وغير ذلك . وكان بعد أن كثرت حمالته واتسعت دائرته، وفشا معروفه في الناس وصار أكثر الفقراء والمنتسبين بمكة عيالا عليه، ربما يقل ما بيده فيستدين، وربما بلغ الدين الذي عليه إلى الخمسين ألفا أو إلى مائة ألف، فيؤدي الله ذلك عنه ..." .

ومنهم كذلك الشيخ محمد الغدامسي [١]، والشيخ عبد العزيز التواتي – من أهل تيجورارين جنوب المغرب الأقصى _ الذي لقيه بالطائف وقال إنه تزوج امرأة من أهل البلد، ورزق منها عدة أولاد، وله عند أهلها مكانة [٢] .

ونتيجة لهذا الحضور العلمي القوي للمغاربة في المجتمع المكي، ونتيجة لشدة التواصل العلمي والفكري بين مجتمع مكة المكرمة ومجتمعات كل الأمصار الإسلامية مهما بعدت المسافة الجغرافية بينها، وجدنا سوق الوراقة والمكتبات تزخر بعدد كبير من نفائس المخطوطات المغربية والأندلسية في شتى أنواع العلوم، نكتفي هنا بذكر بعض منها على سبيل المثال لا الحصر :

– رحلة ابن رشيد السبتي (نسخة فريدة) [٣].

---

١ – الرحلة : ٥٩٩ .

٢ – الرحلة : ٦٠٧ .

٣ – الرحلة : ٦٢١ .

– منتهى السول في مدح الرسول لمحمد بن أبي القاسم بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري (ق ٧ هـ) .[١]

– " الدرة السنية في المعالم السنية "، وهو في السيرة النبوية .

– " الأعلام المحمدية " للقاضي أبي عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ الأزدي . وذكر في آخره أن عدد أبيات الكتاب سبعة آلاف بيت من الرجز . وأنه أنشأه بقرطبة سنة أربع عشرة وستمائة .. "[٢] .

– كتاب " اللآلئ المجموعة من باهر النظام وبارع الكلام ... "، جمعه عبد الله بن محمد بن هارون الطائي القرطبي، وجملة ما فيه من المقطعات ينيف على مائة وثلاثين، بين صغيرة وكبيرة ....

– ثم كتاب عيون الأدلة لابن القصار، والمدونة الكبرى، وغيرهما من الكتب التي أتلفها السيل ضمن ما أتلفه في هذه السنة[٣] .

هذا بالإضافة إلى عدد من نوادر المصنفات الأخرى التي وقف عليها العياشي ووصفها بالغريبة لكنه ذكرها بشكل عرضي، مثل : " تاريخ الإسلام " للحافظ أبي عبد الله الذهبي في عشرة أجزاء كبار، وكتاب " طبقات " المنوفي .

وأشار إلى أن من أهل العلم من كان ضنينا بهذه الكتب، فصار يستنجد بشيخه الثعالبي بين الفينة الأخرى لاستعارتها منهم .

---

١ – نفسه .

٢ – الرحلة : ٦٢١ .

٣ – الرحلة ٥٩٧ .

ولكثرة المغاربة المجاورين بمكة واشتهارهم فيها بحفظ القرآن خصوصا، وبالعلم والصلاح كما أسلفنا، فقد وجدنا بها رباطا خاصا بهم معدا لنزولهم، هو رباط الموفق [١].

ومن علامات هذا الحضور القوي للمغاربة في الحركة العلمية بمكة المشرفة، تلكم النازلة التي روى أنها حصلت بين الحنفية والمالكية، بشأن الصلاة، وألف هو رسالة فاصلة في إشكالاتها الفقهية، وبيان الصواب فيها، أوردها بنصها كاملة. [٢]

أما المغاربة المقيمون الذين اشتغلوا بالتجارة بين أهل مكة وصاروا من أثريائها، فلم يذكر العياشي منهم إلا التاجر الحاج العنابي التونسي الذي أثنى بحرارة على فضله وخلقه وصلاحه [٣].

وطبعا إلى جانب المغاربة، يذكر العياشي عددا كبيرا من العلماء أخذ عنهم وأخذوا عنه، وأجازوه وأجازهم، وجالسهم، وذكر نبذا من حكاياتهم ونوادرهم وأشعارهم، ينحدرون من اليمن [٤] ومصر، والشام، وبلاد العجم، وغيرها من بلاد الإسلام [٥].

وهو أمر يمكن أن نستبط منه بالتبع صورة واضحة جلية عن طبيعة تركيبة المجتمع المكي نفسه المتنوعة، باعتبار انتماء عدد من مكوناته إلى

١ – الرحلة: ٥٩٥.

٢ – الرحلة: ٦٢٢.

٣ – الرحلة: ٦٠٣.

٤ – الرحلة: ٦١٨.

٥ – الرحلة: ٦١٠ – ٦١١ – ٦١٥ – ٦١٦ – ٦١٨ – ٦٢٠.

جذور تتوزع على امتداد بقعة العالم الإسلامي آنذاك، من أقصى بلاد المغرب إلى أقصى بلاد الصين ، وهو أمر طبيعي كما هو معلوم، بالنظر إلى قدسية مكة المكرمة، وكونها محج المسلمين، ومهوى أفئدتهم، الذي تشرئب إليه الأعناق، وتتطلع إلى بلوغه القلوب، زادها الله تشريفا وتعظيما .

***

وفي ختام هذه الكلمة الوجيزة لا بد من الإشارة إلى أن ماقمنا به في واقع الأمر ليس إلا قراءة مركزة سريعة لأهم ما سجله أبو سالم العياشي من مشاهدات وملاحظات عن خصوصيات المجتمع المكي في زمانه، وإلا فإن تفصيل الكلام في هذا الأمر لا يتسع المجال له هنا، وأرجو أن تتاح فرص أخرى لبسط الحديث فيه بتفصيل .

هذا مع الإشارة إلى أن موضوع أدب الرحلات المغربية، واحد من أهم الموضوعات العلمية التي من حقها أن تنظم لها ندوات متخصصة لفائدته العلمية القصوى ليس في عملية الوصف السطحي والتقريري فحسب، بل أيضا لكونه جسرا يفتح آفاقا للتواصل والتلاقح بين مختلف الأعراق والأجناس، والحضارات، والثقافات، والأنماط الفكرية، فبالأحرى بين أبناء الوطن الإسلامي الواحد الذي تجمعه من عرى الدين، واللغة، والحضارة، والتاريخ المشرك، والمصير المشترك. ما يجعلنا في الحقيقة :

– من جهة نقف مشدوهين أمام قدرة أسلافنا على تحمل المشاق والمصاعب، طلبا لهذا التواصل والتلاقح، وصلة الرحم، مع إخوة الإسلام . وما الحج نفسه إلا ملتقى سنوي دعا إليه الحق سبحانه لغاية توثيق هذه اللحمة .

– ومن جهة ثانية، مدعوين إلى السير على نهجهم والاقتداء بهم في هذا

المطلب، خصوصا في ظل ما عرفه عصرنا من تطور علمي يسر عملية التواصل هذه، ورفع حرج السفر بالتنقل الجسماني، وسهل إمكانيات تداول المعلومات والعلوم والمدركات .

فعندما كان أبو سالم العياشي يقطع كل هذه المسافات، لم يكن قاصدا من وراء ذلك الاكتفاء باستكشاف العوالم الغريبة بالمعنى الجغرافي الفيزيقي للكلمة فحسب، وإنا كان قاصدا – بالدرجة الأولى – ربط الفروع بأصولها ، ولذلك كان يعتبر نفسه – كمسلمٍ – حجازيَّ الهوى، مكيَّ الدين والعقيدة .

وإحساسه هذا بالانتماء إلى المجتمع المكي هو الذي جعله لا يجد حرجا في التعامل مع كل مكوناته، وتأخذه الغيرة عليه، وأحيانا يصحح ما بدا له غير سليم فيه، ولذلك علم بمكة وتعلم، وأجاز واستجاز، وأفاد واستفاد ، وخدم وخدم، من قبل كل المقيمين الذين كانوا مثله مكيين هوى وعقيدة ودينا ، وإن اختلفت انتماءاتهم العرقية .

وفي المقابل، وبنفس الصدق والمحبة ظلت مكة منذ فجر الإسلام حضنا ووطنا وملتقى لكل المسلمين حتى صارت خليطا من الأعراق وكل الأجناس من أهل الملة، ولذلك وجدنا العياشي يتحدث عن رجال تبوؤوا بها أعلى المراتب العلمية الدينية والدنيوية ، سواء من المغاربة أو من أهل مصر أو اليمن أو الشام أو غيرها .

ولهذا الاعتبار أساسا نختم بالعودة مرة أخرى إلى التأكيد على الدعوة إلى الاهتمام بأدب الرحلات المغربية ، واستثماره كخلفية تاريخية في أفق تأسيس حركة رجعة قوية إلى التمسك بتلكم اللحمة بين أقطار بلاد الإسلام

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

المطبوعات :

+ الجامع الصغير– للسيوطي – دار الفكر – بيروت – ١٩٨١ .

+ الجامع الصحيح – للبخاري – دار إحياء التراث – بيروت – لات .

+ الصحيح – مسلم – دار إحياء التراث – بيروت – لات .

+ الفردوس بمأثور الخطاب – لأبي شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي الهمذاني (ت ٥٠٩ هـ) – تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول – دار الكتب العلمية – بيروت – ط ١ – ١٩٨٦ .

+ اللمع – لأبي نصر السراج الطوسي (ت ٣٧٨ هـ) – تحقيق د عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور – دار الكتب الحديثة بمصر – ومكتبة المثنى ببغداد – ١٩٦٠ .

+ قوت القلوب – لأبي طالب المكي . محمد بن علي (ت ٣٨٦ هـ) – دار الفكر– بيروت – لات .

+ إحياء علوم الدين – لابي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) – دار الفكر – بيروت– ط – ١ – ١٩٩١ .

+ مقدمة كتاب العبر – لعبد الرحمن بن خلدون – تحقيق علي عبد الواحد وافي – دار النهضة المصرية – القاهرة – ١٩٥٦ .

+ الرحلة العياشية (ماء الموائد) – لأبي سالم العياشي – طبعة حجرية – منشورة بعناية : محمد حجي – لات .

+ رحلة المنى والمنة لجامعها ومنشئها الطالب أحمد المصطفى بن طوير الجنة – عبد القادر زمامة – مجلة البحث العلمي – ع : ٢٨ – س ١٤– يوليوز / دجنبر ١٩٧٨ – المعهد الجامعي للبحث العلمي – جامعة محمد الخامس – الرباط .

المخطوطات :

+ التعريف والإيجاز، ببعض ما تدعو الضرورة إليه في طريق الحجاز، لأبي سالم العياشي . الخزانة العامة بالرباط . أرقام : ٤٣ ك، ٢٨٣٩ د، ٢٧٩٣ د

+ الرحلة المقدسة لمحمد بن المرابط الدلائي – الخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ٣٦٤٤ د .

+ حجازية أبي علي اليوسي – الخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ١٤١٨ ك ضمن مجموع، وأخرى بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم : ٢٣٤٣ .

+ هداية الملك العلام، إلى بيت الله الحرام، والوقوف بالمشاعر العظام، وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام، لأحمد بن محمد الجزولي الهشتوكي – الخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ١٩٠ ق (٦٤ ميكروفيلم) .

+ حجازية ثانية له – الخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ١٤٧ ق .

+ نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس، لأحمد بن علي القادري الحسني الفاسي . الخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ١٤١٨ ك ضمن مجموع، و:

٣٢١٦ ك – الخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم : ٨٧٨٧ .

+ رحلة القاصدين ورغبة الزائرين، لعبد الرحمن بن أبي القاسم الشاوي – الخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم : ٥٦٥٦ .

+ حجازية محمد الشرقي بن محمد الإسحاقي – الخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم : ١١٨٦٧ ، وثانية بخزانة القرويين بفاس تحت رقم : ١٢٥٨ .

+ حجازية أبي مدين محمد بن أحمد السوسي الدرعي – الخزانة العامة بالرباط تحت رقم: ٢٩٧ ق ضمن مجموع .

+ بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام، لعبد المجيد بن علي المنالي الزبادي الحسني الفاسي – الخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ١٨٠٨ د ، ورقم : ٣٩٨ ك .

+ حجازية محمد بن أحمد الجزولي الحضيكي الخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ٨٩٦ ضمن مجموع .

+ إحراز المعلى والرقيب، في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب، لابن عثمان المكناسي – الخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم : ٥٢٦٤ ، و : ١٢٣٠٧ .

+ حجازية أحمد بن محمد الفهري – الخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ٨٨ ج ضمن مجموع .

+ الحجازية الصغرى لمحمد بن عبد السلام الناصري الدرعي – الخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم : ١٤٧ ، و : ١٢١ .

+ الحجازية الكبرى لمحمد بن عبد السلام الناصري الدرعي – الخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم : ٥٦٥٨ .

+ حجازية إدريس بن عبد الهادي العلوي – الخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ١١١٥ د ضمن مجموع .

+ حجازية محمد بن عبد الله الغيغائي العمري – الرباط تحت رقم : ٩٨ ج (ميكروفيلم : ١٢) .

+ حجازية أحمد بن محمد السبعي السغروشني– الخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ٢٩٠٧ ك .

+ حجازية عبد السلام بن محمد السرغيني العمراني المراكشي – الخزانة العامة تحت رقم : ١٠١٢ ك ضمن مجموع .

+ حجازية محمد بن أحمد العلمي الحسني الفاسي – الخزانة العامة تحت رقم : ١٠١٢ ك ضمن مجموع .

+ حجازية محمد بن الهاشمي بوشعراء السلوي – الخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ٣٢٥٩ د .

+ حجازية إدريس بن محمد السلاوي – نسخة مخطوطة ببعض الخزائن الخاصة بسلا .

+ حجازية أحمد بن العياشي سكيرج الفاسي الخزرجي – الخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم : ١٢٤٩٩ .

+ الرحلة الطنجوية الممزوجة بالمناسك المالكية، للحسن بن محمد الغسال

الطنجي – الخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ١٤٩٦ د .

+ الرحلة المغربية المكية، لأحمد بن محمد السلاوي – الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ١٨٥٠ د ضمن مجموع (ميكروفيلم : ١٢١٦) .

+ الرحلة المعينية المحررة، إلى مكة والمدينة المنورة، لمحمد ماء العينين بن محمد العتيق الشنقيطي – نسخة على الميكروفيلم بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ٨٠ .

"أسماء من تولى الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام من خلال كتاب العِقْدُ الثَّمِيْنُ في تَارِيخ الْبَلَدِ الأَمِيْنِ لتقي الدين الفاسي ت ٨٣٢هـ /١٤٢٨م"

إعداد

د. فوزي محمد عبده ساعاتي

أستاذ مشارك – قسم التاريخ – كلية الشريعة

جامعة أم القرى مكة المكرمة

بحث مقدم إلى ندوة

مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ



ملخص البحث

الحمد لله، حمد الشاكرين الموقنين، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمةً للعالمين. وبعد

فهذا ملخص لبحث "الوظائف الإدارية بالحرم المكي من خلال كتاب العِقْدُ الثَّمِيْنُ في تَارِيخ الْبَلَدِ الأَمِيْنِ" . وقد اشتمل البحث على مقدمة ثم الوظائف الدينية بالمسجد الحرام وفيها أربعة مباحث. المبحث الأول: الأئمة بالمسجد الحرام، المبحث الثاني: المؤذنون. المبحث الثالث: مشيخة ونظارة المسجد الحرام، المبحث الرابع: الوظائف الإدارية والخدمية بالمسجد الحرام. وهي : أ – مبَاشَرَة المسجد الحرام. ب – خدمات المسجد الحرام. وتقسم هذه الوظيفة إلى ثلاثة أقسام: ١– الفَراشون. ٢– الوقادون. ٣– أمناء الزيت والشمع. ثم الخاتمة.

***

المقدمـــة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونصلي ونسلم أفضل صلاة وتسليم على محمد وعلى آله الطيبين وصحابته الغر الميامين ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين وبعد

فإن من نعمة الله على عباده أن جعل لمكة مكانةً عظيمةً في نفوس المسلمين، وضع بها بيته، وأمر الله نبيه إبراهيم عليه السلام بأن يؤذن في الناس بالحج قال تعالى﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[سورة الحج آية (٢٧)]؛ فمنذ ذلك الفجر

بدء توافد البشر وظهرت مكانتها وفضلها وزادتا بظهور خاتم الأنبياء والرسل. كما كان لإقامة جموع من صحابته ﷺ وسلم بها ممن أوقفوا حياتهم على التعليم والإفتاء والتصنيف في مكة التي أصبحت منارة ازدهار للعلوم والمعرفة والثقافة، ومقصداً للعلماء وطلاب العلم ينهلون من معينها الذي لا ينضب ويستقون منها كل ما يلبي حاجاتهم في مشارب متنوعة، ويضمنون مؤلفاتهم جمعاً من الروايات والأخبار المتعلقة بمكة، بل إنهم جعلوها في صدارة اهتماماتهم، فأفردوها بالمصنفات في نواح مختلفة . ومن هنا كان جهدي في خدمة مكة، فكان هذا البحث : "الوظائف الإدارية بالحرم المكي من خلال كتاب العِقْدُ الثَّمِيْنُ في تَارِيخ الْبَلدِ الأَمِيْنِ" .؛ وسبب اختيار هذا البحث يرجع إلى أمور من أهمها :

- الارتباط بمكة من خلال هذه الدراسة.
- الوقوف على ما كتبه صاحب " العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين" في هذا الموضوع، واعتمدت في الدراسة على النسخة المحققة من قبل محمد حامد الفقي وآخرين – الطبعة الثانية –.
- مؤلفه من مواليد مكة وعلم بارز ومن كبار قضاة المالكية بها. مما أعطى لما رصد بين طيات مؤلفه بعض الضوء على الحركة الفكرية المكية.
- يعرض بين صفحات كتابه تراجم للأعيان والأعلام الذين عاشوا أو جاوروا أو ماتوا بمكة. مما جعل لكتابه قيمة علمية حضارية.
- اعتمد فيما أورده من معلومات على مؤلفات سابقه.– قد يكون بعضها مفقود – . كما اعتمد على مشاهداته ومشاهدات والده وجده، وأصبح كتابه هو المصدر الرئيسي لمن جاؤا بعده وأرخوا لمكة في هذه الفترة.

- في الكتاب رصد لأحداث ووقائع عاصرها المؤلف وشاهدها حتى سنة ٨٢٩هـ.
- في صفحات كتابه ترجمه لأمراء مكة، ورصد للحوادث السياسية، والاقتصادية والاجتماعية والعلمية، والدينية.
- وقد أملت طبيعة البحث أن تكون موضوعاته كالآتي:

مقدمة : عن مكانة مكة، وعن أسباب اختيار الموضوع. ثم الوظائف بالمسجد الحرام. وفيها أربعة مباحث: المبحث الأول: الأئمة بالمسجد الحرام.؛ وفيه أربعة أقسام. أولاً: أئمة مقام إبراهيم الخليل عليه السلام.؛ ثانياً: أئمة الحنفية بالمسجد الحرام .؛ ثالثاً: أئمة الحنابلة بالمسجد الحرام. رابعاً: أئمة المالكية بالمسجد الحرام. المبحث الثاني : المؤذنون المبحث الثالث: مشيخة المسجد ونظارة المسجد الحرام. المبحث الرابع: الوظائف الإدارية والخدمية بالمسجد الحرام. وهي : أ – مبَاشَرَة المسجد الحرام. ب – خدمات المسجد الحرام. وتقسم هذه الوظيفة إلى ثلاثة أقسام: ١– الفراشون. ٢– الوقادون. ٣– أمناء الزيت والشمع. ثم الخاتمة.

عملي في البحث:

وعلى الرغم من كبر حجم كتاب العقد الثمين والذي يقع في ثمانية أجزاء وبلغت صفحاته قرابة (٢٤٧٨) صفحة – باستثناء المقدمة والفهارس والمصادر والمراجع- على ترقيم الطبعة الثانية، بتحقيق ج١ محمد حامد الفقي، والأجزاء ٢–٧ فؤاد سيد، ج٨ محمود محمد الطناحي، مؤسسة الرسالة، بين عامي ١٤٠٥هـ(١٩٨٦م)، بيروت. فقد قمت بالقراءة في العقد الثمين سطراً سطراً وكلمة كلمة. ثم استخرجت الأسماء ورتبتها حسب حروف الهجاء التي يبتدئ بها كل اسم، وأشرت إلى الجزء والصفحة ورقم

الترجمة من العقد الثمين في يسار الصفحة. وأيضاً أشرت إلى مكان الوفاة إن كان قد توفي في غير مكة. وقد آثرت عدم التدخل في النصوص التي يسوقها المؤلف، وإن كان لي تعليق جعلته في الحاشية، وتفادياً لعدم إثقال الحاشية فقد وضعت بعض التعريفات ما بين حاصرتين (– –.) داخل النص. وحاولت قدر الإمكان في هامش الترجمة الإتيان بمصادر طبعت وحققت حديثاً.

***

الوظائف الدينية بالمسجد الحرام. وفيها أربعة مباحث:

المبحث الأول

الأئمة بالمسجد الحرام. وفيه أربعة أقسام:

أولاً أئمة مقام إبراهيم الخليل عليه السلام . مع ذكر مذهبهم: فالإمام مشتق من أَمَّ القوم وأَمَّ بهِمْ: تَقَدَّمَهُمْ، وهي الإمامَةُ وَالإمامُ. قال الجوهري: الإِمامُ الذِي يُقْتَدَى به وجمعه أيمَّة .[1] وقد ورد ذكر الإمامة صراحة في محكم التنزيل في أكثر من موضع كقوله تعالى : ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيقَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.؛[2] وقله ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.؛[3] كما وردت في بعض أحاديث رسول الله ﷺ منها ((كُلُّكُمْ راع وكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عن رعيتِه الإِمامُ راع ومسؤول عن

(١) ابن منظور: محمد (ت٧١١هـ)، لسان العرب، الجزء الأول، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، بدون، القاهرة، بدون. ص ١٣٣.

(٢) سورة البقرة آية (١٢٤).

(٣) سورة الفرقان آية (٧٤).

رعيته ...)).؛[١] وكان الرسول ﷺ، إمأم أَمته[٢] فهو الذي يؤم المصلين في الصلوات الخمس. ثم صار الخليفة إِمام الرَّعيَّة وأصبحت الإمامة ضمن اختصاصاته ثم تطور الأمر إلى أن يستنيبون من يأدي عنهم هذه المهمة، وكانوا يعينون أئمة الصلاة في جميع البلدان الخاضعة لحكمهم، وفي بعض الأحيان يتركون أمرها إلى الولاة.؛[٣] وقد بين النبي ﷺ أولى الناس بالإمامة في أحاديث نبوية منها: ((يَؤُمُّهُمْ اقْرَؤُهم لكتاب الله ...)).[٤] ومنها ((... وَلْيَؤُمَّكُمْ اكْبَرُكُمْ)).؛[٥] كما وضع لها الفقهاء شروطاً لابد من توفرها في الإمام منها العلم والعدل وسلامة الحواس والأعضاء.[٦] وكان يتبع الإمام أحياناً مباشرة عدد من الوظائف منها: التدريس والحسبة والفتيا،[٧] والخطابة.؛[٨] وقد كان الناس في المسجد الحرام يؤدون صلاتهم خلف إمام

---

(١) البخاري: محمد (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، الجزء الأول، المكتبة الإسلامية ١٩٨١م، استانبول، بدون، (كتاب الجمعة)- باب الجمعة في القرى والمدن-، ص ٢١٥.

(٢) ابن منظور، المصدر السابق. نفسه.

(٣) حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، الجزء الأول، دار النهضة العربية، ١٩٦٥م، القاهرة، بدون، ٩٤.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، ج١(كتاب الآذان) – باب إمامة العبد والمولى، ص ١٧٠.

(٥) البخاري، المصدر السابق، ج١(كتاب الآذان) – باب إذا استوا في القراءة فليؤمهم أكبرهم- ص ١٦٧.

(٦) الماوردي : علي (ت٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م، بيروت، بدون، ص ١٠١، ١٠٢.

(٧) الفاسي، العقد الثمين. ج٢، ص ١٣٥، ٢٣١، ٢٥٠.

(٨) النجم عمر بن فهد (ت ٨٨٥هـ)، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، الجزء الثالث، تحقيق فهيم محمد شلتوت، دار المدني، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م، جدة، بدون. ص ٨٨، ١١٥.

واحد هو إمام مقام إبراهيم[١] واستمر الحال إلى حوالي منتصف القرن الخامس الهجري، فأنشئت حول الكعبة أربعة مقامات تبعاً لتعدد المذاهب، فكان لكل مذهب من المذاهب السنية (الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي)- وأحياناً يضاف لها مقام خامس وهو مقام الزيدية-.[٢] إمام مقدم للصلاة لجماعته.؛ وجميع أئمة المقامات يمارسون عملهم بعد قراءة مرسوم بتعينهم في المسجد الحرام وبحضور جمع من أعيان مكة وكذا عزلهم.[٣] وله الحق في تعيين من ينوب عنه وغالباً ما يختار ولده[٤] أو أخوه أو قريبه.[٥] أما كيفية صلاة الأئمة بهذه المقامات فإنه كان إمام مقام الشافعي (في شرقي المسجد الحرام، أمام الكعبة وخلف مقام إبراهيم فوق بئر زمزم -. أول من يصلي من أئمة الحرم بعد إمام إبراهيم الخليل عليه السلام، ثم الحنفي[٦] - شمال الكعبة والمسجد الحرام، أمام ميزاب الكعبة والحجر أي بين الركنين الشامي والغربي جهة باب الزيادة-.، ثم المالكي في غربي المسجد الحرام،

---

(١) محمد صالح الطاسان، الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام في عهد دولة المماليك، مجلة العصور، م٥، ج٢، ذو الحجة ١٤١٠هـ- يوليو ١٩٩٠م، ص ٢٩٠ ٢٩١.

(٢) تم تبطيله (إزالته) في سنة ٧٢٦هـ، النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٣ ص ١٨٤.

(٣) الفاسي. العقد الثمين. . ج٢ ص ٢٨١، ٣١٢.

(٤) الفاسي، المصدر السابق. ج٣، ص ١١٨.

(٥) الفاسي، المصدر السابق، ج١، ص ٢٨٤، ٤١٢.؛ ج٣ ص ١١٨.

(٦) قال الفاسي: ((وتقديم الحنفي على المالكي حدث بعد ٧٩٠هـ)). العقد الثمين. ج١ص٨٩.؛ وفي إتحاف الورى "وفيها - أي سنة ٧٩٢هـ- أو في التي بعدها- أي سنة ٧٩٧هـ-. تقدم الامام الحنفي في الصلاة على الإمام المالكي لأن المالكي كان يصلي قبل الحنفي. النجم ابن فهد. ج٣ ص ٣٧٩.

مما يلي دبر الكعبة، بين الركنين الغربي واليماني-. ثم الحنبلي-في جنوب المسجد الحرام مما يلي الحجر الأسود -.، في جميع الصلوات ماعدا صلاة المغرب فإنهم يصلونها في وقت واحد.[١] وقد هدمت المقامات الثلاثة في سنة ١٣٧٧هـ.؛ وبقى المقام الشافعي إلى أن تم إزالته في توسعة المطاف هذا وقد أنشئت هذه المقامات الأربعة داخل المسجد الحرام منذ العهد العباسي الأول، ثم تطورت في الفترة المملوكية (٦٤٨هـ - ٩٢٣هـ) حين انفرد كل مذهب بمصلاه.؛ وفي العهد السعودي وفي سنة ١٣٤٣هـ أصبح المصلون في جميع الصلوات يأتمون بإمام واحد.،[٢] قال الفاسي : " وكان إمام مقام إبراهيم أو من يُصلي من أئمة الحرم قبل المالكية والحنفية والزيدية".[٣] والراجح لديّ من خلال قراءة التراجم أنهم كانوا على مذهب الشافعي وذلك حسب المذهب الرسمي حينئذ وما كان أيضاً منذ العصر العباسي وطيلة العصرين الأيوبي والمملوكي.

---

(١) الفاسي، المصدر السابق. نفسه.

(٢) حسين عبد الله باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام،تهامة، ١٤٠٠هـ - ١٩٩٨م، جدة، الطبعة الثالثة، ص ٢٣٣.

(٣) العقد الثمين. ج٥، ص ٢١٨، . هذا الوجود للزيدية إنما يرجع إلى أن الحنبلي إنما كان موجوداً في عشر الأربعين وخمسمائة. الفاسي، شفاء الغرام، الجزء الأول، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، بيروت، الطبعة الأول. ص٢٤٦.

١- إبراهيم[(١)] بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم، الشيخ رضي الدين الطبري، يُكنى أبا أحمد، ويقال أبو إسحاق، المكي الشافعي. توفي ... في ... سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة- ١٢١٢م- ٢/٢٠٩، ٣/٢٤٠(٧١٩)

٢- أبو بكر[(٢)] بن أبي الحسن الطوسي توفي في . سنة ثلاث وستين وخمسمائة .-١١٦٧م-. وأم بعده محمد بن علوان[(٣)]-. ٨/١٢(٢٨٠٩)

٣- أبوالخير[(٤)] بن أبي اليُمن محمد بن أحمد بن الرَّضِي إبراهيم بن محمد الطبري المكي الشافعي، زكي الدين، وناب في الإمامة بمقام إبراهيم الخليل ٨/٤١(٢٨٦٧)

(١) الذهبي، محمد (ت٧٤٨هـ)، ذيول العبر. الجزء الرابع، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، بيروت، الطبعة الأولى، ص ٦٤، ٦٥.؛ الفاسي، ذيل التقييد. الجزء الثاني، تحقيق محمد صالح بن عبد العزيز المراد، شركة مكة للطباعة والنشر، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ص ٢٤٣ (٨٦٤).؛ ابن تغري بردي، يوسف (٨٧٤هـ) الدليل الشافي على المنهل الصافي. الجزء الأول، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مكتبة الخانجي، بدون، القاهرة، بدون، ٥٨٥ (٢٠٠٧).؛ النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٣، ص١٧٦.

(٢) واسمه محمد. الفاسي، العقد الثمين. ج٢ ص ١٤٧.؛ النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٢ ص ٥٦٩.

(٣) الفاسي، العقد الثمين. ج٢ ص ١٤٧.

(٤) انظر: النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٣ ص ٤٨٤.

بالمسجد الحرام عن والده ثم نزل له والده في مرض موته عن نصف الإمامة . قُتل ... سنة ثلاث عشرة وثمانمائة—١٤١٠م—.

٤- زاهرُ[١] بن رُسْتم بن أبي الرجاء بن محمد الأصبحاني الأصل البغدادي المولد، مكين الدين، أبو شجاع، ...، وأم بالناس في مقام إبراهيم أعواماً إلى أن عَجَز وانقطع في منزله. توفى – في – سنة تسع وستمائة. – ١٢١٢م–. ٢/١١٢، ٤/٤٢٦، ٤٢٧ (١٢٠٠)

٥- سليمان[٢] بن خليل بن إبراهيم بن يحيى بن سليمان بن فارس بن أبي عبد الله الكناني العسقلاني المكي الشافعي، يكنى أبا الربيع، ويُلقب نجم الدين، إمام المقام، وخطيب المسجد الحرام ومفتيه. ... توفي – في – سنة إحدى وستين وستمائة.– ١٢٦٢م–. **٨/١٣٥(٣١٣٨)**

٦- العباس بن الحسين بن العباس العباسيّ الطبَّريّ، نجم **٥/٩١ (١٤٦٩)**

---

(١) المنذري عبد العظيم، (ت٦٥٦هـ) التكلمة لوفيات النقلة. الجزء الأول، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، بيروت، الطبعة الثانية. ص ١٤٥.: الذهبي، العبر. الجزء الثالث، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، بيروت . الطبعة الأولى، ص ١٥١.: الذهبي، المختصر المحتاج إليه من تاريخ أبي عبد الله . الجزء الخامس عشر، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، بيروت، الطبعة الأولى ص ١٨٧.

(٢) الفاسي، ذيل التقييد. ج٢ ص ٣٨٣ (١٠٦٢).: الذهبي، العبر. ج٣ ص ٣٠٢.

الـــدين أبـــو الفـــضل. تـــوفي في ... ســـــــــنة إحـــدى عشــــــرة وستمائــة. –١٢١٤م–.

٧- عبـد الله[1] بـن عمـر بـن علـي بـن خلـف القيروانـي المُقـرئ، أبـو محمـد، المعـروف بـابن العَرْجـاء (وهـي أمـه) – في حدود الخمسمائة هجرية–.[2] –١١٠٦م–. ٥/٢١٧ (١٥٨٩) ٨/١٤٢ (٣١٦٥)

٨- عبـد المحسن[3] بن أبـي العُميـد بن خالـد بـن الشهيد عبـد الغفـار بـن إسماعيـل بـن أحمـد بـن الحسين بـن محمـد الأَبْهـرِيّ أبـو طالـب الحفَيفـي،[4] المنعـوت بالحجة، الفقيه الشافعي، وأنه حَجّ أكثر من أربعين حَجَّة، منها في سنة ثلاث وعشرين، وقد رُتِّب إماماً بمقـام إبـراهيم، فـأَمَّ النـاس فيـه إلى أن تـوفي ... في سنة أربع وعشرين وستمائة. –١٢٢٦م–. ٥/٤٩٣-٤٩٥ (١٨٦٩)

٩- عبـد الملك[5] بن أبـي مُسلم النهاوندي. تـوفي – في – سنة تسع عشــرة وخمسمائة.–١١٢٥م– ٥/٥١٦ (١٨٩١)

---

(١) ابـن الجـزري: محمـد (ت٨٣٣هـ)، غايـة النهايـة في طبقـات القـراء. الجـزء الأول، عـني بنـشره برجـستراسر، دار الكتـب العلميــة، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، بيروت، الطبعة الثالثة. ص ٤٣٨.

(٢) ابن الجزري، المصدر السابق. نفسه.

(٣) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٣ ص ٤٣.

(٤) والراجح "الخُفيفي". كما في العقد الثمين. الفاسي. ج٢ ص ٣٥١ (٤٤٨).

(٥) النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٢ ص٤٩٩.

١٠- عبد الواحد[١] بن زين الدين محمد بن الزين أحمد **٥٢٧/٥ (١٩٠٥)** بن محمد بن المحب أحمد بن عبد الله الطبريّ المكيّ، يُلقب أَوْحدَ الدين ... وأم بمقام إبراهيم الخليل عليه السلام بالمسجد الحرام نيابة، أوقاتاً كثيرة. وتوفي في سنة سبع وعشرين وثمانمائة. –١٤٢٣م–.

١١- عبد الوهاب[٢] بن عبد الله بن أسعد بن علي **٥٣٤/٥، ٥٣٥ (١٩١١)** اليافِعِيّ، يُلقب بالتاج بن العفيف، المكي الشافعي. وتوفي – ... – في – سنة خمس وثمانمائة. – ١٤٠٢م–.

١٢- عثمان[٣] بن الصِّفي أحمد بن محمد بن إبراهيم بن **١٦/٦ (١٩٤٠)** أبي بكر الطَّبَرِي المكي، يُلقب بالفخر، ... وكان يَؤُّم بمقام إبراهيم عليه السلام نيابة ... توفي في سنة تسع وأربعين وسبعمائة. –١٣٤٨م–.

---

(١) السخاوي : محمد (ت٩٠٢هـ)، الضوء اللامع . الجزء الخامس، دار مكتبة الحياة، بدون، بيروت، بدون. ص ٩٥.

(٢) الفاسي، ذيل التقييد. ج٢ ص٩٣ (١٣٥٣).: السخاوي، الضوء اللامع. ج٥ ص ١٠٢.؛ ابن العماد : عبد الحي (ت١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب الجزء السابع، المكتب التجاري، بدون، بيروت، بدون، ص ٥١.

(٣) الفاسي، المصدر السابق. ج٣ ص ١٠٦، ١٠٧ وزاد يُلقب "فخر الدين" بدل "بالفخر".

١٣- علي[1] بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم، تقي الدين أبو الحسن الطَّبَرِي المكي الشافعي. وتوفي في سنة أربعين وستمائة. -١٢٤٢-. ٦/١٤٣، ١٤٤ (٢٠٤١)

١٤- علي[2] بن صالح بن أبي علي محمد بن يحيى بن إسماعيل العلوي الحسيني، أبو الحسن المكي البهنسي. توفي في ... سنة إحدى وثمانين وستمائة. -١٢٨٢م-. ٦/١٧٦ (٢٠٦٢)

١٥- عمران[3] بن ثابت بن خالد بن سليمان بن عمر القرشي الفهري، القاضي بهاء الدين، أبو محمد المكي ...، ووجدت في تراجمه في بعض الإسجالات عليه: إمام مقام إبراهيم الخليل عليه السلام. وهذا يَحمل على أنه أَمَّ به نيابة، لأن الإمام بالمقام في تاريخ الإسجال الفقيه سليمان بن خليل العسقلاني. - توفي - سنة ثلاث وسبعين وستمائة.- ١٢٧٤-. ٦/٤١٩ (٣١٥٠)

---

(١) الفاسي، المصدر السابق. ج٣ ص ٢٠٣.

(٢) الذهبي معجم الشيوخ. الجزء الثاني، تحقق محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، الطائف، الطبعة الأولى. ص ٢٨.؛ الفاسي، ذيل التقييد. ج٣ ص ١٤٩ (١٤٢٩).؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي. ج١ ص ٤٥٧ (١٥٨٥).؛ النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٣ ص ١١٥.

(٣) ابن تغري بردي، الدليل الشافي. ج١ ص ٥٠٧ (١٦٦٧).؛ النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٣ ص٦٥، ١٠٤.

١٦- محمد[١] بن أحمد بن الرَّضِي بن[٢]إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن محمد بن إبراهيم، يُلقب بالرَّضِي الطَّبري المكي الشافعي، ... وخلف أباه في الإمامة بالمقام فيها – ت ٧٦٢هـ –[٣]. –١٣٦٠م–. ١/٢٨٠، ٣٩٥ ٢/١٣، ٨/١١٨

١٧- محمد[٤] بن أحمد بن الرَّضي إبراهيم بن محمد الطبري المكي، أخو الرَّضي السابق، الإمام محب الدين أبو البركات ... وخلف أخاه الرَّضِي في الإمامة (سنة ٧٦٢هـ)، ثم تركها لابنه الإمام رضِي الدين أبي السعادات محمد في أواخر عمره. وتوفي – في – . سنة خمس وتسعين وسبعمائة.– ١٣٩٢م–. ١/٢٨٠، ٢٨١(٢)

١٨- محمد[٥] بن أحمد بن الرَّضِي إبراهيم الطبري، أخو الرَّضِي والمحب المقدم ذكرهما، يُكنى أبا اليُمن المكي، ويُلقب أمين الدين، ... ولى الإمامة ١/٢٨٢-٢٨٥(٣)

---

(١) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٣ ص ٢٩٣.

(٢) والراجح حذف ((بن)) كما في ترجمة أخيه (التالية).

(٣) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٣ ص٢٩٣.

(٤) الفاسي، ذيل التقييد. ج١ ص٥٤، ٥٥ (٥).؛ النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٣ ص ٣٩٠.

(٥) الفاسي، ذيل التقييد. ج١ ص٥٥ (٦).؛ النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٣ ص ٤٥٥.؛ السخاوي، الضوء اللامع. ج٦ ص٢٨٧.

بمقام إبراهيم بعد أخيه المحب شريكان لابن أخيه الرَّضِي بن المحب ...وكان ينوب عن أخيه المحب في الإمامة. توفي في ... سنة تسع وثمانمائة.-١٤٠٦هـ-.

١٩- محمد[1] بن أحمد بن الحسن بن عُتْبة بن إبراهيم ١/٢٩٠(١٤) ابن أبي خداش بن عتبة بن أبي لَهْب القرشي الهاشمي. هكذا نسبه ابن حزم في جمهرة أنساب العرب[2] وقال: ولي الصلاة بمكة ومراد ابن حزم بذلك الإمامة بالمسجد الحرام.

٢٠- محمد[3] بن علوان بن هبة الله التكريتي ٢/١٤٧(٣٠٥) الحوطي، أبو عبدالله الشافعي ...، وأم بمقام إبراهيم، بعد محمد بن أبي بكر الطوسي[4] مُدَيْدة إلى أن توفي في سنة ثلاث وستمائة، وذكر أنه توفي في سنة أربع وستمائة.-١٢٠٧م-.

---

(١) وأورده الفاسي أيضاً بـ محمد بن محمد بن أحمد . العقد الثمين. ج٢ ص٢٧٠ (٣٨٣).؛ وصوابه محمد بن أحمد ... كما في جمهرة أنساب العرب. انظر الهامش التالي.

(٢) ابن حزم : علي (ت٤٥٦هـ)، الجزء الأول، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ١٩٧٧م، مصر، الطبعة الرابعة. ص٧٢.

(٣) الذهبي، المختصر، المحتاج إليه. ج٥ ص٥٩ (٢٠١) وفيه أنه توفي سنة ٦٠٣هـ وهو الأرجح.

(٤) أبو بكر بن أبي الحسن الطوسي. ترجمة رقم (٢).

٢١- محمد [1] بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الطبري، المكي الإمام رضي الدين أبو السعادات بن الإمام محب الدين أبي البركات الشافعي. توفي ... - في - سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة.١٤١٩م-. ٢/٢٦٧-٢٦٩(٣٨٠)

٢٢- محمد بن محمد بن عثمان بن بُنجير السميري، الإمام أبو عبد الله. ٢/٣١٦، ٣١٧ (٤١٤)

٢٣- محمد [2] بن يوسف بن موسى بن يوسف بن موسى بن يوسف بن إبراهيم ابن عبد الله بن المُغِيرة الأزدي المُهَلِّبي، جمال الدين أبو بكر ويقال أبو المكارم بن أبي أحمد الشهير بابن مَسْدِي ويقال ابن مَسْد الأندلسي الغرناطي. وكانت وفاته ...، سنة ثلاث وستين وستمائة.-١٢٦٤م-. ٢/٣١٦، ٣١٧ (٤١٤)

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع. ج٩ ص٢.

(٢) الفاسي، ذيل التقييد. ج٣ ص ٤٨٢ (٥٦٨).: ابن تغري بردي، الدليل الشافي. ج٢ ص ٧١٥، ٧١٦ (٢٤٤٦).: النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٣ ص٨٩.

ثانياً : أئمة الحنفية بالمسجد الحرام :

١- أحمد[١] بن علي بن يوسف بن أبي بكر بن أبي الفتح السِّجزِّي، يُكنى أبا العباس، ويلقب بالشهاب الحنفي المكي. وولى الإمامة بمقام الحنفية بعد أخيه البدر حسن فيما أظن. توفي سنة ثلاث وستين وسبعمائة-١٣٦١م-. ٣/١١١-١١٣(٦٠٧) ٨/١١٩، ١٢٠، ١٦٦

٢- أبو بكر بن أبي الفتح بن عمر بن علي بن أحمد بن محمد السجزي الحنفي، يُلقب نجيب الدين - كان حيا - سنة ست عشرة وستمائة- ١٢١٣م-. ٨/١٨، ١٩(٢٨٢٠)

٣- الحسن[٢] بن علي بن يوسف بن أبي بكر بن أبي الفتح السِّجِزِّي المكي الحنفي، يُلقب بالبدر. إمام الحنفية بالحرم الشريف، أظنه وَلِيَ ذلك بعد أخيه التاجُ علي- انظر الترجمة رقم ((٦))-.، ووليها بعده أخوه الشهاب الحنفي - هو أحمد بن علي انظر الترجمة رقم ((١))_. ومات ظنا بعد العشر وسبعمائة.- حوالي ١٣١٠م-. ٤/١٦٦(١٠٠٦)

---

(١) ابن تغري بردي، الدليل الشافي. ج١ ص٦٤ (٢١٩).؛ النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٣ ص ٢٩٧.

(٢) السِّجزِّي : بمكسورة وسكون وجيم وبزاي نسبة إلى السجز وهو اسم لسجستان، وقيل نسبة إلى سجستان بغير قياس. محمد بن طاهر الهندي، (ت٩٨٦هـ) المغني في ضبط أسماء الرجال. دار الكتاب العربي، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، بيروت، بدون. ص١٣٧.

٤- سعيد بن أحمد الأنصاري الحنفي. – كان حياً– ٤/٥٤٩ (١٢٧٢) سنة تسع وعشرين وخمسمائة .–١١٣٤م–.

٥- عبد الله بن علي بن يوسف بن أبي بكر بن أبي ٥/٢١٤، ٢١٥(١٥٨٥) الفتح بن عمر بن علي ابن أحمد بن محمد السِّجزي. إمام مقام أصحاب أبي حنيفة هو وأبوه.– علي بن يوسف. انظر الترجمة رقم ((٨))–.، وجده – هو أبو الفتح بن يوسف. انظر الترجمة رقم ((١٠))–.؛ وجد أبيه أبو بكر– أبي الفتح بن عمر السِّجزي انظر الترجمة رقم ((٢))–.، وأظنه وَلِيَ الإمامة بعد أبيه التاج الحنفي ولعله مات في عشر التسعين وستمائة، أو في العشرة التي بعدها.

٦- علي[1] بن الحسن بن علي بن يوسف بن أبي بكر ٦/١٥١ (٢٠٤٩) بن أبي الفتح بن علي السِّجِزِّيّ المكي. المقب بالتاج الحنفي. وكان هذا التاج ينازع ابن أخيه أبا الفتح بن يوسف– انظر الترجمة رقم ((١٠))–. في الإمامة بمقام الحنفية، وكان هذا يؤم مُدة والآخر مُدة. وكانت وفاته في سنة ثلاث وستين وسبعمائة – ٦/٢٥٨ (٣٠٢١) ١٣٦١م–. بنَخْلة.

٧- عليُّ[2] بن الحسن البلخيّ الزاهد، برهان الدين، ٦/٢٧٧، ٢٧٨ (٣٠٤٠) أبو الحسن الحنفي. وتوفى بها – دمشق– في سنة

---

(١) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٣ ص ٢٩٧.

(٢) الذهبي، العبر. ج٣ ص٦.؛ ابن العماد، شذرات الذهب . ج٤ ص١٤٨.

ثمان وأربعين وخمسمائة –١١٥٣م–.

٨- علي [١] بن يوسف بن أبي بكر بن أبي الفتح السِّجِزِّيّ المكي، يُلقب بالتاج الحنفي. كان إماماً في سنة تسع وخمسين وستمائة، ولم أدر متى مات، إلا أنه كان حياً في سنة خمس وسبعين وستمائة[٢]. –١٢٧٦م–.

٩- عمر[٣] بن محمد بن أبي بكر بن ناصر بن أحمد ٦/٣٥٥، ٣٥٦(٣٠٨٩) العَبْدَري الشيبي الحجبي المكي، يُلقب بالسِّراج. إمام الحنفية بمكة. وَلِيَ ذلك– الإمامة– بعد أبي الفتح الحنفي –- انظر الترجمة رقم ((١٠))–. في سنة ٧٧٣هـ، حتى مات ...وولى الإمامة بعده الشيخ شمس الدين محمد – بن محمود – الخوارزمي المعروف بالمُعِيد انظر الترجمة رقم ((١٢))–. مات ... سنة تسع وسبعين وسبعمائة –١٣٧٧م–. بخُلَيْص[٤].

---

(١) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٣ ص٣١٦. وفيه شك في اسمه فذكر ((علي)) أو ((محمد)). والراجح علي كما في العقد الثمين.

(٢) واستمر في الإمامة إلى أن مات في سنة ٧٧٣هـ. وتولى بعده عمر بن محمد بن أبي بكر بن ناصر العَبْدَري الشيبي. الفاسي، العقد الثمين. ج٦ ص٣٥٦.؛ النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٣ ص ٣١٦.

(٣) النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٣ ص٣١٦، ٣٢٩.

(٤) خُليص : قرية بين مكة والمدينة. حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة. درا اليمامة، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، الرياض، الطبعة الثانية. ص١٨٦.؛ وجاء في معجم معالم الحجاز " خليص واد يقع شمال مكة على نحو ١٠٠كم

١٠- أبو الفتح بن يوسف بن الحسن بن علي بن يوسف بن أبي بكر بن أبي الفتح السِّجزي الحنفي المكي. وكان يتنازع مع عمه التاج علي – ابن يوسف. انظر الترجمة رقم ((٦))–. في الإمامة، ثم اتفقا على أن كلا منهما يؤم يوماً ثم استقل بها بعده[1] ...، وتوفى في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة.–١٣٧١م–. ١٣٥/٨(٣١٣٨)

١١- محمد[2] بن عمر بن عثمان بن عبد العزيز بن طاهر البخاري. أبو بكر، وأبو الفضل الحنفي المُلقب كاك، فمات بأجفر[3] ... سنة خمس وعشرين وخمسائة. – ١١٣٠م–. ٢٢٦/٢(٣٤١)

١٢- محمد[4] بن محمود بن محمود بن محمد بن عمر بن ٣٤٩/٢–٣٥١(٤٤٨)، ١١٥/٢، ٢٦٧ ١٢١/٨(٣٠٧١)

=

وسكانه الآن قبيلة زبيدوالبلادية من حرب". عاتق بن غيث البلادي. الجزء الثالث. مؤسسة مكة للطباعة، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، مكة المكرمة، الطبعة الأولى. ص ١٤٩.

(١) أي في سنة ٧٦٣هـ . وهي سنة وفاة علي بن يوسف. الفاسي، العقد الثمين. ج٦ ص١٥١.

(٢) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٢ ص ٥٠٢.

(٣) أجفر : موضع بين فيد والخزيمية. ياقوت، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان. الجزء الأول، دار صادر، بدون، بيروت، بدون، ص١٠٢.

(٤) الفاسي، ذي التقييد. ج١ ص٤٤٤ (٥١٦).؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي. ج٢ ص٧٠٤، ٧٠٥ (٢٤٠٨).؛ النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٣ ص ٤٨٤، ٣٢٩.؛ وزاد ((ووَلِيَ الإمامة بعده ولده أحمد)).؛ ومات أحمد بن محمد بن محمود في سنة ٨٥٠هـ. النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٤ ص٢٦٣.

فخر الدين (ابن بون شيخ ابن الشيخ طاهر بن عمر) الخُوارزمي، الشيخ شمس الدين، المعروف بالمُعِيد الحنفي وَلِيَ ذلك بعد عمر بن محمد بن أبي بكر الشيبي – انظر الترجمة رقم ((١٠))-. في سنة ثمانين وسبعمائة، ودام في ذلك إلى أن أظهر الترك عنه لابنه الإمام شهاب الدين أحمد قبيل وفاته بأيام يسيرة. توفى ... سنة ثلاث عشرة وثمانمائة-١٤١٠م-.

١٣- يوسف بن أبي بكر يحيى بن أبي الفتح بن عمر السِّجزِّيّ ويقال السجستاني المكي الحنفي، جمال الدين بن الإمام نجيب الدين. ولم أدْرِ متى مات، إلا أنه كان حيًّا في سنة خمس وأربعين وستمائة-١٢٤٧م-. ٧/٤٨٣، ٣٨٤ (٢٧٦٧)

١٤- يوسف[1] بن الحسن بن علي بن يوسف بن أبي بكر السِّجزِيّ المكي الحنفي، يلقب بالجمال بن البدر بن التاج. وناب عن عمه الشهاب الحنفي- هو أحمد ابن علي بن يوسف السِّجزي . انظر الترجمة رقم ((١))- ... وتوفى فجأة...، سنة إحدى وستين وسبعمائة-١٣٥٩م-. ٧/٤٨٤، ٣٨٥ (٢٧٦٨)

---

(١) ابن تغري بردي، الدليل الشافي. ج٢ ص٨٠٠ (٢٦٩٣)؛ النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٣ ص٣٣٢، ٣٣٣ (١٧١٩).

ثالثاً : أئمة الحنابلة بالمسجد الحرام :

١- خليفة[١] بن محمود الكيلاني، يلقب نجم الدين. ٣٢٠/٤(١١٣٩) وأظنه كان نائباً في إمامة الحنابلة بمكة لا مستقلاً بها – وكان عائشاً إلى سنة تسع وخمسين وسبعمائة – ١٣٥٧م–.

٢- سليمان بن شاذي بن عبد الله الأزجي. أبو الربيع ٦٠٦/٤ (١٣٣٤) المقرئ. وأم الناس في مقام الحنابلة بالحرم الشريف، بعد وفاة محمد بن عبد الله الهروي– انظر الترجمة رقم ((٨))–. توفى بحران[٢] في سنة ثمان وستمائة.– ١٢١١م–.

٣- عبد الله [٣]بن ظَهيرة بن أحمد بن عَطية بن ظهيرة ١٨٣/٥ (١٥٥٣) المخزومي، عَفيف الدين أبو محمد المكي. وكان وَلِيَ إمامة مقام الحنابلة بعد موت جمال الدين – محمد بن عثمان – بن القاضي جمال الدين الحنبلي من مكة،

---

(١) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٣ ص ٣٢٠.

(٢) حُرَان : سكة معروفة بأصبهان كانت قصبة ديار مضر بالجزية، ياقوت، معجم البلدان. ج٢ ص٢٣٦.: وهي مدينة في جانب نهر الفرات الشرقي. كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية. ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، بيروت، الطبعة الثانية. ص١٣٤.؛ وهي اليوم جنوب تركيا الحالية . وشمال سوريا.

(٣) الفاسي، ذيل التقييد. ج٢ ص٤٢٠، ٤٢١.؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي. ج١ ص٣٨٥، ٣٨٦ (١٣٢٦).؛ النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٣ ص٣٨٦.

ولم يتم له ذلك. توفي ... - في - سنة أربع وتسعين وسبعمائة.-١٣٩١م-.

٤- عبد اللطيف[١] بن أبي المكارم أحمد بن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسني الفاسي المكي، يُلقب بالسراج. ووَلِيَ الإمامة بعد صهرة الجمال محمد بن القاضي جمال الدين الحنبلي،[٢] في سنة تسع وخمسين وسبعمائة (١٣٥٧م).؛ واستمر عليها حتى مات في ... سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة. -١٣٧٠م-. ٤٨٧/٥ (١٨٦١)

٥- عثمان[٣] بن موسى بن عبد الله بن عبد الرحيم الطائيّ الإربلي أصلاً، الإمام أبو عمرو موفق الدين الآمدي مولدا، الحنبلي ...، ... توفي في ...سنة أربع وسبعين وستمائة. -١٢٧٥م-. وأنه وَلِيَ الإمامة من سنة أربع وعشرين - وستمائة -. إلى أن توفي. ٥٠/٦-٥٣(١٩٧٣)

٦- علي[٤] بن عبد اللطيف بن أحمد بن محمد بن ١٨٧/٦ (٢٠٧٧)

(١) انظر: النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٣ ص ٣١٤.

(٢) هو محمد بن أحمد بن أبي عبد الله محمد الحسني. النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٣ ص ٣٩٢.

(٣) انظر: الذهبي، معجم الشيوخ. الجزء الأول، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، الطائف، الطبعة الأولى. ص ٤٣٩ (٥٠٠).؛ النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٣ ص١٠٤.

(٤) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٣ ص ٤٣٩.؛ السخاوي، الضوء اللامع. ج٥ ص٢٤٤.

محمد بن عبد الرحمن الحسني الفاسي المكي، يلقب نور الدين ... ولد في العشر الأخير من شوال سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة، قبل موت أبيه - عبد اللطيف بن أحمد انظر الترجمة رقم ((٤)) -. بيسير، واستقر عِوَضَة بالإمامة، بمقام الحنابلة عمه الشريف أبو الفتح الفاسي[1] مدة سنين كثيرة، حتى تأهّل، ثم باشر هو بنفسه مدة سنين، واستمر على ولايته، حتى مات في ...، سنة ست وثمانمائة - ١٤٠٣م-. بزبيد.[2]

٧- مبارك[3] بن علي بن الحسين بن عبد الله بن محمد البغدادي، أبو محمد، المعروف بابن الطباخ الحنبلي. قال الذهبي: وكان يكتب العُمَر، ويَؤُم بحطيم الحنابلة، توفي في شوال سنة خمس وسبعين وخمسمائة.؛[4] -١١٧٩-. ... توفي ...، ثاني شوال من السنة المذكورة- وهي سنة ٥٧٥هـ-.

١١٩/٧، ١٢٠ (٢٣٩٥)

---

(١) هو محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الفاسي. النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٣ ص ٣١٤.

(٢) زَبيد : هي مدينة مشهورة باليمن. ياقوت، معجم البلدان. ج٣ ص١٣١.؛ وهي الآن مدينة في الجمهورية العربية اليمنية.

(٣) الذهبي، المختصر المحتاج إليه. ج١٥ ص ٣٣٨ (١٢٤٣).؛ الفاسي، ذيل التقييد. ج٣ ص٢٨٨.؛ النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٢ ص ٥٤٣.

(٤) العبر. ج٣ ص٧٠ وفيه "العبر" بدل "العُمَر" وهو الراجح.

٨- محمد[١] بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طلحة البرمكي الهروي أبوعبد الله ويقال أبو الفتح الحنبلي ... وكان حياً في سنة تسعين وخمسمائة-١١٩٣م، وفيها أو بعدها بيسير-١١٩٣-. ٢/٥٢(٢٠٩)

٩- محمد [٢] بن عثمان بن موسى بن عبد الله الآمدي، ثم المكي، القاضي جمال الدين الحنبلي. وكان خَلَف أباه في الإمامة، حتى توفي ...، سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة. — ١٣٣٠م—وكانت ولايته للإمامة سبعاً وخمسين سنة، ونحو نصف سنة. ٢/١٣٤، ١٣٥ (٢٩٧)

١٠- محمد [٣] بن محمد بن عثمان بن موسى بن عبد الله يُلقب – الجمال – ...الدين ابن القاضي الإمام جمال الدين بن الإمام موفق الدين الآمدي المكي ... ووَلِيَ الإمامة تسعاً وعشرين سنة لأنه خلف أباه في الإمامة. وتوفي سنة تسع وخمسين وسبعمائة.— ١٣٥٧م—. ٢/٣١٦(٤١٣)

١١- نَصْر [٤] بن محمد بن علي بن أبي الفرج بن علي بن ٧/٣٣٢-٣٣٤(٢٥٩٠) ٨/١٥٥(٣٢٢٥)

---

(١) الذهبي، المختصر المحتاج إليه. ج١٥ ص٣٤. وفيه أنه توفي في حدود سنة ٥٩٠هـ.؛ النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٢ ص٥٦١.

(٢) الفاسي، ذيل التقييد. ج١ ص ٢٩٣، ٢٩٤.؛ النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٣ ص١٩٨.

(٣) النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٣ ص٢٧٥.

(٤) الذهبي، المختصر المحتاج إليه. ج١٥ ص٣٦٨ (٣٧٣٦).؛ ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء. ج٢ ص ٣٣٨، ٣٣٩ (٣٧٣٦) وفيه أنه مات في =

أبي الفرج الهَمداني النهاوندي، ثم البغدادي، برهان الدين أبو الفتوح بن أبي الفرج، المعروف بالحُصْري ... خرج في آخر عمره لما أشتد القَحط بمكة، مسافراً إلى اليمن، فأدركه الأجل بها. وقد اختُلف في وفاته على أقوال، فقيل: في ذي القعدة سنة ثمان عشرة وستمائة-١٢٢١م-، حكاه ابن نقطة في التقييد[1] عن أولاد أبي الفرج الحُصْري هذا، وقيل في المحرم سنة تسع عشرة، قاله الضياء المقدسي، وجزم به ابن النجار، والمنذري،[2] والذهبي في طبقات القراء.[3]

رابعاً: أئمة المالكية بالمسجد الحرام:

١- أحمد[4] بن علي بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم العَقيلي. إمام المالكية بالمسجد الحرام، شهاب الدين ابن إمام المالكية القاضي نور الدين النُّوَيري المكي المالكي. ولما مات أبوه في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وسبعمائة،-١٣٩٦م-.؛ قرره ابن عمه قاضي **١٥٨/٣ (٦٤٣)**

سنة ٦١٩هـ.؛ النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٣ ص٣٤. وفيه أنه مات في سنة ٦١٨هـ.

(١) ج٢ ص٣٠٠ (١٦٦٧).

(٢) التكملة. ج٣ ص٦٩.

(٣) العبر. ج٣ ص ١٧٩، ١٨٠.

(٤) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٣ ص ٦١٠.؛ السخاوي، الضوء اللامع . ج٢ ص٨.

مكة محب الدين أحمد بن القاضي أبي الفضل النويري، وأخاه بهاء الدين عبد الرحمن، في إمامة المالكية، عوض والدهما فعارض ذلك أمير مكة الشريف حسن بن عجلان،[1] ووَلِيَّ إمامة المالكية الفقيه قطب الدين أبا الخير بن القاضي – محمد بن –. أبي السعود– محمد بن محمد بن حسين– ابن ظهيرة، فباشرها أبو الخير إلى آخر شوال من السنة المذكورة. وفي هذا التاريخ باشر شهاب الدين أحمد النويري المذكور الإمامة، بوصول توقيع الملك الظاهر بمصر، يقتضي استقراره، وأخيه بهاء الدين عبد الرحمن في الإمامة ... وتوفي ... –في– سنة سبع وعشرين وثمانمائة.–١٤٢٣م–.

٢- أحمد[2] بن محمد بن عمر بن عمر بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن ميمون التوزري الأصل، يُلقب شهاب الدين، بن الإمام ضياء الدين، بن الإمام تقي الدين، أبي البركات القسطلاني المكي، ... وَلِيَّ الإمامة بعد أبيه ضياء الدين القسطلاني، ... - توفي في -. سنة إحدى وسبعين وستمائة– ١٢٧٢م–.

٣/١٥٨، ١٥٩ (٦٤٣)

---

(١) هو حسن بن عجلان بن رُمَيْثَة بن أبي نُمَيّ بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني المكيّ، يُلقب بدر الدين. أمير مكة وسلطان الحجاز. الفاسي، العقد الثمين. ج٤ ص٨٦–١١٩. مات سنة ٨٢٩هـ. ابن تغري بردي، الدليل الشافي. ج١ ص٢٦٤.

(٢) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٣ ص١٠٢.

٣- الحسن بن محمد بن علي بن الجزائري، ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر في معجمه.[١] ٤/١٨٠ (١٠١٧)

٤- خليل[٢] بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن الحسن ابن عبد الله القسطلاني المكي المالكي، يُكنى أبا الفضل، ويُلقب بالضياء ويسمى محمداً أيضاً، وإنما أُشتهر بخليل وتوفي ... -في- . سنة ستين وسبعمائة. ووجدت بخط جدي الشريف علي الفاسي : ... أنه وَليَ الإمامة مستقلاً بعد أبيه، سنة ثلاث عشرة وسبعمائة، -١٣١٣م-. فعلى هذا تكون مدة ولايته للإمامة حتى مات، سبعاً وأربعين سنة. ٤/٣٢٤-٣٢٩ (١١٤١)

٥- رزين[٣] بن معاوية بن عمّار العَبْدِيّ الأندلسي السَّرقُسطي، أبو الحسن ... توفي ... في سنة خمس وعشرين، يعني وخمسمائة.-١١٣٠م-. ٤/٣٩٨ (١١٩٢)

٦- عبد الرحمن[٤] بن علي بن أحمد بن عبد العزيز ٥/٣٩٠، ٣٩١ (١٧٦٣)

---

(١) لم أجده في تاريخ دمشق لابن عساكر المطبوع.

(٢) الفاسي، ذيل التقييد. ج٢ ص ٣٦١ (١٠٣٢).: النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٣ ص ٢٧٩. وأضاف ووَلِيَ الإمامة بعده ابن أخيه عمر بن عبد الله ابن عبد الرحمن.

(٣) النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٣ ص ٥٠٢.

(٤) النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٣ ص٤٣٩، وزاد " ... فولي بعده الإمامة أخوه أبو عبد الله شريكاً لأخيه أحمد".: السخاوي، الضوء اللامع. ج٤ ص٩٤

العُقَيْلـيّ النّـويريّ المكـي المـالكـي، يُلقـب بالبهـاء ...
وأدركــه الأجـل بهـا – الـيمن – في ... سـنـة سـت
وثمانمائة – ١٤٠٣م–.بزَبيد.

٧- عبـد الـرحمن [(١)] بـن محمـد بـن عمـر بـن محمـد ٥/٤٠٥، ٤٠٦(١٧٧٧)
التّوْزَريّ القَسْطلاني المكـي، يُلقب بالبهاء ابن الضياء
المكـي ... أنـه وَلِـيَ الإمامـة بعـد أخيـه أحمـد، سـنة
إحـدى وسـبعين وسـتمائة ... وأنـه تـوفي سـنة ثـنتي
عشرة - وسبعمائة– ١٣١٢م–.

٨- علي [(٢)] بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم بن عبد ٦/١٣٢-١٣٤ (٢٠٣٠)
الـرحمن، المعـروف بالـشهيد النـاطق، ابـن القاسـم بـن
عبـد الله العَقِيلـي الهـاشمي، القاضـي نـور الـدين أبـو
الحـسن النُّـوَيْري المكـي المـالكـي ... وَوَلِـيّ إمامـة
المالكية، بعد عمـر بن عبـد الله المالكـي، ابـن أخـي
الشيخ خليل المالكـي حتى مـات، وذلـك ثلاثـة وثلاثـون
سنة وأشهر، ... توفي ... – في – . سنة ثمان وتسعين
وسبعمائة–١٣٩٥م–.

٩- علي [(٣)] بـن عبـد الله بـن حمـود الفاسـي، أبـو الحـسن ٦/١٨١، ١٨٢ (٢٠٦٦)

---

(١) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٣ ص١٥٠.

(٢) الفاسـي، ذيـل التقييـد. ج٣ ص ١٢٢، ١٢٣(١٣٩٠) وفيـه أنـه تـوفي سـنة ٧٩٩هـ. والراجح كما في العقد الثمين وبقية المصادر التالية: .: ابـن تغـري بردي، الدليـل الشـافي. ج١ ص ٤٤٩.: النجم عمر بن فهد، إتحاف الـورى. ج ٣ ص ٤٠٢.

(٣) النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٢ ص ٥٣٨.

المكناسي ... توفي ... في سنة إحدى وسبعين وخمسمائة.- ١١٧٥م-.

١٠- علي[١] بن عبد الله الصّقليِّ. ذكره ابن عساكر في معجمه.[٢] ٦/١٨٤(٢٠٧٣)

١١- عمر [٣] بن محمد بن عمر بن الحسن بن عبد الله بن أحمد ميمون التَّوْزَريّ. الإمام أبو البركات القسطلاني المكي المالكي ... وجدت بخط جدي علي بن أبي عبد الله الفاسي : أنه وَليّ الإمامة في سنة أربع عشرة - وستمائة-، بعد امتناعه منها، وإكراهه عليها، وكانت وفاته ... - في- سنة أربع وأربعين وستمائة.-١٢٤٦م-. ٦/٣٥٨ (٣٠٩٢) ٨/٢٩(٢٨٣٣)

١٢- عمر[٤] بن محمد بن مُفَرِّج القابسيّ. ٦/٣٦٠ (٣٠٩٣)

١٣- محمد [٥] بن عبد الله بن الفَتوح بن محمد المكناسي المحاصر، جمال الدين، أبو عبد الله. ٢/٧٤، ٧٥ (٢٢٧)

---

(١) وفي معجم البلدان الجطيني نسبة إلى قرية في جزيرة صقلية منها علي بن عبد الله الجطيني. معجم البلدان . ج٢ ص ١٤١. ففيه "الجطيني" بدل "الصقلي".

(٢) لم أجده في تاريخ دمشق المطبوع .

(٣) النجم عمر بن فهد ، إتحاف الورى. ج ٣ ص ٦٤.

(٤) ولعله عمر بن محمد بن مفرج القُبَشِيّ نسبة إلى موضع غربي. قرطبة. ياقوت، معجم البلدان. ج٤ ص٣٠٦.

(٥) النجم عمر بن فهد ، المصدر السابق. ج٢ ص ٤٨٧ ، ٤٩٠ وفيه أنه توفي سنة ٤٩٢هـ . والراجح ما عند الفاسي لأنه نقله مما كُتب على لوح قبره.

هكذا نسبه الميورقي في تعاليقه. وذكر أنه تولى إمام مقام المالكية بمكة، سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ... - وتوفي في – سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة.–١١٩٥م–.

١٤- محمد بن عبد الرحمن بن محمد الهاشمي، ١١٢/٢(٢٦٥) أبو عبد الله الصّقليّ. وَلِيَ الإمامة مدة سنين، في آخر القرن السادس، وفي أوائل القرن السابع. ولم أدر متى مات، إلا أنه كان حياً في سنة سبع وستمائة.–١٢١٠م–.

١٥- محمد [(١)] بن عمر بن محمد بن عمر بن الحسن بن ٢/٢٣٠-٢٣٦(٣٤٥) عبد الله بن أحمد التَوْزَريّ، الإمام ضياء الدين أبو عبد الله بن الإمام تقي الدين أبي البركات القَسْطلاني المكي. وَوَلِيَ الإمامة بعد أبيه – أبو البركات عمر القسطلاني–. وكانت وفاة الضياء القسطلاني في ... سنة ثلاث وستين وستمائة.– ١٢٦٤–.

١٦- محمد [(٢)] بن محمد بن حسين بن علي بن أحمد بن ٢/٢٨٦، ٢٨٧(٣٩٤)

---

(١) الفاسي، ذيل التقييد. ج١ ص ٢٤٢، ٢٤٣ (٣٧٩).؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي. ج٢ ص ٦٦٩.؛ النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٣ ص ٨٩.

(٢) ابن تغري بردي، المصدر السابق. ج٢ ص ٧٠١ وفيه أنه مات في سنة ٨٢٠هـ.؛ النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٣ ص ٤٩٢.؛ ابن العماد، شذرات الذهب. ج٧ ص٤٨. وفيه أنه مات في سنة ٨٢٠هـ.

عطية بن ظهيرة القرشي المخزومي، أبو الخير بن أبي السعود، يُلقب بالقُطب. ووَليَ إمامة المالكية بالمسجد الحرام بعد وفاة القاضي نور الدين علي بن أحمد النُّويري من جهة أمير مكة،[1] أربعة أشهر وأياما، ثم عُزل عن ذلك، ... -توفي في- سنة أربع عشرة وثمانمائة.—١٤١١م—.

١٧- محمد [2] بن أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن أبي الخير محمد بن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسني، الفاسي، المكي المالكي، يُكنى أبا البركات، ويُلقب بالجمال. ووَليَ إمامة المالكية بالمسجد الحرام، بتفويض من السلطان بمصر،[3] لا من قاضي القضاة الشافعي بها، ...، في سنة تسع عشرة وثمانمائة. ومات — في — سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة.—١٤٢٠م—. ٢/٣١٢، ٣١٣(٤٠٧)

١٨- منصور[4] بن حمزة بن عبد الله المَحاصِي، أبو علي المكناسي ٧/٢٨٤(٢٥٢٢)

---

(١) هو الأمير حسن بن عجلان.

(٢) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٣ ص ٥٣٨، ٥٧٥.؛ السخاوي، الضوء اللامع. ج٩ ص.١٠٤، ١٠٥.

(٣) هو الملك المؤيد أحمد بن إينال سلطان مصر، عزل عنها في سنة ٨٦٥هـ.

(٤) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٢ ص ٥٦٥ وفيه "عبيد الله" بدل "عبد الله".

المبحث الثاني

المؤذنـــــــــون

الأذانُ والأَذِين والتَّأْذِينُ : النِّداء إلى الصَّلاة، وهو الإعْلامُ بها وبوَقْتِها.[١]
وجاء في معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية : " أَذَّن : هي الإعلام أو الإبلاغ السمعي بالصلاة عن طريق الأُذن التي هي أداة التلقي بهذا الأذان".[٢]
وللمؤذن وظيفة فهو الذي "ينادي بالأذان داعيا المسلمين للصلاة ... وهنالك شروطا يستحب توفرها في المؤذن منها : "معرفة الأذان وطرقه، وإبلاغ الصوت وأن يكون حسن الصوت والهيئة والخلق".؛[٣] وقد أمر رسول الله ﷺ بلال بن رباح رضي الله عنه[٤] أن يرتقي سطح الكعبة ويرفع الأذان[٥] إيذانا بمولد فجر جديد لمكة ولمكانتها. ثم في العصر العباسي الأول (١٣٢–٢٣٢هـ) بنيت أربع مآذن – والمِئْذنة جمع مآذن : موضع الأذان للصلاة [٦]– الأولى هي مئذنة باب العُمرة التي شيدها الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦هـ – ١٥٨هـ) في

(١) ابن منظور، لسان العرب. ج١ ص ٥٢.

(٢) عاصم محمد رزق . مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠، القاهرة، بدون. ص ٣٠٧.

(٣) حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية. ج٣. ص ١١٦٤.

(٤) هو مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، ثم اعتقه، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، مات بالشام سنة ٢٠هـ وقيل ٢١هـ. ابن عبد البر: يوسف (ت ٤٦٤هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (بهامش الإصابة لابن حجر) الجزء الأول، مطبعة السعادة، ١٣٢٨هـ، مصر، الطبعة الأولى. ص ١٤١، ١٤٢.

(٥) ابن هشام : عبد الملك (ت٢١٨هـ)، السيرة النبوية. الجزء الأول، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي، بدون، بيروت، بدون. ص ٥٦.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج١ ص ٥٣.

الركن الشمالي الغربي من المسجد الحرام سنة ١٤٠هـ.[١] والثلاثة الأُخرى شيدها الخليفة محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور (١٥٨هـ – ١٦٩هـ) وهي: مئذنة باب الحزورة[٢] (الوداع) في الجهة الغربية من المسجد الحرام. وقد عُرف في عهد الأزرقي بباب بني مخزوم[٣] ثم عُرف في عهد الفاسي بباب البقالين وباب بني حكيم.[٤] ومئذنة باب علي – وكان يعرف قديماً بباب بني هاشم. وهو في الجهة الشرقية من المسجد الحرام –. وأعاد بناؤها وترميمها السلطان سليمان خان (٩٢٦هـ – ٩٧٥هـ) في سنة ٩٧٠هـ . وجعلها دورين بدل دور واحد.؛[٥] والأخيرة مئذنة باب بني شيبة وهي تعرف أيضاً بمنارة باب السلام.؛[٦] وعند الفاكهي : " أنها المنارة الأولى وأنها تلي باب بني سهم".[٧]

(١) الأزرقي: محمد (ت بعد ٢٤٤هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار. الجزء الثاني، دار الثقافة، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، مكة المكرمة، الطبعة الرابعة. ص٩٧.

(٢) والحزورة : اسم لسوق قبل الإسلام كان في هذه المنطقة وهو في الجهة الغربية للكعبة . عُرف فيما بعد بمنطقة السوق الصغير. وقد هدمت هذه المنطقة في سنة ١٤٠٣هـ وأدخلت ضمن توسعة المسجد الحرام وأُطلق عليها توسعة الملك فهد. وهي التوسعة الجديدة والوحيدة المكيفة بالحرم المكي حتى كتابة هذا البحث (المحرم سنة ١٤٢٦هـ).

(٣) الأزرقي، المصدر السابق . نفسه.

(٤) الفاسي، شفاء الغرام. ج١ ص ٣٨٦. وفي وقتنا الحاضر يطلق عليه باب الوداع.

(٥) النهروالي : قطب الدين محمد (ت ٩٨٨هـ)، ا لإعلام بأعلام بيت الله الحرام. تحقيق بروك هوسي، ١٨٥٧م، ليبزج، بدون. ص ٢٣٠.

(٦) الفاسي، شفاء الغرام. ج١ ص ٣٤٧.

(٧) الفاكهي: محمد (ت بعد ٢٧٢هـ) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه. الجزء الثاني، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٨م، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ص ٢٠٢.: وقد هدمت وبنيت مكانها منارة تعرف بمنارة باب السلام في العهد =

وأضاف أيضاً (الفاكهي) " وهي (المآذن) في زوايا المسجد على سطحه يرتقي إليها بدرج وعلى كل منارة باب يغلق عليها شاع في المسجد الحرام".؛[١] وفي عهد الخليفة المعتضد بالله العباسي (أحمد بن الموفق ٢٧٩هـ – ٢٨٩هـ) تم تشييد مئذنة باب الزيادة وتعرف أيضاً بمئذنة سويقة.[٢] (منارة باب اليمن) وسقطت في سنة ٨٣٨هـ،[٣] – وأعيد بناؤها وعمارتها في سنة ١١١٣هـ.؛[٤] ثم في عهد قايتباي السلطان الأشرف صاحب الحرمين ومصر والشام (٨٧٤هـ – ٩٠١هـ)؛[٥] وفي سنة ٨٨٢هـ تم تشييد مئذنة الميل الأخضر بالمسعى[٦] وموقعها ما بين بابي السلام والنبي. أما الذخيرة وهي السابعة[٧] فهي مئذنة السلطان سليمان خان العثماني (٩٧٤هـ – ٩٨٢هـ) في الجانب الشمالي من المسجد

=

السعودي. حسين عبد الله باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام. المطبعة الشرقية، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م، جدة، الطبعة الثالثة. ص٢٤١.

(١) الفاكهي، المصدر السابق. نفسه.

(٢) الذهبي، العبر. ج١ ص ٤١٥.

(٣) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٤، ص ٨٣.

(٤) السنجاري: علي (ت ١١٢٥هـ)، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم. الجزء الخامس، تحقيق ملك محمد خياط، مركز إحياء التراث الإسلامي، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، الطبعة الأولى. ص ٢٦٩، ٢٧٠.

(٥) عز الدين ابن فهد : عبد العزيز (ت٩٢٢هـ). الجزء الثاني، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مركز إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م، مكة المكرمة، الطبعة الأولى. ص ٥٩٠.

(٦) النهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام. ص ١٥٣.

(٧) جميع المآذن اسبع القديمة بقيت حتى تم هدمها ضمن التوسعة السعودية الأولى ١٣٧٤هـ وشيدت بدلاً منها سبع مآذن جديدة. محمد طاهر الكردي، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم. المجلد الثاني، مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، (ج٢) ص ٥٤٤، ٥٤٦.

الحرام وتعرف أيضاً بمئذنة المحكمــــــة والسليمانيــــة. وهي مقامة على باب إبراهـــــيم .[١] ولكــــــل مئذنــــة من مآذن المسجـــد الحــــرام مؤذن يؤذن عليها.[٢] كما أن لهؤلاء المؤذنين رئيس وله مهام متعددة نذكر منها: معرفة وقت دخول الصلوات، وكان يتم بواسطة المزولة أو الساعة الشمسية.[٣] وفي صحن المسجد الحرام من الجهة الشمالية الشرقية منه.[٤] ومن ثم البدء بالآذان، فيتبعه بقية المؤذنين.؛ ومنها – مهام رئيس المؤذنين –. الاطلاع والاهتمام بالأمور المتعلقة بالمؤذنين. وقد كان رئيس المؤذنين يؤذن من ظُلة زمزم[٥] إلا أنه في زمن الفاكهي كان يؤذن من مئذنة باب العمرة ،؛[٦] وقد ذكر ابن بطوطة أن رئيس المؤذنين يؤذن من قبة زمزم.؛[٧] ثم صار في زمن الفاسي يؤذن من مئذنة باب السلام.[٨] ثم عاد الآذان من قبة زمزم.[١] ومعظم

---

(١) النهروالي، المصدر السابق. ص ٢٣٩.

(٢) الفاسي، العقد الثمين. ج٣ ص ٤٣ ، ٨١.؛ ج٤ ص ١٩٤ ، ٤٩١.؛ ج ٥ ص ٤٠٧ ، ٤٤٤.

(٣) المزولة :– جمع مزاول–. هي الساعة الشمسية التي يعين بها الوقت بظل الشاخص الذي يثبت عليها التحديد موعد أذان الظهر والعصر والمغرب –. عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية. ص ٢٨٠. وتتكون من حبال توضع في مكان معين لمعرفة زوال الشمس وغروبها وتعرف بميزان الشمس. الفاسي، العقد الثمين. ج١ ص ٨٨.

(٤) الفاسي، المصدر السابق. نفسه.

(٥) بُنيت ظُلة زمزم في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد. الأزرقي، أخبار مكة. ج٢ ص ٩٩.؛ وهدمت ظلة المؤذنين في سنة ٨٢٢هـ. الفاسي، المصدر السابق. ج١ ص ٩٠.

(٦) أخبار مكة . ج٢ ص ٢٠٢.

(٧) ابن بطوطة : محمد (ت٧٧٩هـ)، رحلة ابن بطوطة . دار بيروت، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠، بيروت، بدون. ص ١٦١.؛ والقبة عبارة عن بيت مربع، وفوقه بيت آخر مقام على أعمدة. وقد تم هدمه في التوسعة السعودية سنة ١٣٨٣هـ. محمد طاهر الكردي، التاريخ القويم . المجلد الثاني (ج٢) ص ٥٣٥ ، ٥٣٩.

(٨) الفاسي، شفاء الغرام. ج١ ص ٢٤٧.

الرؤساء من بيت الكازروني[٢] وهي لازالت موجودة منذ عهد الفاسي إلى الآن بمسمى بيت الريس.[٣] وكثيرا ما نجد بعض الأسر -خاصة أسرة الكازروني- تختص بالأذان وبالتالي تتوارث وظيفة الأذان بالمسجد الحرام.[٤] ونظرا لصلة المؤذن بالصلاة فإن وظيفته كانت ومازالت عناية المسلمين واهتمام سلاطينهم وملوكهم فكان البعض منهم يرسل للمؤذنين الهدايا والصلات.[٥] أما الآن فالآذان ينطلق من المكبرية[٦] من مؤذن واحد وفي نفس الوقت تنقله ميكرفونات على المآذن السبعة، فيسمع في كافة أنحاء مكة المكرمة.

=

(١) النهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام. ص ٢٩٠.

(٢) الفاسي، العقد الثمين. ج٢ ص ٥.: ج٣ ص ٨١، ١٠٨.: ج٤ ص ١٩٤، ٣٦٣، ج٥ ص ٢١٢، ٢١٣، ٤٢٨، ٤٣١، ٤٨٨، ج٦ ص ١٨٣، ٢٣٣.: والكازروني نسبة إلى كازَرون مدينة بفارس بين البحر وشيراز ياقوت، معجم البلدان. ج٤ ص ٤٢٩.

(٣) أبو الخير مرداد : عبد الله (ت١٣٤٣هـ)، المختصر من كتاب نشر النور والزاهر في تراجم أفاضل مكة. تحقيق محمد سعيد العامودي وأحمد علي، عالم المعرفة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، جدة، الطبعة الثانية. ص ٢٤٢، ٢٨٤، ٢٩٤، ٣٥٧، ٣٧٦.: وهذا اللقب نسبة إلى رئاسة المؤذنين.

(٤) الفاسي، العقد الثمين. ج٢ ص ٥، ١٢١: ج٤ ص ١٩٤؛ ج٥ ص ٢١٣ .: ج٦ ص ١٨٣، ٢٣٣.

(٥) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٣ ص ٤٩١.

(٦) هي غرفة واسعة مرتفعة ذات واجهة زجاجية مخصصة للمؤذنين مقامة في العمارة القديمة في جنوب ساحة المطاف الملاصقة لواجهة الرواق الجنوبي- العثمانية المقابلة لباب الملك عبد العزيز-. مقابلة للكعبة من الناحية الجنوبية.: وقد أنشئت في سنة ١٣٨٧هـ.

١- إبراهيم[(١)] بن محمد بن صِديق بن إبراهيم بن يوسف الدمشقي، أبو إسحاق. الملقب بالبرهان، والمعروف بابن صِدّيق توفي في ... سنة ست وثمانمائة. -١٤٠٣م-. ٣/٢٥١-٢٥٦ (٧٢٢)

٢- أحمد[(٢)] بن حَمْدُويه بن موسى النيسابوري،[(٣)] أبو حامد، ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام،[(٤)] في المتوفين سنة خمس عشرة وثلاثمائة.- ٩٢٧م-. ٣/٣٦ (٥٤١)

٣- أحمد[(٥)] بن سالم بن ياقوت المكي، أبو العباس، ٣/٤٣ (٥٥٢)، وكان يؤذن بمئذنة الحَزْوَرَة،[(٦)] ويعرف بابن سالم. ٨/١٣٨ (٤١٤٧)

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص١٤٧.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام. تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، بيروت، الطبعة الثانية. ص٤٨٨ (حوادث سنة ٣١١هـ-٣٢٠هـ).

(٣) النيسابوري: بمفتوحة وسكون تحتية وبسين مهملة وضم موحدة نسبة إلى نيسابور أم مدن خراسان. الهندي: محمد طاهر، المغنى في ضبط أسماء الرجال. ص ٢٦٢.

(٤) الذهبي، المصدر السابق. ص ٤٨٨ (حوادث سنة ٣١١هـ - ٣٢٠هـ).

(٥) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص٣٢٨.؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص٢٥٥.

(٦) باب الحَزْوَرَة: يقع في الجهة الغربية من الحرم الشريف عُرف في عهد الأزرقي بباب بني مخزوم، أخبار مكة، ج٢، ص٩٧، ثم عُرف في عهد الفاسي بباب البقالين وباب بني حكيم.: وفي وقتنا الحاضر يطلق عليه باب الوداع.

توفي في ... سنة ثمان وسبعين وسبعمائة. -١٣٧٦-.

٤- أحمد[١] بن عبد السلام بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد السلام بن أبي المعالي الكَازَرُوني المكي، يُلقب بالشهاب... باشر الأذان بمنارة باب العُمرة.[٢] وكانت وفاته في آخر سنة سبع عشرة وثمانمائة -١٤١٤م-أو أوائل سنة ثمان عشرة ببعض قرى الصعيد. ٣/٨١، ٨٢ (٥٨٤)

٥- أحمد[٣] بن علي بن محمد بن عبد السلام بن أبي المعالي الكازروني، المكي، نجم الدين أبو المعالي... كان يؤذن بمئذنة باب العُمرة. توفي في سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة. -١٣٥٢-. ٣/١٠٨(٦٠٤)، ٨/١٠٣ (٢٩٩٦)

٦- أحمد[٤] بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن ٣/١٤٢ (٦٢٩)

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص٣٤٧.

(٢) وباب العمرة هو أحد أبواب المسجد الشريف من الجهة الشمالية، وكان يعرف قديماً بباب بني سهم، ويخرج على حي الشامية من جهة الشبيكة. ويحمل رقم (٦٢).

(٣) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. جـ٣ صـ ٢٥٩. وأضاف: "وفيها أو في التي بعدها.- يعني سنة ٧٥٤هـ -".

(٤) مسلم، مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)، الكنى والأسماء. الجزء الأول، تحقيق عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، الجامعة الإسلامية، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤من المدينة المنورة، الطبعة الأولى. ص٢٣٠ (٧٦٥).- وفيه أحمد بن محمد ابن نافع بن القاسم بن أبي بزة. والراجح ما أثبتناه-.؛ ابن أبي حاتم، عبد الرحمن (٣٢٧هـ)، الجرح والتعديل. الجزء الثاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٢هـ_ ١٩٥٢م، حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى. ص٧١.؛ الفاكهي، أخبار مكة. ج١، ص٨٨، ٢٠٥، ٤٠٠.؛ الذهبي، العبر. ج١ ص٣٥٨.

أبـي بـزّة [١] المكـي، أبـو الحسن البـزِّيّ. تـوفي في سنة خمسين ومائتين. – ٨٦٤م–.

٧– أحمـد [٢] بـن محمـد بـن الوليـد بـن عقبـة بـن الأزرق بـن عمرو بن الحارث ابن أبـي شمـر الغسـاني، أبـو الوليـد وأبـو محمـد الأزرقـي المكـي. وذكـره ابـن حبـان في الثقات، ... وقال مات سنة اثنتى عشـرة ومـائتين. [٣]– ٨٢٧م–. وقـال الحـاكم: مـات سـنة اثـنـتين وعـشرين ومـائتين؛ [٤] –٨٣٦م–.؛ وقـال صـاحب الكمـال: مـات بعد سنة سبع عشـرة ومائتين–٧٣٢–. أو فيها. [٥] ٣/٣٣٨ (٨١٧)

---

(١) والبزة: الشـدة، ومعنى أبو بزة أي أبو شدة. ابـن الجـزري، غاية النهايـة في طبقات القراء. ج١، ص١١٩، ١٢٠ (٥٥٣).

(٢) الفاكهي، أخبار مكة. ج١ ص ٣٥٩، ج٣ ص٣٢.؛ ابن أبي حـاتم، الجـرح والتعـديل. ج٢ ص٧٠.؛ ابن مـاكولا : علـي (ت٤٨٧هــ)، الإكمال. الجزء الأول، تـصحيح عبـد الـرحمن بـن يحيـى المعلمـي اليمـاني، محمـد أمـين دمج، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٢م، بيروت، الطبعة الأولى. ص ١٥٢.

(٣) ابن حبان: محمد (ت٣٥٤هـ)، الثقات . الجزء الثامن، مطبعة مجلس دائـرة المعارف العثمانية، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، حيدرآباد الـدكن الهنـد، الطبعة الأولى. ص ٧.

(٤) الحـاكم : محمـد (ت٤٠٥هـ)، المستدرك (وبذيلـه التلخـيص للـذهبي). الجزء الأول. مكتب المطبوعات، بدون، حلب، بدون . ص ١٤٩.

(٥) المزي، يوسف (ت ٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال. الجـزء، دار المأمون للتراث، بدون، دمشق وبيروت، بدون. ص٢٠٠.

٨- بلال[١] بن رباح القرشي التيمي، مولاهم، أبو عبد الله ويقال أبو عبد الرحمن، ويقال أبو عبد الكريم، ويقال أبو عمرو...، ويقال بلال بن حمامة وهي أمه...، قال ابن الأثير[٢]: وهو أول من أذن في الإسلام.؛ وقد اختلف في تاريخ موته فقيل في طاعون عَمَواس وقيل سنة عشرين-٦٤٠م-. وقيل سنة إحدى وعشرين. -٦٤١-. ٣/٣٧٨ (٨٥٥)

٩- جعفر بن إدريس. ٣/٤١٧ (٨٨٧)

١٠- حسين[٣] بن عبد المؤمن بن محمد بن ذاكر بن عبد المؤمن بن أبي المعالي الكازروني، ... وأنه أقام بوظيفة مئذنة باب علي من المسجد الحرام بعد أخيه علي. توفي بعد الستين وسبعمائة. -١٣٥٨م-. ٤/١٩٤ (١٠٣٦)

١١- حسين[٤] بن يوسف بن يعقوب بن حسن بن إسماعيل ٤/٢٠٩، ٢١١ (١٠٥١)

---

(١) ابن سعد (ت ٢٣٠هـ). الطبقات الكبرى. الجزء الثالث. دار التحرير، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م، القاهرة، بدون. (ق١) ص١٦٥-١٧٠.؛ ابن عبد البر، الاستيعاب. ج١ ص١٤١، ١٤٤.

(٢) ابن الأثير: علي (ت٦٣٠هـ) أسد الغابة. الجزء الأول، تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور، دار الشعب، ١٩٧٠م، القاهرة، بدون. ص١٩٨.

(٣) الفاسي، ذيل التقييد. ج٢، ص٤٣٨ (١٠١٢). وفيه "الحسين" بدل "حسن".

(٤) انظر: الفاسي، ذيل التقييد. ج٢، ص٣٥٣ (١٠١٩). وفيه "الحسين" بدل "حسين". والمعروف بالعجمي بدل "المعروف بالحصنى".: السخاوي، الضوء اللامع. ج٣ ص١٦٠.

الحصني كيفائي المكي، بدر الدين المعروف بالحصني. توفي ...سنة إحدى وثمانمائة. -١٣٩٨م-.

١٢- ذاكر[(١)] بن عبد المؤمن بن أبي المعالي بن أبي الحسن بن ذاكر بن أحمد ابن حسن بن شهريار الكازروني المكي، موفق الدين أبو الثناء. -كان حياً في تسع وأربعين وستمائة. -١٢٥١-. ٣٦٣/٤ (١١٦٥)

١٣- سالم[(٢)] بن ياقوت المكي، أبو أحمد... وكان يؤذن بمئذنة الحزورة. توفي- في- سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة. -١٣٧٠م-. ٤٩١/٤، ٤٩٢ (١٢٣٦)

١٤- عبد الله[(٣)] بن علي بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد السلام بن أبي المعالي الكازروني الأصل، المكي المولد والدار، يُلقب بهاء الدين. كان رئيس المؤذنين[(٤)] بمكة... وولى ذلك مدة سنين كثيرة. توفي في ... سنة ثمان وثمانمائة. -١٤٠٥م-. ٢١٢/٥، ٢١٣

١٥- عبد الله[(٥)] بن علي بن محمد بن عبد السلام بن أبي ٢١٣/٥ (١٥٨٣)

---

(١) الفاسي، ذيل التقييد. ج٢، ص٣٦٨ (١٠٤١).

(٢) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٣، ص٣١٤.

(٣) النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٣، ص٤٤٩.؛ السخاوي، الضوء اللامع. ج٥، ص٣٤.

(٤) كان يؤذن في مئذنة باب السلام. الفاسي، شفاء الغرام. ج١ ص ٣٤٧. ص٢٤١.؛ ويعرف قديماً بباب بني شيبة (باب السيل). الأزرقي، أخبار مكة. ج٢، ص٨٧.؛ وهو يقع في الجهة الشرقية من المسجد الشريف. ورقمه الآن (٢٦).

(٥) النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٣ صـ ٢٢٨.

المعالي الكازروني المكي. توفي في ... سنة أربع وأربعين وسبعمائة.–١٣٤٣م–.

١٦– عبد الرحمن[١] بن محمد بن أبي الطاهر محمد بن ٥/٤٠٧ (١٧٨١) عبد الرحمن بن أبي الفتح العُمري، المصري الأصل، المكي المولد والدار، ...، وكان مؤذناً بمئذنة دار الندوة.[٢] توفي في ... سنة ثمانمائة. –١٣٩٧–.

١٧– عبد الرحمن[٣] بن وَرْدان الغِفاري، أبو بكر ٥/٤١٣ (١٧٩٢) المكي. –ت بعد سنة ١٠٠هـ–.[٤] – ٧١٨م–.

١٨– عبد السلام[٥] بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد ٥/٤٢٨ (١٨٠٨) السلام بن أبي المعالي الكازروني المكي عز الدين. كان يؤذن بمئذنة باب العُمرة، وكان جهوري الصوت. توفي في ... سنة ثلاث وسبعين وستمائة – ١٢٧٤م– بالقاهرة.

---

(١) النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٣، ص٤٠٩.

(٢) وهي على باب الزيادة أحد أبواب المسجد الحرام ويقع في الجهة الشمالية منه. الفاكهي، أخبار مكة. ج٢ ص ١٩٧؛ وهو يخرج على سوق سويقة بحي الشامية

(٣) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل. ج٥، ص٢٩٥، ٢٩٦؛ ابن حبان، الثقات. ج٥ ص١١٤.

(٤) ابن حجر، أحمد (ت٨٥٢هـ)، تقريب التهذيب. تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م، حلب، الطبعة الأولى. ص٣٥٢.

(٥) الفاسي، شفاء الغرام، ج١ ص٣٤٤.

١٩- عبد السلام[١] بن أبي المعلي بن أبي الخير بن ذاكر بن أحمد بن الحسن بن شهريار الكازروني، أبو محمد المكي. توفي في ... سنة ثمان وعشرين وستمائة. -١٢٣٠م-. ٥/٤٣١ (١٨١٢)

٢٠- عبد العزيز[٢] بن أحمد بن سالم بن ياقوت المكي، ...، ويؤذن بمئذنة باب الحزورة (ت ٧٨٧هـ-١٣٨٥م-. ٥/٤٤٤ (١٨١٧)

٢١- عبد الكريم[٣] بن أبي المُخَارق. قيل اسمه قيس، وقيل طارق البصري، أبو أمية، نزيل مكة. -ت ١٢٧ هـ - ٧٤٤م-. وقيل ١٢٦هـ-.[٤] -٧٤٣م-. ٥/٤٨٠ (١٨٥٦)

٢٢- عبد اللطيف[٥] بن محمد بن حسين بن عبد المؤمن الكازروني المكي، يُلقب سراج الدين، ... قُرِّر مؤذناً عِوضه (عبد الله بن علي) بمنارة بني شيبة، فباشر الأذان بها في وظيفة الرئاسة، ولم يزل متوالياً لذلك حتى مات. توفي في ... سنة سبع ٥/٤٨٨ (١٨٦٣)

---

(١) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٣، ص٤٩.

(٢) النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٣، ص٣٥٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى. ج٧ (ق٢) ص١٨.؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل. ج٦، ص٥٩.؛ الفاكهي، أخبار مكة. ج١، ص١٢٧.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب. الجزء السادس، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٦هـ، حيد آباد الدكن، الطبعة الأولى. ص٣٧٨.

(٥) السخاوي، الضوء اللامع. ج٤، ص٣٣٤.

وعشرين وثمانمائة - ١٤٢٣م-.

٢٣- عثمان[١] بن عبد الملك المكـي، لقبه مُستقيم. - ت بعد سنة ١٠٠هـ-.[٢] - ٧١٨م-. ٢٨/٦ (١٩٥٧)

٢٤- علي[٣] بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد السلام بن أبي المعالي الكازروني، أبو الحسن المكي، المُلقب نور الدين. توفي في ... سنة خمس وستين وسبعمائة- ١٣٦٣م-. ١٨٣/٦ (٢٠٦٨)

٢٥- علي[٤] بن محمد بن عبد السلام بن أبي المعالي بن أبي الخير بن ذاكر ابن أحمد بن الحسن ابن شهريار الكازروني الأصل المكي، يُلقب بالتاج توفي في ... سنة خمس وتسعين وستمائة.-١٢٩٥م-. ٢٣٣/٦ (٣٠٠٧)

٢٦- الفضل[٥] بن جعفر. ١٦٠/٣

٢٧- أبو مَحْذُورة[٦] - المؤذن القرشي، الجُمحي ... ٩٩/٨(٢٩٨٧)

---

(١) البخاري: محمد، التاريخ الكبير. الجزء السادس، ١٩٨٦م، بيروت، بدون. ص٢٤٢ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل. ج٦، ص١٥٨.: ابن حبان، الثقات. ج٧، ص٢٠١.

(٢) ابن حجر، تقريب التهذيب. ص٣٨٥.

(٣) الفاسي، ذيل التقييد. ج٢، ص١٥١ وفيه مات سنة ٧٥٦هـ.

(٤) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٣، ص١٢٨.

(٥) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل. ج٧، ص٦٠.: الخطيب البغدادي: أحمد (ت٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد. الجزء الثاني عشر، دار الكتب العلمية، بدون، بيروت، بدون. ص٣٦٣ وقد أغفلا تحديد تاريخ الوفاة.

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى. ج٥ ص ٣٣٢، ٣٣٣.: مسلم، الكنى والأسماء. ج٢ ص ٨٢٧ (٣٣٣٩).: ابن عبد البر، الاستيعاب. ج٤ ص ١٧٩.

اختلف في اسمه فقيل: سَمرة بن مِعْيَر. وقيل أوس بن مِعْيَر بن لوذان بن ربيعة بن عَويج بن سعد بن جُمَح. توفي ...، سنة تسع وخمسين – ٦٧٨م– .؛ وقيل سنة تسع وسبعين – ٦٩٨م–.

٢٨– محمد بن سالم بن ياقوت المكي ومات في حياة أبيه في عشر السبعين وسبعمائة–١٣٦٨م–. بالقاهرة. ٢٩١/١ (١٧)

٢٩– محمد[1] بن إسحاق بن وهب بن أعين توفي في ... سنة أربع وتسعين ومائتين.–٩٠٦م–. ٤١١/١ (٩١)

٣٠– محمد[2] بن حسين بن عبد المؤمن بن محمد بن ذاكر بن عبد المؤمن بن أبي المعالي بن أبي الخير ذاكر بن أحمد بن الحسين بن شهريار الكازَرُوني المكي، جمال الدين، مؤذن المسجد الحرام بقبة بئر زمزم، ورئيس المؤذنين بمكة، وكان إليه أمر الأذان بمنارة الميل الأخضر بالمسعى،[3] ثم جُعل رئيساً على المؤذنين بعد موت الرئيس بهاء الدين عبد الله بن علي في سنة ٨٠٨ هـ–١٤٠٥م–. مات في ... سنة ست وعشرين وثمانمائة.–١٤٢٢م–. ٥/٢ (١٥٢)

---

(١) ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء. ج٢، ص٩٩.

(٢) الفاسي، ذيل التقييد. ج١، ص٢٠٣ (١٦٨) وفيه أنه توفي سنة ٨٢٥هـ.؛ النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٣، ص٤٤٩.

(٣) وقد أزيلت في التوسعة السعودية سنة ١٣٧٥هـ وبنيت مئذنة جديدة فوق قبة الصفا.

٣١- محمد[1] بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد السلام بن أبي المعالي (ابن أبي الخير). الكازروني، المكي، جمال الدين ... رئيس المؤذنين بالحرم الشريف، وكان المذكور يعاني تجبير الأعضاء وكان له معرفة بعلم الميقات. وصنف في ذلك أرجوزة. أولها: ٢/٦٩(٢٢١)

قال ابن عبد الله والسلام ... مؤذن الكعبة والمقام.؛ مات في سنة سبع وسبعين وسبعمائة- ١٣٧٥م-.

٣٢- محمد[2] بن عبد الرحمن بن أبي الفتح، كمال الدين أبو الطاهر العُمري المصري. وتوفى ... في - سنة تسع وعشرين وسبعمائة. -١٣٢٨م-. ٢/١٠٤(٢٩٥)، - ٨/٥٦ (٢٩٠٦)

٣٣- محمد[3] بن عبد السّلام بن أبي المعالي بن أبي الخَيْر ذاكر بن أحمد بن الحسن بن شَهْريار الكازروني، أبو عبد الله المكي، يُلقب بالجلال. توفي ...، في ٢/١٢١ (٢٧١)

---

(١) الفاسي، ذيل التقييد. ج١. ص٢٣٩ (٢٢٦).؛ ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر. الجزء الأول، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، بيروت، الطبعة الثانية. ص١٨٢.

(٢) ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. الجزء الرابع، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، ١٣٨٥هـ - ١٩٩٦م، القاهرة. بدون. ص٦.: النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٣ ص١٨٨.

(٣) الفاسي، ذيل التقييد، ج١ ص٢٧١ (٢٧١). وفيه "جلال الدين" بدل "الجلال".

سنة خمس وخمسين وستمائة- ١٢٥٧م-.

٣٤- محمد بن عرفة بن محمد الأصبهاني المكي، عرف بعبود المؤذن على قبة بئر زمزم ... -كان حيا - في سنة سبع وثلاثين وستمائة.-١٢٣٩-. ١٤٠/٢(٣٠٢)

٣٥- محمد بن علي بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد السلام بن أبي المعالي الكازروني، المكي أبو الخير. وتوفي في ... سنة تسع وتسعين وسبعمائة.[1]-١٣٩٦م-. ٤٠/٨(٢٨٦٦)

٣٦- محمد[2] بن أبي الطاهر محمد بن عبد الرحمن بن أبي الفتح العُمَري، وكان يؤذن بمنارة دار الندوة. وأجاز لبعض شيوخنا في استدعاء مؤرّخ بسنة ست وخمسين وسبعمائة. وتوفي بقريب ذلك في عشر الستين، وإلا في عشر السبعين وسبعمائة- ١٣٦٨م- ٢٩٧/٢، ٢٩٨ (٤٠٥)

٣٧- ناصر[3] بن مفتاح النُّوَيْري، المكي، وَلي نيابة الأذان بمئذنة باب الندوة بالمسجد الحرام، مدة سنين ... فأدركه بها -- القاهرة - في ... سنة سبع وثمانمائة.-١٤٠٤م-. ٣١٨/٧(٢٥٦٩)

---

(١) الفاسي، ذيل التقييد، ج١ ص ٣٨٧ (٤٤٧). وزاد "المعروف بابن أبي الطّاهر".؛ ابن حجر، الدرر الكامنة. ج٤ ص ٣٠٥.

(٢) انظر : السخاوي، الضوء اللامع. ج١٠ ص١٩٦.

(٣) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٣ ص ٤٠٧.

المبحث الثالث

مشيخة ونظارة المسجد الحرام:

أولاً : مَشْيخَة المسجد الحرام:

ذكر صابان في المعجم الموسوعي تعريفه لهذه الوظيفة على النحو التالي : " شيخ الحرم الشخص المسؤول عن إدارة الحرم".[١] وقد يكون من مهامه الإشراف على النواحي المعمارية كما ذكر حسن الباشا بما نصه: " اسم وظيفة تتعلق بالإشراف على خدمة المؤسسات الدينية مثل الجامع والمقام والحرم والرواق ومن هذه الوظائف شيخ الجامع وشيخ الحرمين الشريفين".[٢] كما أورد حسن الباشا تعريفاً آخر هو :"وشيخ الحرمين الشريفين من وظائف مشيخة المقامات والمؤسسات الدينية والحرمان الشريفان هما : المسجد الحرام والمسجد النبوي".[٣]

١- أحمد[٤] بن أسد بن أحمد بن بَاذل الكُوْجي. مات بعد سنة ستين وأربعمائة.–بعد ١٠٦٧م–. ١٧/٣(٥٢٠)

---

(١) ص ١٤٢.

(٢) الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية. ج٢ ص ٦٣٠.

(٣) المصدر السابق. ج٢ ص ٦٣٦.

(٤) ابن نقطة : محمد (ت٦٢٩هـ)، تكملة الإكمال. الجزء الخامس، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، جامعة أم القرى، ١٤١٧هـ، مكة المكرمة، بدون. ص ١٧٣ (٥٣٥١).

٢- أحمد[١] بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد ٣/٦١-٧٢ (٥٧١) بن إبراهيم، شيخ الحجاز، محب الدين الطبري المكي الشافعي، يُكنى أبا جعفر وأبا العباس. وترجمه الذهبي: بشيخ الحرم، [٢] ... - توفي في -. سنة أربع وتسعين وستمائة- ١٢٩٤م-.

٣- أحمد[٣] بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن ٣/١٠٥-١٠٨(٦٠٢) أحمد بن ميمون بن راشد القَيْسي، أبو العباس القسطلاني المصري، المكي المالكي. وسمع منه جماعة من الحفاظ منهم ابن الحاجب الأمين، ...، وذكره في معجمه. وقال: كان زاهد أوانه وشيخ الحرم الشريف في زمانه ... توفي - في - سنة ست وثلاثين وستمائة- ١٢٣٨م-.

٤- أحمد[٤] بن محمد بن زكريا النَّشوِيّ،[٥] أبو العباس ٣/١٣٦ (٦٢٥) شيخ الحرم. وذكره الخطيب وقال : كان ثقة . توفي بطريق الحجاز، سنة ست وتسعين

---

(١) ابن تغري بردي، الدليل الشافي. ج١ ص ٥٤.؛ النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٣ ص١٢٧.

(٢) العبر. ج٣ ص ٣٨٢.

(٣) الذهبي، المصدر السابق . ج٣ ص٢٢٦.؛ النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٣ ص٥٥.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد. ج٥ ص٩.

(٥) والراجح "النَّسوي" كما في تاريخ بغداد – الخطيب البغدادي. ج٥ ص٩-.: وفي العقد الثمين. الفاسي. ج٨ ص١٦٩. كما وأنه اشتهر بالنَّسَويّ

وثلاثمائة(١٠٠٥م). [١]وقيل سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة–١٠٠٧م–.

٥- أحمد[٢] بن محمد بن زياد بن بِشْر بن درهم العبدي٣/١٣٧، ١٣٨ (٦٢٦) أبو سعيد الأعرابي البصري ... ذكره أبو عبد الله السُّلَمي في طبقات الصوفية، وذكر أنه كان في وقته شيخ الحرم ...، [٣] ومات بمكة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة (٩٥٢م). وذكر الذهبي أنه ...، توفي في ... سنة أربعين[٤] – وثلاثمائة–٩٥١م–.

٦- أحمد[٥] بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن ٣/١٤٢، ١٤٣ (٦٢٩) أبي بَزَّة المكي، أبو الحسن البزِّيّ. وقال – الذهبي – في تاريخ الإسلام، كان شيخ الحرم وقارئه في زمانه، [٦]. توفي سنة خمسين ومائتين– ٨٦٤م–.

---

(١) تاريخ بغداد. ج٥ ص٩.

(٢) ابن نقطة، تكملة الإكمال. ج٤ ص ٤٠٨، وأنه مات سنة ٣٤٠هـ.؛ النجم عمر ابن فهد، إتحاف الورى. ج ٢ ص٣٩٧.

(٣) ص ٤٢٧.

(٤) العبر. ج٢ ص٥٩. وهي الراجحة في سنة وفاته، كما في جميع المصادر.

(٥) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل. ج٢ ص٧١ (١٢٩ ٠).؛ الذهبي، العبر. ج١ ص٣٥٨.؛ ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء. ج١ ص١١٩ (٥٥٢).؛ النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٢ ص٢٨١. وفيه أنه مات سنة ٢٠٥هـ والراجح كما ثبتناه، وكما في جميع المصادر.

(٦) ص ١٤٤، ١٤٥ (حوادث وفيات ٢٤١هـ – ٢٥٠هـ).

٧- إدريس[١] بن إسحاق بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري، شمس الدين أبو المعالي، ابن القاضي فخر الدين المكي.، ... ولم أَدْر متى مات، إلا أنه كان حياً في سنة خمس وأربعين وستمائة-١٢٤٧م-. ٢٧٨/٣ (٧٤١)

٨- بَشير[٢] بن حامد بن سليمان بن يوسف بن سليمان بن عبد الله بن الحسين ابن زيد بن الحسن بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن جعفر ابن إبراهيم بن محمد بن علي الزَّيْنَبي بن عبد الله الجواد بن جعفر الطيار بن أبي طالب القرشي الهاشمي الجعفري، شيخ الحرم، نجم الدين أبو النُّعمان بن أبي بكر التّبْريزِيّ البغدادي الشّافعي وقد وَليّ مشيخة الحرم الشريف، فطلع بدرا في ذلك الأفق المنيف، ... تُوفي ... سنة ست وأربعين وستمائة- ١٢٤٨م-. ٣٧١/٣-٣٧٥ (٨٥٠)

٩- سعد[٣] بن علي بن محمد بن علي بن الحسين، ٥٣٥/٤، ٥٣٦ (١٢٦٦)

---

(١) الفاسي، ذيل التقييد. ج ٢ ص٣٠٣ (٩٤٦).

(٢) الذهبي، المختصر المحتاج إليه. ج١٥ ص١٥٠ (٥٣٣) وفيه"أبو النعم " بدل " أبو النعمان". والراجح كما ثبتناه، وكما في معظم مصادر ترجمته.؛ ابن العمادية، منصور(ت٦٧٣هـ)، ذيل تكملة الإكمال. الجزء الأول، تحقق عبد القيوم عبد رب النبي، جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ، مكة المكرمة، بدون. ص١٥٠ (١٢٥).؛ الفاسي، ذيل التقييد. ج٢ ص٣١١ (٩٦١).

(٣) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٢ ص٤٨٠.

الحافظ الزاهد، أبو القاسم الزَّنْجَانيّ.[١] شيخ الحرم. وقد ذكره الحافظ أبو سعد السمعاني، في ذيله على تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، فقال: طاف البلاد، ثم جاور بمكة، وصار شيخ الحرم، ... قال الذهبي : ولد في حدود سنة ثمانين وثلاثمائة –٩٩٠م–، أو قبلهما، وتوفي في آخر سنة إحدى وسبعين، –١٠٧٨م– أو في آخر سنة سبعين(١٠٧٧م).[٢] وأربعمائة بمكة.

١٠- عبد الله [٣] بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي ٥/١٠٤-١١٥ (١٤٨٦) اليمني، نزيل مكة، وشيخ الحرم، يُلقب عَفيف الدين، ويُكنى بأبي السيادة ...، توفي – في – سنة ثمان وستين وسبعمائة– ١٣٦٦م–.

١١- عبد الله [٤] بن محمد بن محمد بن علي، الشيخ ٥/٢٧١-٢٧٨(١٦٢٦) نجم الدين الأَصْبهاني، نزيل مكة. وذكره الذهبي في ذيل تاريخ الإسلام، فقال : الإمام القدوة شيخ الحرم ... توفي – في – سنة إحدى وعشرين

---

(١) الزَّنْجانِيّ : من زَنْجَان من مدن أذربيجان. ابن العمادية، ذيل تكملة الإكمال. ج١ص ٣٠٨.

(٢) العبر. ج٢ ص ٣٣٠.

(٣) الفاسي، ذيل التقييد. ج٢ ص٤١٢، ٤١٣ (١١١١).: ابن تغري بردي، الدليل الشافي. ج١ ص ٣٨٢، ٣٨٣ (١٣١٣).: النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٣ ص٣٠٧.

(٤) الذهبي، ذيول العبر. ج٤ ص٦١.: النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج ٣ص١٧٥.

وسبعمائة - ١٣٢١م-.

١٢- عبد الجبار[1] بن إبراهيم بن أبي عمرو عبد الوهاب ٥/٣٢٤، ٣٢٥(١٦٩٦) بن أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن مَنْده العبدي، أبو نصر الأَصبهاني شيخ الحرم. روى عنه أبو موسى المَديني، وقال: شيخ الحرم سنين عديدة، وقدم علينا سنة عشرين وخمسمائة، ثم رجع، فمات، يعني بمكة في رمضان سنة إحدى وعشرين وخمسمائة- ١١٢٧م-.

١٣- عبد السلام[2] بن محمد بن أبي موسى المخزومي، ٥/٤٣٠، ٤٣١ (١٨١١) أبو القاسم الصوفي. شيخ الحرم. روى عنه أبو نعيم الحافظ. وجاور مكة سنين حتى مات بها سنة أربع وستين وثلاثمائة، [3] -٩٧٤م-.

١٤- عبد الملك[4] الطبري الزاهد شيخ الحرم. وذكر ٥/٥١٧(١٨٩٤) الذهبي أنه توفي في عشر الثلاثين وخمسمائة.[5] - ١١٣٥م-.

---

(١) النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٢ ص٥٠٠.

(٢) النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٢ ص٤١٣.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد. ج١١ ص٥٧.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام. ص ١٩٣ (حوادث وفيات سنة ٥٢١هـ - ٥٣٠هـ).

(٥) المصدر السابق. ص ١٩٣.

١٥- عَبْد [١] بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غُفَيْر [٢] ٥٣٩/٥-٥٤١(١٩١٩) بن السَّماك الأنصاري الحافظ، أبو ذَرّ الهَروي المالكي، شيخ الحرم. وذكره عبد الغفار في تاريخ نيسابور، وقال: كان حافظاً، كثير الشيوخ، زاهداً ورعاه، يُحب ألا يَدّخِر شيئاً لغد. وصار من كبار مشيخة الحرم، مُشار إليه في التصرف. وأنه لم يَمت إلا بمكة كما ذكر الخطيب فميا حكاه عنه أبو محمد هبة الله بن أحمد الأكفاني لخمس خلون من ذي القعدة سنة أربع وثلاثين وأربعمائة-١٠٤٢م-، [٣] وذكر الذهبي: أن القاضي عياض، أرخ وفاته في سنة خمس وثلاثين وأربعمائة - ١٠٤٣م- [٤]. وجزم الذهبي بوفاته في سنة أربع وثلاثين في العبر، [٥] وهو الصواب.

---

(١) انظر: الذهبي، دول الإسلام. الجزء الأول، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، القاهرة، بدون. ص ٢٥٧.؛ النجم عمر ابن فهد. إتحاف الورى. ج ٢ ص ٤٦٠.

(٢) في العقد الثمين "غفير" ولعله خطا من الناسخ، والتصويب من تكملة الاكمال. ابن نقطة. ج٤ ص ٣٧٧ (٤٥١٩).

(٣) تاريخ بغداد. ج١١ ص١٤١ (٥٨٣٨).

(٤) تاريخ الإسلام. ص ١٢٠.

(٥) ج٢ ص٢٦٩. وأضاف: " ... وكان شيخ الحرم في عصره".

١٦- محمد[1] بن أحمد الحلاوي، أبو بشير أحد مشايخ ١/٣٩١ (٦٨) الحرم. مات بمكة سنة ست، ونعي إليهم سنة سبع وثمانين وستمائة–١٢٨٨م–.

١٧- محمد[2] إبراهيم بن المنذر، أبو بكر النيسابوري. ١/٤٠٦–٤٠٨ (٨٦) وترجمه الذهبي : بالحافظ، العلامة الفقيه، الأوحد، شيخ الحرم.[3] وذُكر في طبقات الحفاظ : أن ابن القطان القابسي : أرخ وفاته سنة ثمان عشرة وثلاثمائة (٩٣٠م). قلت – الفاسي–. الذي ذكره الشيخ أبو إسحاق في طبقاته: أنه توفي بمكة المشرفة سنة تسع(٩٢١م) أو عشر وثلاثمائة–٩٢٢م–.[4]

١٨- محمد [5] بن إبراهيم بن يوسف بن محمد ١/٤٠٨، ٤٠٩(٨٧) ١٤٧/٨(٣١٩٢)

---

(١) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٢ ص٤٢٥ وفيه "أبو بشر" بدل "أبو بشير" وفيه أيضاً أنه مات سنة ٣٨٦هـ. والراجح أنه مات سنة ٣٨٦هـ لأنه من ذكره في طبقاته وهو أبو عبد الرحمن السلمي – محمد بن حسين مات سنة ٤١٢هـ. الذهبي، دول الإسلام. ص٢٤٦–. فمقتضى ذلك ألا يكون حياً بعد سنة ٤١٢هـ.

(٢) النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج ٢ ص٣٦٨.

(٣) تاريخ الإسلام. ص ٥٦٨ (حوادث وفيات سنة ٣١١هـ – ٣٢٠هـ).

(٤) نقل قوله الذهبي في تاريخ الإسلام. ص ٥٦٨.

(٥) ابن كثير، إسماعيل (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية. الجزء الحادي عشر، مكتبة المعارف، بدون، بيروت، بدون. ص ٢٣٥.؛ النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج ٢ ص٤٠١.

النيسابوري. أبو عمرو الزجاجي ... دخل مكة، وأقام بها، وصار شيخها، والمنظور إليه فيها والمشهور بابن المُنْذِر. توفي سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة -٩٥٩م-.

١٩- محمد [١] بن أبي بكر عبد الله بن خليل بن إبراهيم بن يحيى بن فارس بن أبي عبد الله العسقلاني المكي، شيخ الحرم ومفتيه، رَضي الدين أبو عبد الله، المعروف بابن خليل الشافعي ... توفي في ... سنة خمس وتسعين - وستمائة -١٢٩٥م- . ٢/٥٩-٦٣(٢١٤)

٢٠- محمد [٢] بن عبد الله بن أبي الفضل بن أبي علي بن عبد الكريم الطائي. شيخ الحرم. ظهير الدين أبو عبد الله بن مَنَعَة البغدادي الزعفراني، توفي بالمَهْجَم[٣] ... سنة ثمان وسبعمائة.-١٣٠٨م-. ٨/١٢٢(٣٠٧٨)

---

(١) الذهبي، العبر. ٣ ص٣٨٨ وفيه أنه مات سنة ٦٩٦هـ.: ابن تغري بردي، الدليل الشافي. ج٢ ص٦٤٥. وفيه أنه مات سنة ٦٩٥هـ.؛ النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٣ ص ١٢٨. والراجح سنة ٦٩٥هـ كما معظم مصادر ترجمته

(٢) الذهبي، العبر. ج٤ ص١٩.: ابن كثير، البداية والنهاية. ج١٤ ص٤٩.: النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج ٣ ص١٤٦.

(٣) المَهْجَم: بلد وولاية من أعمال زبيد باليمن. ياقوت، معجم البلدان. ج٥ ص٢٢٩.

٢١- محمد [١] بن عمر بن يوسف بن عمر بن نعيم ٢/٢٣٧-٢٤٢(٣٤٧) الأنصاري . أبو عبد الله القُرطبي، الفقيه المالكي المقري. وكان شيخ الحرمين في زمانه، وتوفي في ... سنة إحدى وثلاثين وستمائة. ١٢٣٣م- بالمدينة المنورة-.

٢٢- منصور [٢] بن أبي الفضل محمد بن أبي علي عبد بن ٧/٢٨٥-٢٨٧(٢٥٢٥) عبد الكريم الطائي الزعفراني البغدادي شيخ ٦/٢، ٧٥، ٤٦٠ الحرمين، عفيف الدين أبو المظفر، المعروف بابن مَنعَة. قلد أمرهما - يعني الحرمين- في سنة أربع وعشرين وستمائة إلى حين وفاته. ووجدت بخط أبي العباس الميورقي، [٣] أنه وَلِيَ مشيخة الحرم، نحو أربعين سنة، وأنا -الفاسي- أستبعد صحة ذلك لأن ...الشيخ نجم الدين بشير التِّبريزي- كان- شيخاً للحرم [٤]. وكانت وفاة ابن مَنَعَة في ...، سنة أربع وستين وستمائة.-١٢٦٥م-.

---

(١) الذهبي، العبر. ج٣ ص٢١٠.: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء. ج٢ ص ٢١٩، ٢٢٠ (٣٣٢٤).

(٢) النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٣ ص٩٠.

(٣) هو أحمد بن علي بن أبي بكر بن عيسى بن محمد بن زياد العَبْدَرِيّ، اشتهر بالصلاح والخير له تعاليق في تاريخ مكة، مات في سنة٧٧٨هـ. الفاسي، العقد الثمين. ج٣ ص ١٠٢، ١٠٣.

(٤) في ترجمة بشير رقم "٨"أنه كان متوليا لمشيخة الحرم إلى أن مات في سنة ٦٤٦هـ فيكون "منصور" قد وَلِيَ مشيخة المسجد النبوي في ستة ٦٢٤هـ وبعد وفاة "بشير" ضم إليه مشيخة الحرم المكي في سنة ٦٤٦هـ.

٢٣- موسى[١] بن حسن بن موسى بن عبد الرحمن بن ٢٩٧/٧، ٢٩٨ (٢٥٤٠)
علي بن الحسين بن علي الشيباني الطبري المكي، يُلقب بالرضى، شيخ الحرم. وكان حيا في ...سنة ست وثمانين وستمائة–١٢٨٧–.

٢٤- يَحْيى[٢] بن ياقوت بن عبد الله الحَرَمِيّ البغدادي، ٤٥٢/٧، ٤٥١(٢٧١٦)
شيخ الحرم، أبو الفرج وكان شيخ الحرم، ومعمارا مدة طويلة، ولذلك قيل له لحَرَمِيّ، ثم عاد إلى بغداد وبها توفي، في ...، سنة اثنيّ عشرة وستمائة–١٢١٥م–.

ثانياً : نظارة المسجد الحرام:

النَّظَرُ (نَاظِرٌ) : النَّظَرُ تَأَمُّلُ الشَّيء بالعَيْن.[٣] ذكر حسن الباشا في الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية بما نصه : " واسم هذه الوظيفة مأخوذ إما من النظر الذي هو رأي العين لأنه يدير نظره في أمور ما ينظر فيه، وإما من النظر بمعنى الفكر ؛ لأنه يفكر فيما فيه المصلحة من ذلك."[٤] ومن المهام الرئيسية له (نظارة المسجد

---

(١) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٣ ص١١٨.

(٢) ولعله يحيى بن ياقوت النجار، أبو الفرج، مات في سنة ٥٩٤هـ. ابن العمادية، ذيل تكملة الإكمال. ج٢ ص٦٠٩(٩٤٣)؛ الذهبي، المختصر المحتاج إليه. ج١٥ ص٢٩٦ (١٤٨٤).

(٣) ابن منظور، لسان العرب. ج٧ ص ٤٤٦٥.

(٤) ج٣ ص ١١٧٧.

الحرام) الإشراف الشامل لكل الإصلاحات التي تجرى داخل المسجد الحرام أو مشاعر الحج أو الكعبة[١] من بناء أو ترميم[٢] أو إصلاحات[٣] بالإضافة إلى مراقبة ونظر عمل جميع العاملين بالمسجد الحرام، وعلى أوقاف وأموال المسجد الحرام وتعيين شيخ الفراشين،[٤] والواقع أن وظيفة ناظر المسجد الحرام من أهم الوظائف المتعلقة بشؤون المسجد الحرام، وقد أدرك السلطان محمد بن قلاوون أهمية هذه الوظيفة فجعلها وظيفة مستقلة يتولاها قضاة الشافعية.[٥] وقد أصيبت هذه الوظيفة بالخلل عندما عين السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥هـ – ٨٤١هـ) لهذه الوظيفة أحد التجار وهو داود بن علي الكيلاني سنة ٨٣٧هـ بعد أن بذل له مبلغا من المال للسلطان نظير تعيينه ناظرا للمسجد الحرام.[٦] وكان مرسوم التعيين يقرأ في جمع من أعيان مكة في المسجد الحرام.[٧]

---

(١) الفاسي، العقد الثمين. ٦ ص ٢٦٨، ٢٦٩.

(٢) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٣ ص ٥٩٨.

(٣) النهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام. ص ١٥٨.

(٤) النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٤ ص ٤٦٤، ٦٠٤.

(٥) المقريزي : أحمد (ت٨٤٥هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك . الجزء الرابع، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٣٤هـ – ١٩٦٧م، القاهرة، بدون. (ج٢) ص ٦٨١.

(٦) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى . ج٤ ص ٧٣. وأضاف : "ومنع السيد بركات من التحدث وأقام عوضه الأمير سودون المحمدي ...".

(٧) الفاسي، العقد الثمين. ج١ ص ٣٧٤.؛ النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٣ ص ٥٠٩.

١- أحمد [١] بن ديْلَم بن محمد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن ديلم بن محمد الشيبي الحجبي، مجد الدين أبو العباس المكي. شيخ الحجبة وفاتح الكعبة. وتوفي ابن ديلم في ... سنة اثنتى عشرة وسبعمائة-١٣١٢م-. نقلت - الفاسي - وفاته من خط جدي الشريف علي الفاسي. وذكر أنه كان ناظر الحرم الشريف. ٣٨/٣(٥٤٥)

٢- أحمد [٢] بن ظَهيرة بن أحمد بن عَطية بن ظهيرة المخزومي قاضي مكة وخطيبها، شهاب الدين أبو العباس المكي. وأول ولايته أنه باشر في الحرم، ... وتوفي في ... سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة-١٣٨٩م-. ٥٢/٣، ٥٣ (٥٦٢)

٣- الحُسَين [٣] بن محمد بن علي بن الحَسَن بن علي بن عبد الوهاب، المُلقب نُور الهدى، أبو طالب الزَّيْنَبيّ ... وجاوَر بمكة ناظرا في مصالح الحرم. - مات في سنة ٢٠٦/٤ (١٠٤٦)

---

(١) ابن تغري بردي، الدليل الشافي. ج١ ص٤٦ (١٥٤).؛ النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج ٣ ص١٤٩.

(٢) الفاسي، ذيل التقييد. ج٢ ص٦٠، ٦٢ (٦٤٠).؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي . ج١ ص٥١ (١٧٢).؛ وفي إتحاف الورى أنه وَلِي القضاء والخطابة ونظر الحرم والحسبة بعد محمد بن أحمد بن عبد العزيز العقيلي- انظر الترجمة رقم ((٥))-. النجم عمر ابن فهد. ج ٣ ص٣٤٥.

(٣) ابن نقطة، تكملة الإكمال. ج٣ ص١٠٥ (٢٨٦٧).؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ. الجزء الرابع، دار إحياء التراث الإسلامي، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م، بيروت، بدون. ص١٢٤٩.؛ ابن كثير، البداية والنهاية. ج١٢ ص١٨٣.

اثنتى عشرة وخمسمائة –١١١٨م– ببغداد[(١)]–.

٤- علي [(٢)] بن مُظَـفَّر بن علي بن نُعَيْـم الســـلامــيّ، ٢٦٨/٦، ٢٦٩ (٣٠٢٧)
أبـو الحـسن، المعـروف بـابن الحُـبَيَر[(٣)] التـاجر. وتـولى ١٣٣/٨(٣١٢٩)
النظر في مصالح المسجد الحرام، ومصالح الكعبة،
وتوفي في ... سنة ست وعشرين وستمائة–١٢٢٨م–.

٥- محمـد [(٤)] بـن أحمـد بـن عبـد العزيـز بـن القاســـم بـن ١/٣٠٠–٣٠٦(٢٩)
عبـد الـرحمن بـن القاسـم ابـن عبـد الله، الهـاشمي،
العُقيلـي. قاضـي مكـة وخطيبهـا، كمـا الـدين أبـو
الفـضل، النُّـويْري المكـي، الـشافعي ... وولـي ...
خطابـة الحـرم ونظـره. تـوفي – في – ... سـنة سـت
وثمانين وسبعمائة–١٣٨٤م–.

---

(١) الذهبي، العبر. ج٢ ص٣٩٩.

(٢) ابن نقطة، تكملة الإكمال. ج٢ ص١٢ (١٠١٩).؛ النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٣ ص١٨ وأضاف أنه وَلِيّ مشيخة الحرم سنة ٦١٠هـ واستمر فيها إلى أن مات في سنة ٦٢٥هـ. إلا أنه عاد واستدرك في ص٤٧ حيث ذكر في سنة ٦٢٦هـ "وفيها أو في التي بعدها مات شيخ الحرم أبو الحسن علي ...".

(٣) حُبَيْر: بضم الحاء المهملة وفتح الموحدة وياء مثناة تحت وآخره راء. ابن العمادية، ذيل تكملة الإكمال. ج١ ص٢٠٣.

(٤) انظر: الفاسي، ذيل التقييد. ج١ ص٨١ (٣٤).؛ النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٣ ص٣٤٥. وأضاف "وَوَلِيَ بعده القضاء والخطابة ونظر الحرم والحسبة شهاب الدين أحمد ابن ظهيرة القرشي – تقدم في الترجمة رقم ((٢))–.

٦- محمد[(١)] بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم بن عبد الرحمن القرشي العقيلي . قاضي مكة، وخطيبها : عز الدين أبو المفاخر ابن قاضي الحرمين وخطيبهما: محب الدين أبي البركات بن قاضي مكة : كمال الدين أبي الفضل النويري، المكي الشافعي. ... وأنهى خبر موت أبيه إلى السلطان الظاهر بمصر، فولاه السلطان قضاء مكة وخطابتها حسبتها، ونظر المسجد الحرام والأوقاف والربط بمكة في أثناء شهر رمضان سنة تسع وتسعين – وسبعمائة –. ... ووصل إليه العهد والتشريف بذلك في الثاني والعشرين من شوال من السنة المذكورة. واستمر مباشراً لذلك من هذا التاريخ إلى أوائل ذي الحجة سنة ست وثمانمائة ... – وفي هذا التاريخ – سنة ست عشرة وثمانمائة– وصل للقاضي عز الدين عهد بولايته للخطابة، ونظر الحرم والحسبة بمكة ... وتوفي – في – سنة عشرين وثمانمائة– ١٤١٧م–. ١/٣٧١-٣٧٤(٤٧)

(١) ابن تغري بردي، الدليل الشافي. ج٢ ص٥٩٣ (٢٠٣٦).؛ النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٣ ص٥٥٢. وأضاف ""وَوَلِيَ بعده الخطابة والحسبة ونظر الحرم أخوه أبو الفضل – هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم العقيلي النويري ت ٨٢٩هـ–"".

٧- محمد [١] بن أحمد محمد بن أحمد بن عبد العزيز ١/٣٧٦-٣٧٨(٤٨)
العقيلي الهاشمي. خطيب مكة، ومحتسبها، كمال الدين أبو الفضل المكي الشافعي. وناب في نظر الحرم، ووليه مع الخطابة وحسبة مكة، بعد موت أخيه – انظر الترجمة السابقة – . في سنة عشرين وثمانمائة. وفي شوال سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة جاء توقيع بعزله عن نظر الحرم والحسبة، وولاية القاضي جلال الدين بن أبي السعادات بن القاضي أبي البركات بن أبي السعود – محمد بن محمد بن ظهيرة–. لذلك عوضه، وباشر ذلك أبو السعادات إلى أول ذي الحجة من هذه السنة، ثم باشر ذلك أبو الفضل ... إلى الرابع عشر من صفر سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة، ثم وصل لجلال الدين أبي السعادات بالخطابة، ونظر الحرم والحسبة، فباشر ذلك إلى أول ربيع الآخر من هذه السنة. وفي التاريخ عاد أبو الفضل لمباشرة الوظائف الثلاثة. واستمر مباشراً لها إلى جمادى الأولى، أو الآخرة سنة أربع وعشرين وثمانمائة وباشرها معه في هذا التاريخ أبو السعادات – إلى أن باشرها أبو الفضل بمفرده في – آخر القعدة من هذه السنة. وكان موت أبي الفضل في ... سنة سبع وعشرين وثمانمائة–١٤٢٣م–.

(١) النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٣ ص٦١٠. وزاد "فولى عوضه ولده أبو القاسم، واستُنيب عنه – إلى حين صلاحه – أبو اليمن محمد بن محمد بن علي النويري".: السخاوي، الضوء اللامع. ج ٨ ص ١١١.

٨- محمد [١] بن عبد الله بن محمد بن أبي المكارم ٢/٨٦-٨٩(٢٣٥)
خطيب الحرم ضياء الدين أبو الغنايم بن نجم الدين
أبي محمد الحموي المكي الشافعي. وكان وَلِيَ
خطابة الحرم في سنة تسع وخمسين وسبعمائة ...
وَوَلِيَ مع ذلك، المشاركة في نظر الحرم ومَشْيختِه
واستمر مباشراً لذلك - إلى -. سنة إحدى وستين -
وسبعمائة -. فصرف عن ذلك بالتقي الحَرَّازِيّ - هو
محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم النويري-.
وكان موته في ... سنة سبعين وسبعمائة-١٣٦٨م-.

***

(١) الفاسي، ذيل التقييد. ج١ ص ٢٤٨، ٢٤٩ (٢٣٤).؛ النجم عمر بن فهد،
إتحاف الورى. ج ٣ ص٣١٠.

المبحث الرابع

الوظائف الإدارية والخدمية بالمسجد الحرام

وهي:

أ – مُبَاشَرة المسجد الحرام :

ب – خدمات المسجد الحرام : وتقسم هذه الوظيفة إلى ثلاثة أقسام

١– الفَراشون.٢– الوقادون. ٣– أمناء الزيت والشمع.

أ – مُبَاشَرة المسجد الحرام :

" وهو الذي يكلّف بإدارة العمل والإشراف على تنفيذه، وإجراء المبيعات والمشتروات المتعلقة به، واستخدام عماله، ...، وفي اللغة: باشر الأمر وليه بنفسه".[1]

١– أحمد[2] بن ظَهيرة بن أحمد بن عطية بن ظهيرة المخزومي قاضي مكة وخطيبها، شهاب الدين أبو العباس المكي. وأول ولايته أنه باشر[3] في الحرم، ... وتوفي في ... سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة–١٣٨٩م–. ٥٢/٣، ٥٣(٥٦٢) ١٠٩/٣–١١١(٦٠٥)

(١) حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية. ج٣ ص٩٨٢.

(٢) ابن تغري بردي، الدليل الشافي. ج١ ص٥١ (١٧٢).؛ النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٣ ص٣٧٩.

(٣) في الأصل "باشر في" ولعله خطأ من الناسخ. والأرجح مباشرة المسجد الحرام كما سيأتي في الترجمة التالية.

٢- أحمد [(١)] بن علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحَسَني، السيد الشريف القاضي شهاب الدين أبو العباس بن السيد نور الدين ابن السيد القدوة أبي عبيد الله الفاسي المكي المالكي. وَوَلِيَ مباشرة-مباشرا-. الحرم بعد أبيه في سنة إحدى وسبعين- وسبعمائة-.، وباشر ذلك من هذا التاريخ إلى حين وفاته. توفي - في- سنة تسع عشرة وثمانمائة-١٤١٦م-.

٣- حسن بن يوسف بن يحيى بن زكري [(٢)] بن علي بن أبي بكر بن يحيى بن فارس [(٣)] الجعفري المكي المعروف بالسّقطِيّ. وَلِيَ مُباشرة-مباشرا-. في الحرم. توفي سنة أربع وستين وسبعمائة-١٣٦٢م-. ٤/١٨٦(١٠٢٦)

٤- عبد الله بن يوسف بن يحيى بن زكريا بن علي بن أبي بكر بن يحيى بن غازي الجعفري المكي، يُلقب عفيف الدين، المعروف بالسَّفْطِيّ. [(٤)] وَلِيَ مباشرة ٥/٣٠٢(١٦٦٧)

---

(١) الفاسي، ذيل التقييد. ج٢ ص١١٢ (٦٩٩).؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق. ج١ ص٦٢ (٢١٣).؛ النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٣ ص٥٤٠.

(٢) في ترجمة أخيه عبد الله : "زكريا" بدل "زكري". وكذا في ترجمة أخيه محمد بن يوسف. الفاسي، العقد الثمين. ج٥ ص٣٠٢. والراجح "زكريا"

(٣) في ترجمة الأخوين عبد الله بن يوسف، ومحمد بن يوسف "غازي" بدلاً من "فارس". الفاسي، العقد الثمين. ج٢ ص٤١٠، ج٥ ص٣٠٢.

(٤) في ترجمة الأخوين حسن بن يوسف، ومحمد بن يوسف: "السَّقْطي" بدلاً من "السَّفْطي". الفاسي، العقد الثمين. ج٢ ص٤١٠، ج٤ ص١٨٦. والراجح "السَّقْطي".

بالحرم الشريف ولم يكن مَرْضياً. وتوفى في أثناء عَشر التسعين وسبعمائة–١٣٨٨م–.

٥- علي [١] بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد ٢٣٦/٦، ٢٣٧(٣٠١٢) بن أحمد بن علي الحَسَني، الشريف نور الدين أبو الحسن بن الشريف أبي عبد الله الفاسي، المكي المولد والدار ... وكان وَلِيَ مباشرة – مباشرا–. الحرم قبل الأربعين وسبعمائة – توفي في – سنة تسع وستين وسبعمائة–١٣٦٧م–.

٦- محمد [٢] بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد . ٤٢/٢، ٤٣(٢٠٤) شمس الدين الأستَجي المصري الشافعي. وَلِيَ مباشرة – مباشرا–. في الحرم. وتوفي في ... سنة ثمان وثمانين وسبعمائة–١٣٨٦م–.

ب – خدمات المسجد الحرام. وتقسم هذه الوظيفة إلى ثلاثة أقسام :

١- الفراشون:

فالواقع أن مهمة الفراش رغم أنها وظيفة خدمية كما ذكر حسن الباشا بقوله : " والفراش في الأصل هو القائم بخدمة الفرش وما يتعلق به." [٣] ثم إنه أشار إلى توسيع مهامها بما نصه: " فصار يطلق لفظ الفراش على

---

(١) الفاسي، ذيل التقييد. ج٢ ص١٨٦ (١٤٨٣).؛ النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٣ ص ٣٠٨.

(٢) ابن تغري بردي، الدليل الشافي. ج٢ ص٦٤٤ (٢٢١٧).؛ النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٣ ص٣٦٠.

(٣) الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية. ج٢ ص ٨٠٣.

كل من يقوم بخدمة النظافة والصيانة ورعاية الأثاث في جميع الأمكنة".؛[١] وقد كان للمسجد الحرام عدد من الفراشين من مهماتهم تنظيف المسجد الحرام من الأوساخ وإزالة الطين عند دخول المطر للمسجد الحرام. والقيام بأمر الفرش وحفظ السجاجيد وتوصيل الشمع للقبة المعدة لذلك[٢]– وهي ما بين سقاية العباس وقبة زمزم–.؛ والزيت وإعادة الفائض منهما إلى المستودع بعد صلاة الفجر.؛ وأسندت إليهم مهمة ملأ ورعاية قلال (دوارق، جرار) الشرب– [٣]وهي التي تملأ بماء زمزم–. وتنظيفها واستبعاد التالف منها.[٤] وكذلك عليهم صب ماء زمزم وكنسه داخل الكعبة في يوم غسلها.[٥] والمشاركة في سقيا زمزم. وبالنظر إلى تراجم هؤلاء نجد لهم مشايخ (رئيس) يتم تعينه وعزله من قبل ناظر المسجد الحرام،[٦] وعليه بيان المهام الموكلة إلى كل واحد، ومن ثم المراقبة وحل ما قد يعترضهم من إشكالات.[٧] –

---

(١) حسن الباشا، المرجع السابق. ج٢ ص ٨٠٥.

(٢) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٣ ص ٥٨٨، ٥٨٩.

(٣) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة. ص ١٣٨.

(٤) الفاسي، العقد الثمين. ج٣ ص ٤٣، ٧٦.؛ ج٣ ص ١٦.

(٥) النهروالي. ص ٢٢٦.

(٦) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٤ ص ٤٦٤، ٦٠٤.

(٧) محمد صالح السلطان، الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام في عهد دولة المماليك. ص ٣٠٧.

١- أحمد[١] بن سالم بن ياقوت المكي، أبو العباس ٣/٧٤، ٧٥(٥٧٥) المؤذن، وشيخ الفراشين به. توفي في ... سنة ثمان وسبعين وسبعمائة–١٣٧٦م–.

٢- أحمد[٢] بن عبد الله، شهاب الدين الشَّريفي المصري نزيل مكة. توفي – في – سنة اثنتين وستين وسبعمائة–١٣٦٠م–.

٣- أحمد[٣] بن عبد الله الدوري المكي. وباشر الفِراشة ٣/٧٥، ٧٦(٥٧٨) بالحرم الشريف سنين كثيرة جداً، ونَزَل قبل موته بقليل عن الفِراشة لابن أخته. وتوفي – في – . سنة تسع عشرة وثمانمائة– ١٤١٦م–.

٤- إبراهيم[٤] بن أحمد المصري. برهان الدين ٣/٢٠٣(٦٨٤) البَطائقي، يعرف بابن أخت عَوْن. ومات ... - في – سنة تسع وسبعين وسبعمائة–١٣٧٧م–.

٥- أبو بكر[٥] بن علي بن يوسف الذّرْوي، يُلقب بالفخر ٨/١٦(٢٨١٧) ويعرف بالمصري، وكان فراشا بالحرم الشريف، وأمينا على الشراب، وتوفي في ...، سنة سبع

---

(١) وقد ترجمته في المؤذنين الترجمة رقم ((٣)).

(٢) الفاسي، ذيل التقييد. ج٢ ص٧١ (٦٥٢).؛ النجم عمر بن فهد ، المصدر السابق. ج٣ ص٢٩٣.

(٣) النجم عمر بن فهد ، المصدر السابق. ج٣ ص٥٣٩.

(٤) النجم عمر بن فهد ، المصدر السابق. ج٣ ص ٣٣٠.

(٥) السخاوي، الضوء اللامع. ج٢ ص ٢٠٣.

وستين وسبعمائة – ١٣٦٥م– ببلده– ذروة سريام من صعيد مصر فيما أظن.

٦- بلال[١] بن عبد الله الحَبشي أبو محمد، عَتيق ابن العجمي. توفي في ... عام ثلاث وثلاثين وسبعمائة– ١٣٣٢م–. ٣/٣٨٠(٨٥٦)

٧- علي بن عمر بن علي البغدادي الأَزجيّ– أنه كان حياً في سنة ثلاث وستين وستمائة–١٢٦٤م –. ٦/٢١٧(٢٠٨٨)

٨- علي[٢] بن محمد بن سَند المصري، وَلِيَ الفراشة به قبل الثمانمائة بسنين، ولم يزل متولياً لها، حتى تركها قُبيل موته بسنة لِصُهْريه زَوجي ابنتيه، مات في ... سنة سبع وعشرين وثمانمائة، –١٤٢٣م– وقد بلغ السبعين أو قاربها. ٦/٢٣١، ٢٣٢(٣٠٠٤)

٩- عون بن سليمان – كان حياً في رجب سنة خمس وخمسين وسبعمائة –١٣٥٤م–. ٦/٤٤٦(٣١٦٨)

١٠- محمد[٣] بن علي بن عبد الكريم المصري، نزيل مكة، المعروف باليمني وبالكُتْبي، شيخ الفراشين بالحرم الشريف، وتَمشيخ بأَخرة على الفراشين. وتوفي في ...، سنة خمس وعشرين وثمانمائة– ١٤٢١م–. ٢/٢٢٢(٣٣٥)

---

(١) الفاسي، ذيل التقييد. ج٢ ص ٣١٤، ٣١٥ (٩٦٧)؛ النجم عمر ابن فهد، المصدر السابق. ج٣ ص٢٠٣.

(٢) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج ٣ ص ٦١٢.

(٣) النجم عمر بن فهد، المصدر السابق. ج٣ ص٥٩٢.

١١- محمد بن محمد بن ثابت الأنصاري، المراكشي الأصل، المكي المولد والدار. توفي في عشر السبعين وسبعمائة- ١٣٦٨م-. ٢/١٨٦(٣٩٣)

١٢- محمد [1] بن محمد [2] بن يوسف الذِّرْوِيّ، الشهير بالمصري، وكان له وجاهة عند الناس بمكة، باعتار مخالطته لبعض سلطنة مكة، ولم أدر - الفاسي -. متى مات - كان حياً في سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة-١٣٥٢م-. ٢/٣٢٧(٤٢٨)

٢- الوقادون.

ومهمتهم هي وضع الزيت في القناديل وإسراجها ليلاً، وكذلك مصابيح وشموع المسجد الحرام. [3] والواقع أن الذي يشغل وظيفة الوقاد لابد أن يكون متقناً غاية في الدقة لهذه الوظيفة ولحُسن أدائه لعمله. وهو لا يتأتي إلا بخبرة طويلة قد تمتد لأكثر من نصف قرن. وهذا ما وضحه الفاسي في العقد الثمين في ترجمته لأحدهم ما نصه : " كان عارفاً بهذه الصناعة إلى الغاية بحيث ...، أنه كان يضع في القناديل زيتاً، يقدر أنه يكفي إلى وقت

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع. ج١٠ ص١٣.

(٢) وفي الترجمة رقم ((٤٤١)) كرر الترجمة وأضاف "محمد" ليصبح محمد ابن محمد بن محمد ابن يوسف ...". وأضاف أيضاً أنه مات بعد سنة ٧٩٠هـ. الفاسي، العقد الثمين. ج٢ ص٣٣٩.

(٣) الفاسي، شفاء الغرام. ج١ ص ٤٢٥.

طلوع القمر، في الليالي التي يتأخر طلوعه فيها من أول الليل فلا يفرغ الزيت إلا في ذلك الوقت".[١] هذا الإتقان يوفر على الوقاد الإجراءات المتبعة عند إرجاع المتبقي من الزيت إلى مستودع المسجد الحرام، فعملية التسليم وإعادة الفائض تمر على عدد من الموظفين كأمناء الزيت والشمع الذين يقومون بالتسليم وتسلم الفائض.[٢]

١- مُسلم[٣] بن يَسار البصري، ويقال المكي، أبو عبد الله الفقيه، مولى بني أمية وقيل مولى عثمان بن عفان، وقيل مولى طلحة بن عبيد الله – التيمي– .، وقيل مولى طلحة الطلحات – هو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي ت ٦٣هـ–.، وقيل مولى مُزينة، ويقال له مُسلم سكرة، ومسلم المُصَبِّح، كان يُسْرِج مصابيح المسجد الحرام. قال ابن سعد: قالوا: وتوفى في خلافة عمر بن عبد العزيز[٤] – ٩٩هـ–١٠١هـ–.، سنة مائة، أو إحدى ومائة– ٧١٨م–.، وقال خليفة :مات سنة مائة–٧١٩م–.[٥] ٧/١٩٢، ١٩٣(٢٤٥٢)

---

(١) ج٧ ص ٤٢٥.

(٢) الفاسي، العقد الثمين. ج٦ ص ١٣٤.

(٣) البخاري، التاريخ الكبير. ج٧ ص٢٧٥(١١٦٦).: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل. ج٨ ص١٩٨.: ابن حجره تهذيب التهذيب.ج١٠ ص١٤١، ١٤٠.

(٤) الطبقات الكبرى.ج٧(ق٧) ص١٣٧، ١٣٥.

(٥) خليفة خياط: خليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ)، الطبقات. تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة، ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م، الرياض، الطبعة الثانية.ص٢٠٦.

٢- ياقوت[١] بن عبد الله المكي المعروف بالحِزَام، بحاء ٧/٤٢٥، ٤٢٦(٢٦٨٣) مهملة وزاي معجمة، وَقَّاد المسجد الحرام. باشَر هذه الوظيفة خمسا وخمسين سنة، على ما بلغني، وحُمِدتْ مُباشرته، لأنه كان عارفا بهذه الصناعة إلى الغاية، بحيث بلغ من أمره، أنه كان يضع في القناديل زيتا، يقدر أنه يكفي إلى وقت طلوع القمر، في الليالي التي يتأخر طلوعه فيها من أول الليل فلا يفرغ الزيت إلا في ذلك الوقت، توفي ... سنة ست وتسعين وسبعمائة–١٦٩٣م–.

٣–أُمناء الزيت والشمع بالمسجد الحرام :

الأمانَةُ : ضِدُ الْخِيانَة . والأَمِينُ: المُؤْتَمَن. وَالأَمينُ : القَويُّ لأَنَّهُ يُوثَقُ بِقُوَّته.؛[٢] وذكر حسن الباشا "أن الأمين في اللغة هو الثقة غير الخائن"[٣] ومن مهامهم حفظ الزيت والشمع في المخازن وإخراج قدر منهما يوميا لتضئ جوانب المسجد الحرام ثم تسلم الفائض منهما من الوقاد والفراش وإعادته إلى المستودع.[٤] وقد أشرت إلى جانب من مهمات أمناء الزيت والشمع في المسجد الحرام عند الحديث عن وظيفتي الفراش والوقاد.

---

(١) النجم عمر بن فهد، إتحاف الورى. ج٣ ص ٣٩٢.

(٢) ابن منظور، لسان العرب. ج١ ص١٤٠، ١٤٣.

(٣) الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية. ج١ ص ٢٨٢.

(٤) الفاسي، العقد الثمين، ج٦ ص ١٣٤.

٣- أحمد[1] بن سالم بن ياقوت المكي، أبو العباس المؤذن بالحرم الشريف، وشيخ الفراشين به، وكان أميناً على شمع الحرم وزيته. توفي في ... سنة ثمان وسبعين وسبعمائة- ١٣٧٦م-. ٣/٤٣(٥٥٢)

٤- أحمد[2] بن عبد الله الدوري المكي. الفراش بالحرم الشريف، وباشر الفراشة بالحرم الشريف سنين كثيرة جداً، وأمانة الزيت والشمع سنين قليلة. وتوفي - في - سنة تسع عشرة وثمانمائة-١٤١٦م-. ٣/٧٥، ٧٦ (٥٧٨)

والحمد لله رب العالمين.

***

---

(١) تقدمت ترجمته في المؤذنين . الترجمة رقم ((١))؛ وأيضاً في الفراشين الترجمة رقم ((١)).

(٢) تقدمت ترجمته في الفراشين الترجمة رقم ((٢)).

الخدمات والمرافق العامة فى مكة
فى العهد العثمانى
(٩٢٣–١٣٣٥هـ / ١٥١٧– ١٩١٦م)

إعداد

د. ماجدة صلاح مخلوف

أستاذ التاريخ العثمانى واللغة التركية

كلية الآداب جامعة عين شمس.

بحث مقدم إلى ندوة

مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ

ملخص البحث

مكة المكرمة أول الحرمين وثانى القبلتين، مدينة لها قداستها فى نفس كل مسلم، وقد جعل الله أفئدة المسلمين معلقة بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأصبح الحج والعمرة مناسبة لاجتماع المسلمين من شتى بقاع الأرض على اختلاف ألسنتهم، لذا كانت خدمة هذه البقعة المقدسة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة شرفا يحرص الحكام فى كل عصر من عصور التاريخ على الظفر به .

والدولة العثمانية (٦٩٩- ١٣٤٢هـ /١٢٩٩ -١٩٢٣م) دولة مسلمة قامت على مذهب أهل السنة والجماعة، وقدحرص العثمانيون منذ قيام دولتهم على التعبير عن مدى حبهم واحترامهم للحرمين الشريفين،وكان الفتح العثمانى للشام ومصر عام٩٢٣-٩٢٤هـ / ١٥١٦ -١٥١٧م، بداية انتقال خدمة ورعاية الحرمين الشريفين إلى الدولة العثمانية، وعلى رأس هذه الخدمات هى خدمة الحرمين الشريفين تعميرهما وتوسعتهما، وإرسال الصرة والكسوة الشريفة فى كل عام لأهالى الحرمين الشريفين،ورعاية أهلهما وتوفير الخدمات الصحية والتعليمية والمرافق العامة. وقد حظي الحرمان الشريفان فى العهد العثمانى بحظهما من الدراسات والبحوث،أما المرافق العامة والخدمات التعليمية والصحية والمياه فى مكة فى نفس تلك الفترة العثمانية والممتدة لأربعة قرون،فلم تظفر بنفس القدر من اهتمام الباحثين حسب علمنا، وهذه الورقة تتناول أربع نقاط رئيسة هى المياه، والحياة التعليمية والثقافية، والحالة الصحية والاجتماعية،

والمرافق العامة فى مكة فى العهد العثمانى ونأمل أن تكون بداية لدراسات موسعة تتناول هذه الجوانب الحضارية من تاريخ مكة المكرمة، والله ولى التوفيق .

***

بسم الله الرحمن الرحيم

مكة المكرمة أول الحرمين وثانى القبلتين، مدينة لها قداستها فى نفس كل مسلم، وقد جعل الله أفئدة المسلمين معلقة بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وأصبح الحج والعمرة مناسبة لاجتماع المسلمين من شتى بقاع الأرض على اختلاف ألسنتهم، لذا كانت خدمة هذه البقعة المقدسة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة شرفا يحرص الحكام فى كل عصر من عصور التاريخ على الظفر به.

والدولة العثمانية (١٢٩٩-١٩٢٣م) دولة مسلمة قامت على مذهب أهل السنة والجماعة، وقدحرص العثمانيون منذ قيام دولتهم على التعبير عن مدى حبهم واحترامهم للحرمين الشريفين، فبدأوا فى رعاية أهله بإرسال الصرة إلى الحجاز، اعتبار من زمن السلطان بايزيد الأول (١٣٨٩- ١٤٠٢م)[1]، أى قبل أن يتشرف العثمانيون بخدمة

---

١ أرسل بايزيد الأول الصرة من العاصمة ادرنة فى عام ٧٩١هـ / ١٣٨٩ م وكان مقدارها ثمانين ألف ذهب، مخصصة لخدم الحرمين الشريفين وأشرافهما. وسادتهما وعلمائهما من حصلية مئات الأوقاف الموجودة فى الأناضول والتى أوقفها على الحرمين الشريفين، انظر

–Nazif Ozturk.Turk Yenilesme Tarihi Cercevesinde Vakif Muessesesi, ankara 1995.s. 29.

منطقة الحجاز بأكثر من قرن من الزمان . ثم أرسل مراد الثانى الصرة وكان مقدارها عشرة الآف فلورى[١]، وأوقف حاصلات قرى منطقة باليق حصار بأنقرة علىمكة المكرمة[٢] ثم السلطان محمد الفاتح وأرسل سبعة آلاف ذهب ثم بايزيد الثانى(١٤٨١-١٥١٢م) وأرسل أربعة عشر ألف دوقة ذهب[٣]كان يجرى توزيعها على الحجيج وسكان مكة والمدينة[٤].وقد نظم الشيخ شهاب الدين أحمد بن حسين العليف[٥] قصيدة بعنوان " الدر المنظوم فى مناقب السلطان بايزيد ملك الروم"[٦]، وذلك بمناسبة وصول الصرة العثمانية إلى الحجاز فى زمن السلطان بايزيد الثانى، وتبدأ بقوله:

=

وسيتم توثيقه فيما بعد ،نظيف اوزتورك، مؤسسة الوقف .

١ الفلوري أو الدوقة البندقية عملة ذهبيةكانت تساوى فى ذلك التاريخ سبع وخمسين آقجه..

٢ انظر، محمد حرب، خريطة لمنطقة الحرم المكى وتقرير هندسى عنها، مقال فى مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة الثالثة عشرة، ربيع الآخر ١٤٠٨هـ، نوفمبر ١٩٨٧م، ص١٤٩.

٣ نظيف اوزتورك، مؤسسة الوقف، ص ٢٩.

٤ حول كيفية توزيع هذه الصرة انظر،

Mustafa Guler, Osmanli Devletinde Haremeyn Vakiflari(xvi-xvii Yuzyillar) Istanbul 2002,s.203.

وسوف سيتم اختصاره فيما بعد، مصطفى كولر، اوقاف العثمانيين فى الحرمين.وانظر أيضا الملحق رقم ٢.

٥ هو الشيخ شهاب الدين أحمد بن حسين العليف، أحد شعراء المدينة المنورة فى زمن السلطان بايزيد الأول ويصفه صاحب مرآة الحرمين أنه كان أحسن الناس فى زمانه، وقد شرف دار السيادة (بورصه) بزيارته فى صحبة الشيخ محيى الدين بن عبيد القادر بن عبد الرحمن العراقى من خطباء مكة المكرمة، وقدم القصيدة إلى السلطان بايزيد، انظر، آيوب صبرى، مرآة مكة، استانبول ١٣١٠، ج٢، ص ٥٧٨.

٦ كانت الأناضول تعرف حتى ذلك التاريخ باسم بلاد الروم لأنها كانت من قبل تحت حكم الروم أى البيزنطيين، وكان بايزيد يلقب بسلطان الروم أى سلطان المناطق التى كانت فى حوزة الروم.

خذوا من ثناى موجب الحمد والشكر

ومن درّ لفظى طيب النظم والنثر

فرتب له السلطان هدية سنوية يصرفها مدى الحياة مقدارها ألف ذهب [١].

وحرص السلاطين العثمانيون على التواصل مع أمراء مكة المكرمة، وإرسال رسائل الفتوح إليهم مباشرة، وكذا الهدايا النقدية إليهم وإلى أهالى الحرمين الشريفين والنقباء والقائمين على الخدمة فيهما، وذلك قبل أن تكون الحجاز فى رعاية الدولة العثمانية. كما كان العثمانيون منذ بداية دولتهم مهتمين برعاية السادة والأشراف الذين يفدون على الإمارة العثمانية، وكان السلطان مراد الثانى ( ) يوزع سنويا وبيده شخصيا ألف فلورى ذهبى على كل من يمت نسبه بصلة واضحة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم [٢]. كذلك أرسل السلطان محمد الفاتح رسالة الفتح إلى أمير مكة المكرمة " السيد الأحسنى العجلانى الحسنى يزف إليه بشرى فتح القسطنطينية " ويصفه بأنه " مُعلى قواعد الموسم والحرمين، حامى مشاهد البقاع الشريفة، أمير المسلمين، وولى المؤمنين سلطان بيت الله" وهى صفات تنبئ عن نظرة تقدير واحترام العثمانيين لأمراء الحرمين واعتبارهم "

---

١ انظر، Mehmet Zeki Pakalin,Osmanli Tarih Terimleri ve Deyimleri Sözlügü ,Istanbul 1971.c.3,s.28

وسيتم توثيقه فيما بعد، محمد زكى باك آلين، معجم مصطلح التاريخ العثمانى، وانظر أيضا أيوب صبرى، ج٢، ص٥٧٨.

٢ محمد حرب، المرجع السابق، ص ١٤٩.

أمراء المسلمين وسلاطين بيت الله"، وأرفق السلطان محمد الفاتح بالرسالة هدية إلى أمير مكة وإلى أهالى الحرمين الشريفين عبارة عن " ألفى فلورى من الذهب الخالص التام الوزن والعيار المأخوذ من غنائم فتح القسطنطينية، وسبعة آلآف فلورى آخر للفقراء، منها ألفان للسادات والنقباء والألف للخدام المخصوصة بالحرمين، والباقى للمتمكنين المحتاجين فى مكة المعظمة والمدينة المكرمة"[١].

وحرص العثمانيون على مخاطبة أمراء مكة بالألقاب اللائقة بهم وإظهار مظاهر الاحترام والتقدير لهم بوصفهم " فلذة أكباد الرسول، زبدة أحفاد البتول، أمير المسلمين، وولى المؤمنين، خلاصة أولاد شفيع المذنبين"[٢]

وكان ضم العثمانيين للشام ومصر عام ٩٢٢-٩٢٣هـ / ١٥١٦-١٥١٧م، بداية انتقال خدمة ورعاية الحرمين الشريفين إلى الدولة العثمانية[٣]، وعلى رأس هذه الخدمات؛ خدمة لحرمين الشريفين وتعميرهما وتوسعتهما، وإرسال الصرة والكسوة الشريفة فى كل

---

١ أنظر، أحمد فريدون بك، منشآت السلاطين، المطبعة العامرة، استانبول ١٢٦٤هـ، ص ٢٣٢-٢٣٣ "شريف مكهٔ مكرمة يه إرسال بيوريلان قسطنطينية فتحنامهٔ همايوننك صورتيدر".

٢ فريدون بك، المرجع السابق، ص ٢٣٢.

٣ أرسل شريف مكة الشريف أبو نمى ولده الشريف محمد إلى السلطان سليم الأول أثناء مقامه فى القاهرة، ليعلن مبايعته للسلطان العثمانى، ويسلمه مفتاح الكعبة المشرفة، رمزا لانتقال رعاية منطقة الحجاز الحرمين الشريفين إلى الدولة العثمانية. وصار السلطان سليم الأول العثمانى يدعى بلقب "خادم الحرمين الشريفين" وقد حافظ السلاطين العثمانيون من بعده على استخدام هذا اللقب الذى يبين نظرة التقدير والاحترام الذى كان سلاطين العثمانيون يشعرون به تجاه هذه الأراضى المقدسة.

عام لأهالى الحرمين الشريفين والمجاورين[١].

وقد أنشأ العثمانيون في سنة ٩٩٥هـ / ١٥٨٧م وزارة خاصة بالحرمين الشريفين عرفت باسم " نظارة الحرمين" ومهمتها دارة الأوقاف الخاصة بالحرمين الشريفين، ويقوم عليها أغا دار السعادة[٢]، وكانت مهمة هذه النظارة إدارة الأوقاف الخاصة بالحرمين الشريفين وفق شروطها. وقد ازدادت أهمية هذه النظارة بعدما تزايدت أوقاف السلاطين العثمانيين وزوجاتهم وكذلك ما أوقفه أغوات دار السعادة والشخصيات المهمة في الدولة. فأنشئت أربع إدارات تابعة لهذه النظارة وهى:

تفتيش أوقاف الحرمين، ومحاسبة أوقاف الحرمين، ومقاطعة أوقاف الحرمين، كتبة دار السعادة .وكانت دفاتر هذه الإدارات

---

١ تتضمن السجلات التى وصلتنا منذ النصف الثانى من القرن السادس عشر فقرات عن كمية الحبوب التى كانت ترسل باسم الجراية لإطعام سكان الحرمين الشريفين، ومعلومات أخرى عن تأمين طرق الحج من مصر ودمشق إلى الحجاز، وعن أبنية أقيمت حول الكعبة وعن كسوة الكعبة، انظرنجات جويونش، بعض الوثائق عن الكعبة فى القرن السادس عشر، بحث مقدم الى جامعة الرياض، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الندوة العالمية الاولى لتاريخ الجزيرة العربية جمادى الأولى ١٣٩٧.

٢ أغا دار السعادة، هو أكبر الأغوات فى القصر العثمانى، وأكبر أغوات الحريم والعاملين داخل القصر. ودرجته فى البروتوكول داخل القصر تأتى بعد الصدر الأعظم وشيخ الإسلام، ويلقب بصاحب الدولة، وصاحب العناية " دولتلو، عنايتلو" ومهمته الأساسية هى الإشراف على قسم الحريم السلطانى الذى يعيش فيه نساء القصر. انظر،

Ismail Hakki Uzuncarsili, Osmanli Devletinin Saray Teskilati, Ankara 1984, s.172.

كما أنه رئيس كل موظفى الحرمين الشريفين والموظفين المسئولين عن أوقاف السلاطين والوزراء واوقاف الحرمين الشريفين، سواء فى استانبول أو فى سائر الولايان العثمانية، وعليه مراقبة أوجه صرف هذه الأوقاف وفق شروطها، انظر، مصطفى كولر، اوقاف العثمانيين فى الحرمين، ص ٢١٨.

الأربع تكتب بخط السياقة[١]، ولهذا فهى من أهم المصادر التاريخية فى هذا الصدد[٢].وفى عام ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م، تم ضم نظارة أوقاف الحرمين إلى نظارة الأوقاف السلطانية[٣].

وتحتوى دفاتر أوامر الحرمين من رقم ٩٧٩ إلى ٩٧٧، والتى تختص بالفترة من ١٢٢٧إلى ١٢٩٩هـ / ١٨١٢ إلى ١٨٨١م، والموجودة فى أرشيف الإدارة العامة للأوقاف فى تركيا على ما يتعلق بأوقاف الحرمين والأوقاف التابعة لخزينتها[٤].

وكانت الدولة العثمانية تعتمد إلى حد كبير على الجهود الأهلية والخيرية فى إقامة المنشئات الاجتماعية والعلمية مثل المدارس الخانات والأسبلة وقصور القوافل وعيون الماء والمطاعم الخيرية ودور الشفاء فأوقفوا أوقافا كثير ومتنوعة على الحرمين الشريفين، فقد أوقف السلاطين سليم الأول، وسليمان القانونى[٥]، ومراد الثالث، والسلطان أحمدالثانى أوقافا كبيرة، لإطعام سكان الحرمين

---

١ خط السياقة، وتكتب بالعثمانية "سِياقت" نوع من الخطوط التى استخدمها العثمانيون فى كتابة الدفاتر والأرقام، وحروفه غير منقوطة.

٢ Ziya Kazici, Islami ve Sosyal Acidan Vakiflar Istanbul 1985. S. 73–74.
وسيتم توثيقه بعد ذلك، ضيا قازيجى، الأوقاف.

٣ ضيا قازيجى، الأوقاف.، ص٧٣،

٤ نظيف اوزتورك، المرجع السابق، ص١٢.

٥ تعد أوقاف السلطان سليمان القانونى من أهم الأوقاف التى أوقفها السلاطين العثمانيون على الحرمين الشريفين، فقد أوقف على كسوة الكعبة سبع من قرى مصر كما أوقف على أهالى الحرمين الشريفين عدد آخرى من القرى بالإضافة إلى ما أوردته الوثائق تحت بند ط تصدقات السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان" انظر، محمد على فهيم، مخصصات الحرمين الشريفين فى مصر إبان العصر العثمانى، القاهرة ٢٠٠١، ص٧٣–٨٥.

الشريفين، وكانت توزع عليهم بموجب براءة سلطانية تصدر للمستحقين من هذه الأوقاف.وقد سجل الرحالة العثمانى أوليا جلبى فى رحلته إلى الحجاز سنة ١٠٨١هـ / ١٦٧١م أن أهل الحجاز نالوا من رعاية السلاطين العثمانين رعاية تفوق ما تمتعوا به فى زمن الأمويين والعباسيين، والدولة المملوكية، وهى الدول التى تولت رعاية وخدمة الحرمين الشريفين أو كانت فى حوزتهم السياسية. وكانت المساعدات العثمانية تتدفق على سكان الحرمين بكميات كافية وذلك من نتاج الأراضى التى أوقفها العثمانيون على الحرمين الشريفين منذ زمن السلطان سليم الأول. وسار على نهجه السلاطين سليمان القانونى، وزوجته خرم سلطان، ومراد الثالث، وأحمد الأول.

فضلا عن الأوقاف، اهتم العثمانيون بإنشاء المؤسسات الخيرية والمدارس والمكتبات فى كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة دعما للحياة العلمية فيهما[١].كما اهتم رجال الدولة العثمانية بل والنساء أيضا، بإنشاء الأعمال الخيرية فى منطقة الحجاز[٢] لخدمة الحرمين الشريفين وخدمة أهله، وأوقفوا الأوقاف الكثيرة لهذا الغرض،

---

١ فى هذا الموضوع، انظر، أميرة على مداح، النشاط العلمى فى مكة المكرمة فى العصر العثمانى، جامعة أم القرى ٢٠٠١.

٢ مثال ذلك المدارس التى أنشأها كل من الصدر الأعظم صقوللى محمد باشا، وسنان باشا فى مكة، والمدرسة السليمية، والمرادية، والمحمودية، وسبيل قيزلر أغاسى، أى سبيل أغا دار السعادة، ومن خيرات النساء نجد المدرسة التىأنشأتهاخاصكى سلطان زوجة السلطان سليمان القانونى وتعرف بالمدرسة الخاصكية. وكذا وقف السيدة عائشة والدة السلطان مراد الرابع وقد أوقفت أراض وقرى كثيرة من قرى مصر على الحرمين الشريفين . انظر، محمد على فهيم، المرجع السابق، ص ٦٧ما بعدها.

ورعاية أهله وتوفير الخدمات الصحية والتعليمية والمرافق العامة. وقد اعتبر العثمانيون جميع أراضى الدولة العثمانية، أراضى خراجية، باستثناء منطقة الحجاز، فقد اعتبروها أراضى عشورية، وهذه العشور كانت توزع فى الحجاز على المستحقين، أى أن الدولة العثمانية لم يكن يصل إلى خزينتها أى أموال من منطقة الحجاز[1].

و بدءا من عصر السلطان سليم الأول[2]، حتى زمن السلطان عبد الحميد الثانى (١٢٩٣- ١٣٢٧هـ / ١٨٧٦-١٩٠٩م)، أبدى العثمانيون مظاهر اهتمامهم واحترامهم للحرمين الشريفين وأمرائه ورتبوا الهدايا والمرتبات السنوية لهم والاهتمام بالمرافق العامة والحالة الصحية والتعليمية، وترميم وتجديد وتعميرالحرم المكى الشريف، وكانت مكة المكرمة فى القرن الحادى عشر الهجرى، السابع عشر

---

١ أنظر، Hezarfen Huseyin Efendi, Talhisu'l-Beyan Fi Kavanin-I Al-I Osman, Hazirlayan Sevim Ilgur, ankara 1998,s.134

وسوف يتم توثيقه فيما بعد، هزار فن حسين أفندى، تلخيص البيان .

٢ عقب الفتح العثمانى لمصر صدر الأمر بتثبيت الشريف بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان (٩٠٣-٩٣١هـ/ ١٤٩٧-١٥٢٤م)وكان أميرا على مكة المكرمة فى نفس العام الذى فتح فيه السلطان سليم الأول العثمانى مصر ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م. وعقب الفتح أرسل الشريف بركات ابنه الشريف أبا نمى لمبايعة وتأييد السلطان سليم ويقدم له مفاتيح مكة رمزا للمبايعة وقد ثبته السلطان سليم على إمارة مكة المكرمة. انظر،

Ismail Hakki Uzuncarsili,Mekke-I Mukerreme Emirleri, ankara 1972,s.17

وسيتم توثيقه فيما بعد،اسماعيل حقى اوزون جارشيلى، أمراء مكة المكرمة .

وفى تفصيل خدمات العثمانيين للحرميين الشريفين ومناسك الحج ومخصصات مراء مكة انظر، محمد الأمين المكى، خلفا عظام عثمانيه حضرتلرينك حرمين شريفينده كى اثار مبروره ومشكورهٔ همايونلرندن، در سعادت ١٣١٨هـ، ترجمه إلى العربية ماجدة مخلوف، تحت الطبع، وسيتم توثيقه فيما بعد محمد الأمين المكى، خدمات العثمانيين.

الميلادى تضم ثلاث وخمسين وكالة تجارية متعددة الأدوار، كل واحدة منها تضم مائة أو مائتي دكانا، وعددا كبيرا من التكايا والمدارس[١].

وقد أسند الخلفاء العثمانيون، الوظائف الجليلة إلي أهالي الحرمين الشريفين، ورتبوا الرواتب الكبيرة للقائمين على أمر الدين ورجالاته من مفتين وعلماء وخطباء وأئمة، وأمّنوا سُبل معيشتهم، ومثلها للأشراف والسادة والصالحين والأخيار والزهاد. وعمّت خيراتهم الجميع ؛ العوام منهم والخواص، والذكور والأناث، فانصرف الناس للعبادة والطاعة الربانية، وتحصيل العلوم العالية[٢].

كما وجهوا اهتمامهم نحو تأمين طرق الحج حرصا علي راحة حجاج بيت الله الحرام، وحماية الدين المبين، وإقامة شعائر الإسلام، و حرصوا على إرسال الأموال المقررة كل سنة من استانبول في حماية العساكر السلطانية، وإرسال الصرة السلطانية من مصر، وصرف الأموال الكثيرة لأشراف الحرمين الشريفين، والسادة والعلماء والأهالي والمجاورين، والقائمين علي خدمة الحرم المكي الشريف، و تقديم الرواتب الكبيرة لقبائل البدو القاطنة بين الحرمين الشريفين المحترمين، توفيرا لأسباب راحة الحجاج المسلمين وأمانهم[٣].

وتتضمن المصادر العثمانية تفصيلات دقيقة واسعة عن جهود

---

١ انظر، Yilmaz Oztuna,Buyuk Turkiye Tarihi, Istanbul 1983,c.14,s.39.

وستم توثيقه فيما بعد،يلماز أوزطونه، تاريخ تركيا الكبير.

٢ محمد الأمين المكى، المرجع نفسه، ص٢.

٣ محمد الأمين المكى، المرجع السابق، ص٣.

العثمانيين فى تعمير وتطوير الحرم المكى منذ عهد السلطان سليم الأول، وتأمين سبل الحج وغيرها من الخدمات المتعلقة بالحرم المكى ومناسك الحج[١]، لذا فسوف نكتفى هنا بالتعريف بالخدمات الخاصة

١من هذه الخدمات التى بذلها العثمانيون لتعمير الكعبة المشرفة والحرم المكى، ما يذكر من أن المسجد الحرام يتعرض من حين إلى آخر لبعض التدمير بسبب السيول التى كانت تنزل على مكة قوية ومدمرة فى بعض السنوات. وكان العثمانيون يبذلون جهدهم فى ترميم ما أفسدته هذه السيول وما تأثر بتقادم السنين، وإهداء الهدايا القيمة للحرم المكى تعظيما له . أول من تشرف بخدمة الحرمين الشريفين من العثمانيين، هوالسلطان سليم خان الأول، وفى عام ٩٢٣هـ / ١٥١٧ م، صدر الأمر إلى الأمير مصلح الدين بك، أحد خواص السلطان بالتوجه من مصر إلى مكة المكرمة لتجديد مقار أئمة المذاهب الأربعة فى الحرم المكى الشريف وترميم مواضع كثيرة من الحرم على الطرز والشكل المعروف آنذاك. كما صدر الأمر بتثبيت الشريف بركات أميرا على مكة المكرمة، وتخصيص راتب شهرى له مقداره خمسمائة ذهب، وتعينات شهرية اشتملت على ثمانين أردبا من القمح، وثلاثين اردبا من الشعير وأرز وعلف وقهوة وفول. وبعبارة أخرى كل المستلزمات الضرورية. كما أمر بمنحة توزع على الأهالى والخدم والأشراف والسادة والعلماء، مقدارها مائتى ألف ذهب خالص العياركما أصدر مرسوما بأن ترسل إلى أمير مكة نقود و خلعة فاخرة مرصعة ومطرزة باللؤلؤ ، بها ياقة ذات أزرار مصنوعة من الماس الفاخر، وخلعة أخرى خفيفة ذات ياقة موشاة، وأنواع من الملابس على اختلافها ،وتُسلم إليه فى كل عام مع الصرة السلطانية. ويقوم أغوات المحمل الشريف وأغوات القفطان بتوصيل هذه المخصصات وتسليمها إلى أمير مكة فى كل عام . ثم رتبوا الصرة والسنوية والمرتبات الشهرية فبلغت عشر أضعاف ما كانت عليه.واستمرت مخصصات ومرتبات السادة أمراء مكة إلى أن أصدر السلطان الغازى عبد الحميد الثانى أمره فى سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م، بزيادة مرتبات إمير مكة ومخصصاته. ولكى يضمن العثمانيون موردا دائما للإنفاق على الحرم المكى رتبوا له الوقفيات الكبيرة، فقد اشترى السلطان سليم الأول وابنه السلطان سليمان القانونى، سبع من قرى مصر، وأمرا بوقفها على كسوة الكعبة المعظمة والأعمال المتعلقةبها وقد بلغت إيرادات هذه القرى في سنة٩٤٧هـ /١٥٤٠م، ما قيمته ٣٥٧,١٥٧ درهما شرعيا. كذلك الصرة والمرتبات السنوية والشهرية التى خصصها الخلفاء العثمانيون من خزينة الأوقاف السلطانية ومرتبات بدل كسوة ومرتبات سنوية للأشراف والسادة والعلماء والمدرسين المدنيين والعسكريين المتقاعدين والمحتاجين والتلاميذ ولتأمين طريق الحج كانت تحافظ على امتلاء آبار المياه والخزانات على طريق الحج وصيانتها، وكانت تأخذ =

بتوفير المياه والرعاية الصحية والتعليمية والاجتماعية والمرافق العامة في مكة في العهد العثماني.

***

=

في موسم الحج من كل عام عشرة أشخاص كرهائن من قبيلة حرب التي تبسط سلطانها على الطريق بين مكة والمدينة لكي تضمن عودة الحجاج سالمين كما اهتم العثمانيون بعمارة الحرمين الشريفين ، وعمل الترميمات والتوسعات اللازمة ومن أهم هذه التوسعات والتعميرات ما قام به السلطان مراد الرابع عام ١٠٤٤هـ /١٦٣٤م بعد حادث السيل الذى أثر على بناء الكعبة المعظمة ، فتم إعادة بناء الكعبةوهي البناء الحادي عشر للكعبة المعظمة ،ووضع الرخام على سطح وجدار الكعبة ورخام المطاف،كما تم تجديد باب الكعبة في عام ١٠٤٥ هـ / ١٦٣٥م، وعمل الصاغة الفضة للباب ووزن ذلك مائة وستة وستون رطلا ،وطلي بالذهب البندقي مما قدره ألف ديناركذلك التعمير الذى تم في زمن السلطان عبد الحميد الثاني في عام ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م، والذى أمر بإرسال عدد من المقصورات المخصصة للنساء في الحرم المكي الشريف وأعقبه السلطان محمد رشاد في عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م، حتى بلغ ما أنفقه العثمانيون على العمائر في المسجد الحرام ما يقارب المائة ألف جنيه عثماني، وهو مبلغ كبير بمقاييس ذلك الوقت. وكانت الدولة العثمانية تعنى بإرسال كل ما يلزم الحرم المكي الشريف من زيت وشمع وبخور، وقناديل لإضاءة وتعطير المسحد الحرام، في خدمات العثمانيين للحرم المكي انظر، محمد الأمين المكي المرجع السابق، اسماعيل حقي اوزون جارشيلي، أمراء مكة المكرمة،ص١٧. أيوب صبري، المرجع السابق، ج٢، ص ٦١٣ وما بعدها،حول نص وقفية السلطان سليمان القانوني هلى كسوة الكعبة المعظمة سنة ٩٤٧هـ، انظر أيوب صبري، مرآة مكة، ج٢، ص ٧١٤–٧١٩، وأيضا السيد محمد الدقن، كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، ط١ القاهرة ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦، الملاحق ص٢٦٥–٢٧١. جولدن صاري يلدز، الحجر الصحي في الحجاز ١٨٦٥–١٩١٤، ترجمه عن التركية وقدم له عبد الرازق بركات، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (١)، ط١، ٢٠٠١.ص ٩٣. ابي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، صححها وعلق حواشيها رشدي الصالح ملحس، المطبعة الماجدية، مكة المكرمة سنة ١٣٥٢، ج١، ص٢٤١–٢٥٥. أحمد السباعي، تاريخ مكة ج٢، مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، ط٦ ١٤٠٤هـ، ص٤٧٧.

نظرا للطبيعة الصخرية لمكة المكرمة فقد ندر ماؤها واعتمدت فى تلبية احتياجاتها من المياه على الأمطار والآبار. وكانت مسألة المياه على طرق الحج موضع اهتمام المسلمين، حتى أجرت السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد الماء من مسيرة ثلاثة أيام حتى جبل عرفات وهى ما عرف باسم عين زبيدة التى وصفت بأنها مادة الحياة فى مكة المكرمة.

وقد اراد السلطان العثمانى محمد الفاتح أن يعمر مصادر الماء التى فى طريق مكة المكرمة سنة ٨٨٤هـ، وقت أن كانت الدولة المملوكية مسئولة عن خدمة لحرمين الشريفين، فرفض السلطان المملوكى، فظهرت الوحشة بينه وبين صاحب مصر لهذا السبب[١].

فلما صارت خدمة الحرمين فى عهدة العثمانيين أعطوا مسألة توفير مياه الشرب لأهالى مكة المكرمة ومناسك الحج أهمية كبرى، لعلاقة ذلك براحة أهل مكة والحجيج وصحتهم، وتعبيرا عن رعايتهم لهذه المناطق المقدسة. فأقاموا المنشئات وخزانات المياه والصنابير فى مكة وماحولها ومناسك الحج.

فقد قام السلطان سليمان القانونى فى عام ٩٦٧هـ/ ١٥٥٩م، بتوصيل ماء عين زبيدة من عرفات إلى مكة المكرمة، على نفقته الخاصة لتوفير هذا الماء لأهالى مكة المكرمة، واستغرق هذا العمل سبعة عشر عاما وأنفق فى تنفيذه مائة ألف ذهب.وجعله باسم ابنته

---

١ منجم باشى، جامع الدول، مخطوط مودع مكتبة السليمانية استانبول، أسعد افندى برقم ٢١٠٢، ٢/٢، ص ٢/٦٧٤.

السيدة مهرماه[1]. وأنشأ داخل مكة أحواضا كبيرة وصهاريج واحتفل أهل مكة احتفالا كبيرا بوصول ماء عين زبيدة إلى مكة المكرمة[2].

وعندما تخربت عين زبيدة في حادث السيل الكبير عام ١٠٣٩هـ / ١٦٢٩م صدر الأمر بعمل الإصلاحات اللازمة، وقد أنفق على هذا الغرض خمسون ألف ذهب.

وفي سنة ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م أمر السلطان محمد الرابع (١٠٥٨هـ:١٠٩٩هـ / ١٦٤٨م:١٦٨٧م) بإرسال سليمان أغا لإصلاح مجرى عرفات وتجديد أحواض الماء الضخمة الموجودة هناك، وذلك حفاظاً على حياة الحجاج المسلمين.

وفي عام ١١٨١هـ/١٧٦٧م، تم تعمير عين عرفات وسائر العيون في مكة المكرمة، وعين حنين الواقعة على مسافة ثمان ساعات من مكة المكرمة، واستغرق هذا الأمر ثلاث سنوات وأنفق في هذا الأمر مائة وست وثلاثين كيسة أقجه[3]، وأمر بتطوير عين عرفات ليزيد ماؤها، كما تم تعمير بئر زمزم وبمناسبة الانتهاء من

---

١ مهرماه سلطان، بنت السلطان سليمان القانوني من زوجته خرم سلطان، كان ذات خيرات ولها أكثر من جامع ومدرسة وحمام في ضواحي استانبول، انظر،
agatay Uluçay,Padisahlarin Kadinlari ve Kizlari, Ankara 1980.s.38.ı–M.
وسيتم توثيقه فيما بعد، جغتاى أولوجاى، زوجات وبنات السلاطين.

٢ يذكر صاحب مرآة الحرمين أنه تم إنشاء تسعة صهاريج وعدد من خزانات الماء ذات صنابير، ممنها صهريج بسعة مائة وخمسون مترا مربعا، وصهريج في حارة الباب بسعة أربعة وستون مترا، وصهريج في حي جياد بسعة مائتي وعشرين مترا، في تفاصيل هذا انظر، انظر، أيوب صبري، المرجع السابق، ج٢، ص ٦٣٢–٦٣٣، ص ٦٤٢–٦٤٣.

٣ الآقجه عملة صغيرة من الفضة وكيسة الآقجه تساوي خمسمائة قرش.

تعمير بئر زمزم نظم الشيخ طاهر سنبل أحد علماء مكة المشهورين ثلاثة ابيات من الشعر، والأبيات مكتوبة على باب بئر زمزم، ونصها:

سرور لسلطان البرية والورى ... لعبد الحميد البر بحر المكارم

ونصر له أيضاً وفتح ورفعة ... بتجديد هذا الخير بعد التقادم

حفيرة إسماعيل أعني ابن هاجر ... وركضة جبريل على سر آدم .

وفى عهد السلطان عبد الحميد الثانى تم تعمير عين زبيدة تعميرا كبيرا ،جمعت له التبرعات من مختلف أنحاء العالم الإسلامى [1] ، وكان هذا بمثابة تأكيد للجامعة الإسلامية، وتكونت لجنة هندسية للإشراف على عملية الترميم و إنشاء قنوات مياه عين زُبيدة في مكة المكرمة، وقد عملتً اللجنة لمدة أربع سنوات واشتغل فى تنفيذها مايزيد علي ثلاثة آلاف عامل ، وبدأ العمل من "وادي النعمان" حيث مجري ماء عين زبيدة، علي مسافة ثمان ساعات من مكة المكرمة. كما قامت اللجنة بإنشاء ثمانية عشر خزانا ضخما للمياه، وعين ماء لسد احتياجات أحياء مكة المكرمة و أهلها. وكذلك إنشاء عيون ماء في المنطقة المحيطة بالحرم الشريف وتزويدها بصنابير متعددة، ، ليتوضأ حجاج المسلمين منها . كذلك توصيل مواسير المياه إلي مستشفي الفقراء والمؤسسات الخيرية السلطانية،

---

١ تبرع أثرياء مكة المكرمة وجدة لترميم عين زبيدة، وتبرع أثرياء الهند بمليون وستمائة وخمسة وعشرين ألف قرش، وجمع من مصر خمسة عشر ألفا وسبع وستين قطعة ذهب مصرية، كما بلغت جملة التبرعات المرسلة من صندوق بومباى ما يعادل اثنين وثمانين ألفا ومائة وثمان وستين قطعة ذهبية، انظر، جولدن صارى، المرجع السابق، ص ١٦٤، ١٦٥. وأيوب صبرى، المرجع السابق، ص٦٣٨–٦٣٩.

ومقر الحكومة السنية، ومعسكر المدفعية السلطاني، والمطبعة، ومكتب البرق، والمخبز العسكري، وأقسام الشرطة النظامية، والحمامات .مما ساعد على تخفيض ثمن المياة خاصة في موسم الحج[١] .

كذلك اهتمت الإدارة العثمانية في زمن السلطان عبد الحميد الثاني بنظافة الأحواض التي يستخدمها الحجاج في عرفات، وخصصت نصف أحواض الماء الموجودة وعددها خمسة عشر حوضا لشرب الحجاج، ونصفها الآخر لغسيل ملابسهم[٢].كما تم توصيل ماء عين زبيدة من وادي المفجر إلي مني الواقعة فوق الجبل علي ارتفاع ٣٠٠متر، ورفع الماء إليها بواسطة ماكينتين بخاريتين، تم صنعهما في الترسانة العامرة لهذا الغرض. وكان الحجاج يقضون في مني ثلاثة أيام، يعانون خلالها من مشكلة ندرة الماء. وبتوصيل ماء عين زبيدة إلي وادي المفجر، أمكن إنقاذ حياة آلاف الحجاج في مني. كما تم إنشاء خزانين كبيرين للماء ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م[٣] .

وعقب الانتهاء من الأعمال الإنشائية لعين زبيدة، صدر الأمر في عام ١٣٠٢هـ /١٨٨٤م بتوصيل ماء " عين وزيرية "، إلي مدينة جدة التي كان يقطنها آنذاك ثلاثين ألف نسمة واستغرق هذا الأمرثلاثة أعوام ونصف العام بمعاونة ثلاثة آلاف وخمسمائة عامل، وأمكن توصيل ماء "عين وزيرية " من يمين " رُغامة " الواقعة علي مسافة

١ محمد الأمين المكى، ص ١١.

٢جولدن صارى يلدز، المرجع السابق، ص٥١.

٣ محمد الأمين المكى، ص١٣.

ساعتين من "جدة"، إلي نفس مدينة "جِدة". وبذلك أنقذ أهالى "جِدة" والحجيج، من مضار شرب الماء الآسن، كما أُنشأت خزانات متصلة بعيون الماء لخدمة أحياء "جِدة". ومدت أنابيب الماء إلي المعسكر السلطاني، ومقر الحكومة والمستشفي العسكري.كما تم تطهير وتعمير كل أحواض الماء في عرفات للمحافظة على صحة الحجيج وذلك فى عام ١٣٠٢هـ /١٨٨٤م[١].

***

كما أولى العثمانيون الحياة الثقافية والعلمية أهمية كبيرة، وأوقفوا عليها الأوقاف الكثيرة، سيرا على منهج خلفاء المسلمين وحكامهم فى رعاية العلم والعلماء خاصة فى الحرمين الشريفين، وكانت منطقة الحجاز فى العهد العثمانى عامرة بحركة علمية ومناقشات فقهية فى حلقات العلم والمساجد[٢] حول الحرم المكى

---

١ محمد الأمين المكى، ص ١٤، وجدير بالذكر أن اهتمام السلطان عبد الحميد بمسألة توفير مياه الشرب، لم تقتصر على مكة وحدها، بل امتدت إلى جدة أيضا باعتبارها الميناء الذى يستقبل الآلاف من الحجاج كل عام فأنشأ بحى العيدروس مخزنا للمياه ينتهى بعدة أسبلة لخدمة الأهالى، وكذا صنابير للمياه بالقرب من المستشفى العسكرى بجدة، وأخرى فى ميدان بئر يعقوب أغا فى حى باب اليمن وباب جاوه، وفى ميدان الميناء وجدت أسبلة ونافورة للمياه محاطة أطرافها بصنابير المياه، انظر، صابرة مؤمن، نفس المرجع، ص ١٥٩.

٢ تبين رحلات من زاروا الحجاز حجم المناقشات العلمية والفقهية والأدبية التى كانت تدور بين العلماء فى المساجد وحلقات العلم، مثال ذلك ما دونه النابلسى فى مواضع لا تحصى من رحلته إلى الحجاز فى القرن الثانى عشر الهجرى عن المناشات العلمية التى شارك فيها، انظر، عبد الغنى بن اسماعيل النابلسى، الحقيقة والمجاز فى الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد أحمد عبد المجيد هريدى، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦.

الشريف، وقد أحصى أوليا جلبى المدارس فى مكة المكرمة فى القرن الحادى عشر الهجرى، السابع عشر الميلادى وعددها مائة وست وسبعين مدرسة. منها أربعون مدرسة وصفها بأنها عظيمة تقع حول الحرم وحده. ومائة وخمسين مدرسة للصبيان يدرسون فيها مبادئ القراءة والكتابة، كما وجدت بها دور قراءة القرآن الكريم فى أربعين مكانا، وكلها تقوم بتحفيظ القرآن وتلاوته وتجويده بمختلف القراءات، كما احتوت أيضا على أربعين دارا للحديث[١].

وأثناء بناء الحرم المكى الشريف فى عهد السلطان سليمان القانونى، اشترى السلطان سليمان القانونى الساحة الناتجة عن انهدام المستشفى المنصورى الكائنة فى جهة الشمال من جدار المسجد الحرام، وكذا شراء خرائب تكايا السلطان أحمد شاه سلطان كجرات والشيخ طاهر، وكذلك المنازل المتصلة بها، وأمر ببناء أربع قاعات واسعة للدرس فى الحرم المكى[٢]، فى كل قاعة منها مدرسة لواحد من مفتى المذاهب الأربعة إلا مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه لعدم توفر من هو فائق فى هذا المذهب، وتحولت المدرسة الرابعة إلى دار للحديث[٣]، وفى تلك المدارس خصص لكل خمسة عشر طالبا، معيد ومدرس[٤]. وللمدرسة السليمانية ست وأربعين حجرة ولكل حجرة جراية قدرها ثلاثة أرادب حنطة[٥]، وقد أوقف

١ فى أسماء هذه المدارس انظر، يلماز اوزطونه، المرجع السابق ص٣٩.

٢ انظر، أيوب صبرى، المرجع السابق، ص ٥٦٨.

٣ النابلسى، الحقيقة والمجاز، ص٤٥٣.

٤ محمد الأمين المكى، ص ٢٧.

٥ أيوب صبرى، المرجع السابق، ج٢، ص ٦٤٥.

على هذه المدارس أوقافا كثيرة فى بلاد الشام فكانت تأتى إليها الأموال فى كل عام مع الركب الشامى لدفع رواتب المدرسين وطلاب العلم [١]. كما بنيت مدرستان نموذجيتان، واحدة منهما ابتناها الصدر الأسبق صقوللى محمد باشا [٢] عليه رحمة الله، وابتنى الأخرى داود باشا، وهما من الآثار المعمارية الرائعة للمعمارى العثمانى سنان باشا [٣] .كذلك المدرسة والرباط اللذين أنشأتهما " خاصكى خرَّم سلطان" زوجة السلطان سليمان القانونى [٤]. وهى مدارس اهتمت بحماية المذهب

---

١ النابلسى، المرجع السابق، ص ٤٥٣.

٢ الصدر الأعظم فى زمن السلاطين سليمان القانونى وسليم الثانى ومراد الثالث، توفى عام ٩٨٧هـ .

٣ انظر، محمد حرب جهود المعمار سنان فى مكة والمدينة، مجلة الدارة، ربيع الأول ١٤١٣، ص١١٥- ١٢٩.

٤ اسمها الأصلى روكسلانه ويعرفها العثمانيون باسم خاصكى خُرَّم سلطان . انضمت إلى الحريم كجارية وكان عمرها آنذاك يتراوح بين الرابعة عشر والسابعة عشر، ثم أصبحت زوجة للسلطان سليمان القانونى. وتوفيت عام ٩٦٥ هـ / ١٥٥٨م، ودفنت فى فناء جامع السليمانية فى مقبرة تحمل اسمها . أنفقت خُرَّم سلطان أموالا كثيرة فى أعمال الخير أ كما أنشأت أوقافا كثيرة فى مناطق متعددة من الدولة العثمانية فى أدرنة واستانبول والقدس ومصر وغيرها. كما ابتنت خُرَّم سلطان مؤسستين خيريتين فى مكة المكرمة والمدينة المنورة لخدمة فقراء المسلمين وطلاب العلم فى الحرمين الشريفين تتكون كل مؤسسة منهما من مطعم خيري لتقديم الطعام لفقراء المسلمين وطلاب العلم، ورباط لسكنى طلبة العلم، فضلا عن مسجد ومدرسة. وأوقفت على هاتين المؤسستين أوقافا كثيرة للإنفاق عليهما ورتبت لهذا الأمر وقفية مدونة باللغة العربية وضحت فيها تفصيلا حجم هذه الأوقاف ومكانها والعاملين على إدارتها ومهامهم ورواتبهم، والصفات الواجب عليهم التحلى بها والتى تتناسب مع طبيعة مهام كل واحد منهم، وأوجه الإنفاق من هذه الأوقاف بشكل تفصلى دقيق يمكن من خلاله فهم ملامح الحياة الاقتصادية والاجتماعية لحريم القصر العثمانى ومدى إسهامهم فى الأوقاف العثمانية فى مكة المكرمة والمدينة المنورة. انظر ، نص وقفية والدة السلاطين (خُرَّم سلطان) مخطوط مودع دار الكتب المصرية برقم ١٣٨٦٤ح، ميكروفيلم ٤٠٤١٢، الورقة ١أ. و وقد قمنا بتحقيقها وجارى نشرها .

السنى ووضعت الضوابط اللازمة لمنع التحاق غير أهل السنة بها فاشترطت خاصكى سلطان (أن يكون سَكَنة رباطها بعدد حجراته ثمانية وأربعين من الصلحاء المتورعين والفقراء المتشرعين متمذهبين بمذهب أهل السنة والجماعة مجتنبين عن الأهواء والأسوآء والشناعة" كما حذرت من أن يسكن فى هذا الرباط من يكون على غير مذهب أهل السنة والجماعة " أو أن يكون من سائر المبتدعة ❖ أو يكون على مسكن آخر قادرا ❖ أو يكون فى صورة الصلاح غادرا❖ فإن كان طالب الحجرة من ديار العجم أو غيرها من سائر الأمم من كان مجهول الحال ومستور الفعال❖ يفتش عن أحواله ويتفحص عن أفعاله❖ فإن ظهر كونه ممن يحب الصحابة العظام ويعظمهم رضى الله عنهم أجمعين ويبجل ايمة الفخام رحمة الله عليهم إلى يوم الدين)[1]، كما اشترطت أن يكون (معلم مكتبها الشريف رجلا دينا من أهل العلم والصلاح تقيا نقى المذهب "وفى صدد الاهتمام باللغة العربية التى كانت لغة العلماء والعلم فى المدرسة العثمانية، اشترطت خُرَّم سلطان، أن يكون المعلم (عالما بفنون القراءة والفقه واللغة العربية يعلم القرآن ومقدمة الصلوة والمقدمات الأدبية، ويواظب على ما فى عهدته دايما ولا يترك إلا لعذر شرعى) أما المستفيدين من هذه المدرسة فهم (أربعين نفرا من صبيان الفقراء وفقراء الصبيان) وكانت تقدم الطعام يوميا لطلبة هذه المدرسة ومعلمها [2].

والجدير بالملاحظة أن هؤلاء المعلمين كانوا يخضعون لنوع من

---

١ أنظر نفس المرجع السابق.

٢ انظر، وقفية خرم سلطان ورقة ١٢ب–١٣أ.

المتابعة والمراقية، فكان "عدم قدرة المدرس على ضبط أمور المدرسة أو القيام بأعباء العمل، وعدم الاجتهاد فيه أو تذبذبه" يعتبر سببا كافيا لتنزيل درجته في وظيفة التدريس[١].

وفى عام ١٢٦٢هـ / ١٨٤٥ م صدر أمر السلطان عبد المجيد الأول إلى عثمان باشا الفناري والي الحجاز وشيخ الحرم بتعمير المخزنين الكائنين فى ساحة المسجد الحرام ليصبح أحدهما دار توقيت، والآخر مكتبة عامة متكاملة جرى تزويدها بكتب قيمة أرسلت من استانبول خصيصاً، وأطلق عليها اسم " المكتبة المجيدية " نسبة إلى السلطان عبد المجيد[٢] .. وفى عام ١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م، تم إنشاء مدرسة تضم حوالى عشرين حجرة، وقاعات للدرس ومكتبة وشادروان[٣]. وأرسلت الكتب للمدرسة المجيدية من الخزانة السلطانية الخاصة ومجموعها ٢١٣ مجلد عبارة عن ٢٣ مجلدا فى التفسير، ٣٨ مجلدا فى الحديث، ٣٠ مجلدا فى الفقه، ٢٥ مجلدا فى التصوف ٢٩ مجلدا فى الصرف والنحو، ١٢ مجلدا فى معانى البيان، ٤ مجلدات فى المنطق، ٣ مجلدات فى الأدب، ٣ مجلدات فى الحكمة والحساب، ١٣ مجلدا فى اللغات، ١٣ مجلدا فى التاريخ[٤]، كما خصص من أوقافه الخاصة بالحرمين مبلغا للمرتبات السنوية لأمناء مكتبة المدرسة، وكذا القائمين على الخدمة فى المدارس المستحدثة،

---

١ انظر، سهيل صابان، نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية فى الحجاز، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م، ص ١٨٥. نقلا عن، الأرشيف العثمانى، تصنيف Dah.Mui.11–1/60.

٢ محمد الأمين المكى، ص٦٨.

٣ نظيف أوزتورك ص ١٣/٢٩.

٤ نظيف أوزتورك ص ١٢/٢٩. ولمعرفة بيان اسماء هذه الكتب انظر الملحق رقم ٢.

وسقائى الصنابير ونظار المدارس[١]. وقد دلت النشرة السنوية التى تصدرها الدولة العثمانية باسم السالنامه أن سلاطين القرون الأخيرة من عمر الدولة العثمانية ورجال الدولة فى استانبول أهدوا المئات من الكتب باللغتين العربية والفارسية ومخطوطات باللغة التركية إلى مكتبات مكة المكرمة والمدينة المنورة[٢].

كما أمر السلطان عبد الحميد فى عام ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م، بإنشاء مطبعة فى مبنى من الحجر على طابقين، بطرز جديد وجميل. وموقعها في الساحة الأميرية أمام مقر الحكومة في مكة المكرمة. وتضم هذه المطبعة ثلاث ماكينات طباعة بالحروف العربية والتركية والفارسية والهندية، ولغة أهل جاوه، وذلك لطبع كل أنواع الكتب الدينية وغير الدينية، وإرسالها إلى كل البلاد الإسلامية، وقد طبعت هذه المطبعة فى ثلاث سنوات خمس وأربعين كتابا . كما أنشئت فى مكة المكرمة المطبعة الماجدية ومطبعة شمس الحقيقة سنة ١٣٢٧هـ-١٩٠٩م، وقد أسهمت هذه المطابع فى إنعاش الحركة الفكرية، وفى طبع المزيد من المؤلفات المتنوعة ونشر الكتب التى قام علماء مكة المكرمة وكذا المدينة المنورة وجدة بتأليفها [٣]، كما تم تأسيس وافتتاح مدرسة إعدادية في كل من مكة المكرمة وجده والطائف وينبع [٤].

---

١ أيوب صبرى، المرجع السابق، ج٢، ص٥٩٢.

٢ أوزطونه، المرجع السابق، ص٤٦.

٣ صابرة مؤمن اسماعيل، جده خلال الفترة من ١٢٨٦-١٣٢٦هـ/١٨٦٩-١٩٠٨م دراسة تاريخية حضارية فى المصادر المعاصرة، اصدارات دارة الملك عبد العزيز ١٤١٨هـ، ص١٧٥.

٤ محمد الأمين المكى، ص ١٥.

وبعد إخضاع التعليم لإشراف الدولة بعد التنظيمات (١٨٣٩-١٨٥٦م)كانت الدولة العثمانية تسمح للأهالى بإنشاء المدارس الأهلية بعد الحصول على إذن خاص، وقد قامت هذه المدارس الأهلية بدور كبير فى تدعيم الحياة العلمية فى مكة[١].

***

كذلك حظى أهالى مكة المكرمة بالرعاية المادية والاجتماعية فى العهد العثمانى، فعقب فتح مصر (٩٢٣هـ/١٥١٧م)، رتب السلطان سليم خان الأول جراية[٢] من القمح، هدية إلى أشراف الحرمين الشريفين، وعلمائها، والمدرسين، والسادة والأهالى والمجاورين، وخدم الحرمين الشريفين. وكانت هذه الجراية فى البداية عبارة عن خمسة آلآف أردب قمحا لمكة المكرمة، وألفى أردب للمدينة المنورة.ولما زاد عدد سكان البلدتان المباركتان، مكة المكرمة والمدينة المنورة، صدر الأمر بزيادة هذه الجراية، فأصبح راتب مكة المكرمة من القمح، اثنى عشر ألف أردب، وراتب المدينة المنورة، ثمانية آلآف أردب من القمح، وكان الأردب القديم يعادل مائة وثمانية أُقة عثمانية، وفضلا عن لسيرة عثمانية عن كل أردب. وسميت رواتب الحنطة هذه بدل دعاء. وكانت ترسل فى كل عام من حاصلات تلك المزارع (الموقوفة) .

١مثال ذلك مدرسة الفلاح التى أنشأها محمد على زينل فى مكة المكرمة فى مطلع القرن العشرين، بهدف رفع مستوى طلاب العلوم الدينية وتخريج أساتذة متمكنين فى هذه العلوم الدينية واللغوية وكانت تتكون من ثلاثة مراحل،فى تفصيل هذا انظر، صابرة مؤمن، نفس المرجع، ص ١٦٩-١٧٢.

٢الجراية تعنى المقدار أو الجارى من الرواتب. المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ط١٩٩٣، ص ١/١٠٣.

وكان مجمل ثمن هذه الحنطة ١.٢٠٢.٥٠٠٠ قرشا (مليون ومائتي وأثنين ألفا وخمسمائة قرش) منحة مقدمة من خزينة السلطان بأمر منه، ترسل في كل عام مع الصرة السلطانية إلى إدارة خزينة مكة المكرمة[١] .

وكان لنساء العثمانيين إسهاماتهن في الخدمات الاجتماعية في مكة المكرمة، فقد أنشأت السيدة السلطانة خاصكي خرّم سلطان زوجة السلطان سليمان القانوني مطعمين خيريين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، تقدم الطعام يوميا لفقراء المسلمين وقد أوقفت خُرَّم سلطان على هاتين المؤسستين الخيريتين، أوقافا كثيرة بعضها مما أهداه إليها السلطان سليمان القانوني من الأراضي والقرى المصرية، والبعض الآخر عبارة عن عقارات تم شراؤها من أصحابها في مكة المكرمة والمدينة المنورة بالشراء الشرعي ثم أوقفته لذات الغرض. ونوع ثالث عبارة عن أدوات وآلات لازمة للوقف وتساعد على تحقيق الغرض المنوط به عبارة عن سفن و وأدوات طهو وطحن وغيرها. ويقع هذا المطعم الخيري (في جوار مسجد الراي بقرب موضع يقال له مدعى* حاوية على مطبخ ومخبز وبيت الرحى* وبئر ماء وثلاثة مخازن اثنان منها كبيران متخذان للغلال ويقال لهما الانبار* وواحد منها صغير متخذ لساير الحوائج ويقال له كيلار* حدودها شرقا وشمالا ينتهي إلى موضع مشهور بسوق الليل * وغربا إلى الطريق العام* وجنوبا إلى مسجد الراي.) كما أنشأت أيضا (رباط معمور معروف يشتمل على ثمانية وأربعين حجرة وعلى سبيل مآء فوقه مكتب

---

١ محمد الأمين المكي، ص ٣٣.، حول الصرة الخاصة بأهل مكة في زمن السلطان عبد الحميد الثاني، انظر الملاحق.

وحدوده جنوبا ينتهى إلى دار أوقفته اوشرطت كونها مسكنا لكل من يكون من العلماء العابدين* والصلحاء الزاهدين * وشمالا إلى الطريق المعروفة بسوق القشاش وشرقا إلى حجرات المولى محيى الدين الخطيب* وغربا إلى المسعى الشريف زاده الله شرفا) وكذلك (سبيل منفرد البناء* ومرتفع الإنشاء واقع فى داخل الحرم الشريف حذآء باب الكعبة الشريفة وتجاه الحجر الأسود[١]) ورتبت له وقفية حددت فيها مواصفات العاملين والقائمين على هذا المطعم الخيرى ،أهمها أن يكون (رجلا صالحا دينا * وبالصلاح والصيانة والأمانة والديانة متعينا وبمنصب التولية حريا وبحلية الأهلية متحليا * وفى الاعتقادات سنيا* وفى الاجتهاديات حنفيا* مواظبا على مراسم التولية بالاستقامة* مجانبا عن مخايل الخيانة والسقامة ويكون وظيفته اليومية ستة قطع من القطع المصرية وجرايته السنوية عشرة أرادب من الحنطة النقية* وأن يكون شيخا رجلا طلق الوجه عذب اللسان ورقيق القلب شفيق الجنان صالحا دينا مستقيما وفى خدمة الشيخية قايما ومقيما يحضر فى المطبخ كل يوم صبيحة النهار ويعطى كل ذى حق حقه بلا تبذير وإقتار* يحضر بنفسه لعذر شرعى يمنع حضوره*ولا يستتيب إلا لمانع قوى يستلزم الاستنابة بالضرورة يذوق فى كل يوم من الخبز والطعام* ويهتم فى تحسين طعمها اية الاهتمام * ويبالغ ألا يكون منهما نيا أو محترقا ويهتم أن يكون أمر العمارة متسقا* ويتعرف أحوال المخازن فيعرف الداخل والخارج ويضبط كمية ما يدخل وما يخرج من الغلال وسائر الحوائج فيكون وظيفته اليومية أربع قطع وعشرين رغيفا. ومنها أن يكون لها كاتبان قادران على

١ انظر، وقفية خرم سلطان، ورقة ٥أ–ب.

الحساب والكتاب يكتبان الموارد والمصارف على منهج الصواب ويروحان بالمناوبة إلى جدة المحروسة عند مجيء الغلال فيضبطانها في المخزن المعد لها بلا إهمال ولا إمهال* ويبرزان الدفتر الصحيح في رأس كل سنة عند المحاسبة * ولا يقصران بلا عذر شرعي في مواظبة تلك المناوبة *ويكون الوظيفة اليومية لكل واحد منهما قطعتين ونصف قطعة * ومن الخبز رغيفين ومن الطعام قصعة والجراية السنوية أردبين من الحنطة النقية)[١].

وكانت مكة والمدينة تعجان بالحركة ويعمهما الخير مع قدوم الحجاج إليها والصرة وكانت هذه الصرة عبارة عن محصلة الأموال الموقوفة على الحرمين الشريفين والأهالي ومقدار من الذهب السلطاني، وكان يرسل معها مرسوم يوضح كيفية توزيعها على المستحقين، و الخلع الخاصة بأمير مكة هدية من الباب العالي[٢]. وترسل الصرة في موكب خاص هو " موكب الصرة"، ويكلف به موظف مخصوص هو أمين الصرة وهو موظف مكلف من قبل السلطان للإشراف على توزيع الهدايا النقدية والعينية التي يرسلها العثمانيون على المستحقين لها وفق دفاتر خاصة بهذا الغرض[٣]. استمر الخلفاء العثمانيون في إرسال الصرة بشكل منظم بعد فتح الشام ومصر وضم الحجاز حتى زمن السلطان

---

١ انظر. وقفية خرم سلطان ورقة ١٢ب.

٢ انظر.نص المرسوم الموجه من السلطان محمد الثالث إلى أمير مكة عام٩٠٦هـ، فريدون بك، المرجع نفسه، ج٢، ص١١٠.

٣ كان توزيع هذه المستحقات يتم في حضور قاضي القضاة بمكة المكرمة وأمين الصرة وكاتبها، وأعيان مكة المكرمة وجمع من الناس، وفي حالة وفاة أحد المستحقين تصرف المستحقات إلى أبنائه، انظر، فريدون بك، المرجع نفسه، ج٢، ص ١١٠.

عبد الحميد الثانى (١٨٧٦– ١٩٠٩).

وفـى زمـن الـسلطان عبـد الحميـد الثـانى تم تقـديم مبلـغ ٢٦٤٠٠٠قـرش منحـة لأهـالي الحـرمين الـشريفين لـدفع القحـط الـذي أصـابهم سـنة١٣٠١هـ /١٨٨٤م .و تقـديم مبلـغ ١٠٠٠لـيرة عثمانيـة مـن أمـوال الـسلطان الخاصـة، منحـة إلـي فقـراء حجـاج المحـيط الهنـدي.و التـبرع بمبلـغ ٢٦٤،٠٢٢قرشـاً كدفعـة ثالثـة، إلي البـدو وأهـالي الحـرمين الـشريفين، لـدفع القحـط . ومـنح معونـة نقديـة إلـي أهـالي الحـرمين المحترمـين الكـرام قيمتهـا ٢٦٤،٠٢٢ قرشـاً. ترسـل فـى كل عام مع الصرة السلطانية [١].

ولمـا كانـت مكـة المكرمـة قبلـة المـسلمين فـى شـتى بقـاع الأرض، ومـنهم الفقـراء فقـد تم فـى عـام ١٣٠٣هـ إنـشـاء دار ضيافـة (مـسافر خانـه)، وهـي عبـارة عـن بنـاء مخـصص للحجـاج والـزوار والفقـراء. وكانـت تكـاليف البنـاء كلـها وسـائر المـصاريف الأخـري، هديـة مـن الخزينـة الخاصـة بالـسلطان عبـد الحميـد الثـانى. ودار الـضيافة هـذه مبنيـة مـن الحجـر وتتكـون مـن طـابقين، وتتـسع لأربعـة آلآف شـخص، وموقعهـا في الـساحة الأميريـة الكـائنـة عنـد مـدخل وادي "حفـاير"، غـرب مكـة المكرمـة، علـي الطريـق المـؤدي إلـي جِـدة أمـام وادي "زاهـد" . وقـد اشـرف علـي هـذه المبـاني والانتهـاء منهـا، لجنـة خاصـة مـن اسـتانبول برئاسـة الأمـيرآلاي أركـان حـرب مـنير باشـا. وتكلـف البنـاء مـا يزيـد علـي ٤١٠،٠٠٠ (أربعمائـة وعـشرة ألـف)لـيرة عثمانيـة. وقـد صـد الأمـر بـأن يتوجـه مـن اسـتانبول، وزيـر ومعـاون وإمـام ومـؤذّن وكـل

١ محمد الأمين المكى، ص١١.

القائمين علي الخدمة في هذه الدار. كما أمر السلطان عبد الحميد الثانى بتقديم الحساء واللحم والأرز والخبز ومختلف أنواع الطعام إلي الحجاج والفقراء يوميا[١] .

***

و مكة المكرمة على مدار التاريخ هى مدار اجتماع و التقاء المسلمين من جميع الأقطار والأجناس لأداء فريضة الحج، مما أدى فى أحيان كثيرة إلى انتقال بعض الأمراض المعدية من مناطق بعيدة إلى مكة والحجاز، لهذا كانت الرعاية الصحية وما تحتاج إليه من مظاهر النظافة وتجنب أسباب انتشار الأمراض موضع رعاية الإدارة العثمانية.

ومن هذه المظاهر إنشاء الحمامات العامة، وحسبما تذكر المصادر العثمانية إنه كان يوجد فى مكة المكرمة فى القرن الحادى عشر الهجرى، السابع عشر الميلادى حمامات عامة وخاصة، وأجملها قاطبة الحمام الذى أقامه صوقللى محمد باشا، وكذا الحمام الذى أقامه سنان باشا فاتح اليمن[٢]، فضلا عن مائة وخمسة وأربعين حماما فى القصور والسرايات الخاصة بالأشراف وآل البيت وحدهم، كما كانوا يعنون بكنس الشوارع الرئيسية وتنظيفها، ويرشون أمام

١ محمد الأمين المكى ص ١٤.

٢ عندما زار سنان باشا مكة المكرمة فى عام ٩٨٧، أمر بحفر بئر ماء وتوصيل ماؤه إلى الصهريج الموجود عند مسجد التنعيم، وفرش أرضية المطاف بالرخام، وأمر بصنع سبيل وحوض فى طريق العمرة وحفر فى أماكن بعيدة آبارا عميقة واسعة لملء السبيل والحوض بالماء، وقد اندثرت هذه الأعمال بعد ذلك. انظر، أيوب صبرى، المرجع السابق، ص ٨٨٣.

الحمامات ويحرقون مخلفاتها[١].

وقد نالت مكة المكرمة اهتماما صحياكبيرا خاصة بعد حادث انتشار الكوليرا فى عام ١٢٨١هـ/١٨٦٥، إذ قررت الدولة العثمانية إنشاء إدارة صحية لملاحظة الحالة الصحية للحجاج ومراقبة سواحل الحجاز.، ونظرا لعدم توافر نظام للصرف الصحى فى مكة المكرمة فى ذلك الوقت، وكثرة الحجيج من جميع أنحاء العالم الإسلامى وتكدسهم فى المناطق المحيطة بالحرم المكى وفى الشوارع، وعدم توافر دورات المياه العامة ،وقد أدت هذه الأسباب كلها إلى تراكم القاذورات التى تساعد على انتشار الأمراض[٢]، وكانت مسائل النظافة العامة متروكة لأمراء مكة .وفى زمن السلطان عبد الحميد الثانى، شهدت الخدمات الصحية فى مكة المكرمة طفرة وتدخلت الدولة بشكل مباشر للنهوض بالخدمات الصحية[٣]، إذ تم تأسيس إدارة صحية خاصة بمكة المكرمة فى عام ١٣١٢هـ/ ١٨٩٥بغية تأمين راحة الحجاج ومراقبة أحوالهم الصحية[٤]. وقد بلغت النفقات السنوية للإدارة الصحيية فى مكة سنة ١٣١٠هـ

---

١ فى وصف هذه الحمامات ومدى جمالها، يلماز أوزطونة، المرجع السابق، ص٣٩.

٢ انظر Abdurresid Ibrahim,20,asrin Baslarinda Islam Dunyasi, yeni asya yayinlari,istanbul 1987,c.2,s.404.

وسيتم توثيقه فيما بعد، عبد الرشيد ابراهيم، العالم الإسلامى.

٣ يذكر عبد الرشيد غبراهيم أن الاهتمام بإزالة أسباب انتشار الأمراض أسفر عن نتيجة إيجابيية فانقضى حج عام ١٣٢٧ بدون وفيات بين الحجيج، انظر، عبد الرشيد ابراهيم، المرجع السابق، ص ٤١٥.

٤ انظر، قاسم عز الدين، حجاز صحية اداره سى، رهبر ضابطهء صحية، قسم ثانى، (دليل القواعد الصحية) (باللغة التركيية العثمانية)، طبع استانبول ١٣٣١هـ.ص ١١٣

/١٨٩٢م، ٤٢٨٧٦٠ قرشا أنفقت على تنظيف الشوارع والمنازل التى يقيم بها الحجاج وحماية المياه من التلوث، وغيرها من الإجراءات الصحية التى نصت عليها اللجنة الصحية التى تكونت فى مكة لتنظيم أمور الصحة والنظافة فى الحجاز.[١] كذلك تم إنشاء إدارة صحية في مني لتوفير الرعاية الصحية للحجاج، ومستشفي يتسع لأربعين سريراً، وصيدلية.١٣٠٠هـ(١٨٨٣) . إذا كانت منى مصدرا لانتشار الأمراض فى موسم الحج بسبب لحوم الأضاحى التى كانت تترك مع مخلفاتها فى العراء، فتتلف وتتسبب فى انتشار الأمراض[٢].

كما صدر الأمر السلطاني بالبدء في إضافة طابق ثان إلي مبني مستشفي فقراء المسلمين في مكة . وهو المستشفى الذي أنشئ إحياءً لذكري السلطانة الوالدة بَزْم عَالَم[٣].وقامت السلطانة الوالدة برتونيال[٤] بإضافة إصلاحات وخيرات كثيرة لمستشفى فقراء المسلمين فى مكة المكرمة والمدينة المنورة، وأمرت بتوظيف أطباء وقابلة وصيدلاني وجراح، وتوفير كل ما يلزم المستشفى من خدمات[٥]. كما خصصت أموال من وقف السلطان عبد المجيد لدفع رواتب أطباء

---

١ جولدن صارى، المرجع السابق، ص ٢٤٣.

٢ انظر، عبد الرشيد ابراهيم، العالم الإسلامى، ج٢، ص ٤٠٤.

٣ بزم عالم زوجة السلطان محمود الثانى ووالدة السلطان عبد المجيد الأول وكانت قد شرعت فى بناء هذا المستشفى الخيرى فى مكة المكرمة لكنها توفيت قبل تمامه، فأتمه السلطان عبد الحميد الثانى.

٤ برتونيال : والدة السلطان عبد العزيز، وهي أصغر زوجات السطان محمود الثاني، ونالت لقب "والده سلطان" تكريماً لها بعد جلوس ابنها على عرش الدولة العثمانين، توفيت سنة ١٣٠٠هـ — ١٨٨٣م .جفتاى اولوجاى، ص : ١٢٤ .

٥ محمد الأمين المكى، ص٥٢.

وصيادلة وجراحى المستشفيات، والقائمين على تطهير بيوت الخلاء فى مكة المكرمة[١].

وقد وضعت الإدارة الصحية للحجاز دليلا للقواعد الصحية سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٤م لمناطق الحج، يوزع مجانا على الحجاج، أوصت فيه بضرورة العناية بنظافة مياه الشرب للحفاظ على الصحة العامة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة، وبالتالى تم وضع ماكينات لتقطير مياه الشرب فى جده وينبع، ومدت أنابيب المياه منها إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة لتوفير المياه النقية للمدينتين المقدستين. كما اعتنت هذه الإدارة الصحية بدفن بقايا الأضاحى فى منى منعا لانتشار الأمراض. وكان أشد ما يزعج الدولة العثمانية انتشار الأمراض المعدية، مثل الكوليرا والجدرى فى مكة والمدينة خاصة فى موسم الحج نتيجة الزحام وتوافد الحجيج من الهند وجاوه على وجه الخصوص حيث كان مرض الكوليرا يمثل أحد الأمراض المعدية سريعة الانتشار بين الحجيج فى مكة، مما حدا بالدولة العثمانية إلى اتخاذ التدابير الوقائية لمنع انتشار مثل هذه الأمراض، ووضعت اللوائح الصحية لمحاصرتها، وعرفت وسائل التطهير كالتبخير والتطهير بالمواد الكيمياوية وكذا الحرص على نظافة مصادر المياه والطرق، ودفن بقايا الطعام، كما عرفت هذه الإدارة التطعيم بالأمصال واللقاحات خاصة ضد الأمراض المعدية مثل الجدرى وأنشأت المحاجر الصحية فى قمران وجدة [٢].

---

١ أيوب صبرى، مرآة الحرمين، ج٢، ص ٥٩٢.

٢ انظر، قاسم عز الدين، المرجع السابق.ص١١٢–ص١٣٦.

وكانت الهيئة الصحية التى أرسلت إلى مكة المكرمة فى عام١٨٦٦م تهتم بتعقب أسباب تلوث البيئة الضارة بالصحة العامة داخل مكة وخارجها، وكانت تبدأبنظافة مكة المكرمة قبل الحج وتبذل طاقتها فى تطبيق القواعد الصحية أثناء تأدية المناسك، وقامت بنظافة جميع أحياء مكة وشوارعها ونقلت الحرف والصناعات الضارة بالصحة العامة إلى خارج مكة، وأعادت تجهيز المستشفى ليكون على غرارمستشفيات استانبول،وزودته بما يلزم من أدوات والآت وأسرّة، وأقامت دورات المياه العامة فى أماكن متفرقة من المدينة، وجهزت الأماكن المناسبة لدفن بقايا الأضاحى التى كانت سببا رئيسا فى انتشار بعض الأمراض، وتم نشر عربات لجمع القمامة وتولى أطباء وموظفو الصحة الإشراف على نظافة الأماكن وخاصة المراكز التجارية والميادين العامة، وكذلك الإشراف على رش الشوارع بالمياه وحمل القمامة والمخلفات الآدمية إلى خارج مكة حفاظا على الصحة العامة خاصة فى موسم الحج[1].

كذلك اهتم العثمانيون بتنمية المنافع الحضارية العامة فى مكة المكرمة، إذ تبرع السلطان عبد الحميد الثانى بمبلغ ٥٦٠,٠٠٠ قرشا لتنفيذ خط البرق الكبير من معانٍ إلي مكة المكرمة،والانتهاء من مد خط البرق الكبير من الشام إلي المدينة المنورة،وبناء دار للبريد والبرق من طابقين أمام مقر الحكومة في مكة المكرمة . وإنشاء خطوط برق سواكن، وأخري من جدة إلي مكة المكرمة والطائف و

١ حول الحالة الصحية للحجاز فى زمن السلطان عبد الحميد الثانى، والإجراءات الصحية التى اتخذت فى عهده، انظر، جولدن صارى يلدز، المرجع السابق.

مد خط سكة حديد الحجاز. وفى عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م، ـ صدر الأمر بإرسال لجنة فنية لتنظيم الأحوال الجغرافية ووضع الخرائط للحرمين الشريفين[١].

كما اهتم العثمانيون بتعبيد وإصلاح الطرق، فأصلحوا الطرق المؤدية إلي جبل ثورعلي مسافة ساعتين من مكة المكرمة من الجهة اليمانية،وكانت الطرق المؤدية إليه وعرة وغير منتظمة، يعاني فيها الحجاج مشقة بالغة. فتم تعبيده عام ١٣٠٦هـ(١٨٨٩م) بمعرفة الأمير آلآى أركان حرب منير باشا،ومعاونة إسماعيل حقي باشا والي الحجاز السابق[٢].

وفى نهاية القرن الثالث عش الهجرى، التاسع عشر الميلادى كانت مكة المكرمة عامرة بالمنشئات الحضارية، فكانت تضم سبعة جوامع و٦٨مسجدا وقلعتين، وقصر حكومى ومحكمة، ودائرة بريد وتكنتان ومستشفى مدنى وثلاث تكايا وأربعين سبيل و حنفية عامة للمياه، وحمامان عامان وثلاثة آلاف دكان، ومطبعة لطباعة الكتب والصحف باللغتين العربية والتركية، وتسعة عشر رباطا للفقراء، وثلاثين طاحونة للغلال، وست مطابخ خيرية لإطعام الفقراء والمحتاجين، وست مدارس أولية، ومدرسة متوسطة، ومكتبتان

١ محمد الأمين المكى، ص٢٤، مثال ذلك الخريطة التى وضعهاالقائمقام اركان حرب السيد محمد صادق للحرم المكى والتقرير الهندسى المرفق بها والخاص بعمل تعميرات للحرم المكى الشريف بتكلفة مقدارها ألفين وثمانمائة وأربعين ليرة عثمانية وذلك فى عام ١٣٠١هـ، ١٨٩٩م.، وقد نشره الدكتورمحمد حرب، انظر، محمد حرب، المرجع السابق.

٢ محمد الأمين المكى، ص ١٣.

عامتان . دار توقيت، وستين فرنا، وصيدلية، وثلاث وأربعين مكتبا للصبيان، ومذبحان، وثمان معامل أوانى وقوارير فخارية، ومخزن للنفط، ومحجرا صحيا، ومدبغة للجلود، فضلا عن الكثير من المنشئات الخيرية[1].

***

ونخلص من هذا العرض للخدمات والمرافق العامة فى مكة فى العهد العثمانى بأن خدمات الحرم المكى الشريف، وأمراء مكة وأشرافها وتأمين سبل الحج والمناسك ومصادر المياه، نالت الاهتمام الأكبر من جانب جميع السلاطين العثمانيين على مدار عمر الدولة العثمانية، كذلك تقديم الخدمات الاجتماعية لأهالى الحرمين الشريفين كان لها الحظ الأوفر من اهتمام العثمانيين، ونالت مكة المكرمة فى زمن السلطان عبد الحميد الثانى المزيد من الرعاية والتطوير لمرافقها العامة وتحديثها وربطها بالعالم الخارجى، وتقديم مختلف أنواع الخدمات الصحية والتعليمية، سواء من خزينة الدولة أو من خزينة السلطان الخاصة، رعاية منهم وخدمة للحرم المكى الشريف، وحبا لأهله و خدمة لحجاج بيت الله الحرام.

***

١ يلماز اوزطونه، تاريخ تركيا الكبير، ج١٤، ص ٣٩.، وشمس الدين سامى، قاموس الأعلام، ج٦،ص ص٤٣٨٦.

المراجع والمصادر

باللغة العربية:

- إبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، صححها وعلق حواشيها رشدى الصالح ملحس، المطبعة الماجدية، مكة المكرمة سنة ١٣٥٢،
- السيد محمد الدقن، سكة حديد الحجاز الحميدية دراسة وثائقية، ط١ ١٩٨٥
- السيد محمد الدقن، كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، ط١ القاهرة ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦.
- أميرة على مداح، النشاط العلمى فى مكة المكرمة خلال العصر العثمانى، جامعة أم القرى ٢٠٠١.
- جولدن صارى يلدز، الحجر الصحى فى الحجاز ١٨٦٥-١٩١٤، ترجمه عن التركية وقدم له عبد الرازق بركات، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (١)، ط١، ٢٠٠١.
- صابرة مؤمن اسماعيل، جده خلال الفترة من ١٢٨٦-١٣٢٦هـ/١٨٦٩-١٩٠٨م دراسة تاريخية حضارية فى المصادر المعاصرة، اصدارات دارة الملك عبد العزيز ١٤١٨هـ.
- عبد الغنى بن اسماعيل النابلسى، الحقيقة والمجاز فى الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد أحمد عبد المجيد هريدى، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦.
- محمد حرب، خريطة لمنطقة الحرم المكى وتقرير هندسى عنها، مقال

في مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة الثالثة عشرة، ربيع الآخر ١٤٠٨هـ، نوفمبر ١٩٨٧م

- محمد على فهيم، مخصصات الحرمين الشريفيين فى مصر إبان العصر العثمانى، القاهرة ٢٠٠١
- منجم باشى، جامع الدول، مخطوط مودع مكتبة السليمانية استانبول، أسعد افندى برقم ٢١٠٢.
- نجات جويونش، بعض الوثائق عن الكعبة فى القرن السادس عشر، بحث مقدم إلى جامعة الرياض، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الندوة العالمية الاولى لتاريخ الجزيرة العربية جمادى الأولى ١٣٩٧.
- وقفية والدة السلاطين (خُرَّم سلطان) مخطوط مودع دار الكتب المصرية برقم ١٣٨٦٤ح، ميكروفيلم ٤٠٤١٢، جارى نشرها.

باللغة العثمانية:

- أيوب صبرى، مرآت مكة، استانبول ١٣٠١. وقد تمت ترجمة مرآة مكة ومرآة المدينة ومرآة جزيرة العرب إلى اللغة العربية تحت اسم، موسوعة مرآة الحرمين وجزيرة العرب، إشراف محمد حرب، ، الترجمة العربية حسين مجيب المصرى وآخرون، دار الآفاق العربية، القاهرة ٢٠٠٤،
- محمد الأمين المكى، خلفا عظام عثمانيه حضرتلرينك حرمين شريفينده كى اثار مبروره ومشكورهْ همايونلرندن، در سعادت ١٣١٨هـ، ترجمه إلى العربية ماجدة مخلوف، تحت الطبع.
- أحمد فريدون بك، منشئآت السلاطين، المطبعة العامرة، استانبول ١٢٦٤.
- قاسم عز الدين، حجاز صحية اداره سى، رهبر ضابطهء صحية، استانبول ١٣٣١

باللغة التركية:

Abdurresid Ibrahim,20,asrin Baslarinda Islam Dunyasi, yeni – asya yayinlari,istanbul 1987

Hezarfen Huseyin Efendi, Talhisu'l-Beyan Fi Kavanin-I Al-I – Ossman, Hazirlayan Sevim Ilgur, ankara 1998,s

Ismail Hakki Uzuncarsili,Mekke-I Mukerreme Emirleri, ankara – 1972

Ismail Hakki Uzuncarsili, Osmanli Devletinin Saray Teskilati, Ankara 1984,s.172.

agatay Uluçay,Padisahlarin Kadinlari ve Kizlari, Ankara ıM.– 1980.

Mehmet Zeki Pakalin,Osmanli Tarih Terimleri ve Deyimleri – zlügü ,Istanbul 1971.Ş

Mustafa Guler, Osmanli Devletinde Haremeyn Vakiflari(xvi-xvii – Yuzyillar) Istanbul 2002

Nazif Ozturk,Turk Yenilesme Tarihi Cercevesinde Vakif – Muessesesi, ankara 1995.

Yilmaz Oztuna,Buyuk Turkiye Tarihi, Istanbul 1983–

Ziya Kazici, Islami ve Sosyal Acidan Vakiflar Istanbul 1985.–

طبائع أهل مكة

إعداد

الدكتور
محمد إقبال فرحات
عميد شؤون الطلبة
جامعة عجمان للعلوم

الدكتور
عواد حسين الخلف
رئيس قسم النشر العلمي
جامعة الشارقة

بحث مقدم إلى ندوة

مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ

المقدمــة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل الله فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فإن الناس هم الناس، وفيهم الطيب والمقتصد والخبيث، تشترك في ذلك الشعوب كلها، غير أنها تتفاوت بنسبة هذه الأنواع الثلاثة بعضهم إلى بعض :

فمن الشعوب من تطغى نسبة الخبيث من أهلها على من فيها من الطيبين والمقتصدين، فهي من شر الشعوب، ومنها من يكثر فيها العنصر الطيب وتكون له الكلمة النافذة والتوجيه المتبع في المجتمع، فهي من أكرم الشعوب معدناً، ومنها من تعظم فيها نسبة المقتصدين فيعم فيها الخير ويستتب الاستقرار .

وقد أكد الرسول ﷺ تفاوت البشر في الصفات والطباع في قوله ﷺ : " الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا " [١].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى : " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى "، ٦ / ٤١٧، حديث ٣٤٩٩ . وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب الأرواح جنود مجندة، ٤ / ٢٠٣١، حديث ٢٦٣٨ .

وأيضاً ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال : إنَّا لقعود بفناء رسول الله ﷺ إذ مرَّت به امرأة، فقال بعض القوم : هذه ابنة محمد ﷺ (والحقيقة أنها كانت درة ابنة أبي لهب، وكانت زوجة للحارث بن نوفل، ثم تزوجها دِحْيَة الكلبي)، فقال رجل : إن مثل محمد ﷺ في بني هاشم مثل الريحانة في وسط النتن . فانطلقت المرأة، فأخبرت النبي ﷺ ، فجاء عليه السلام يعرف في وجهه الغضب، ثم قام على القوم فقال : " ما بال أقوال تبلغني عن أقوام ! إن الله عز وجل خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشاً، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم . فأنا خيار من خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم "[١] .

فالأصل في التفاضل التقوى، وكرم المعدن فضيلة في الجملة، ومظنة لوجود الخير فيه أكثر من غيره .

ولا يعرف التاريخ نبياً من أنبياء الله، ولا صاحب دعوة إلى الخير، استجاب له من أتباعه رجال، يستحقون أن يعدوا من أولياء الله الصادقين المجاهدين، كما استجابت قريش، والأنصار، وسائر العرب للدعوة المحمدية .

وكان لكرم معدن قريش الأثر العظيم في هذا الامتياز الذي كان لبيئة الإسلام الأولى .وصدق عبد الله بن مسعود :" إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه . ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه"[٢] .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ٤ / ٨٣، حديث ٦٩٥٣ و صححه، ورواه من غير هذا الإسناد الطبراني في المعجم الكبير، ١٢ / ٤٥٥ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده : ١ / ٣٧٩، وقال محقق المسند الشيخ شعيب :" إسناده حسن". وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد : ١ / ١٧٧ – ١٧٨، ونسبه إلى أحمد والبزار والطبراني، وقال :"رجاله موثقون" .

وإن أعظم معجزات الإسلام بعد القرآن الكريم، ذلك الانقلاب العجيب الذي حدث في الجزيرة العربية، والعراق، والشام، ومصر، وشمال أفريقية، وهي أمهات البلاد التي دخلت في الإسلام على أيدي رجال ربّاهم رسول الله ﷺ. وقد حار المتتبعون لحركة التاريخ في تعليل ذلك الانقلاب الذي شمل الدين، واللغة، والأخلاق، والثقافة، والعقلية، والوجهة، والأهداف.

وقد حاول مثله الكثير من المستعمرين في قديم أو حديث، بأحدث الأساليب، ومختلف الوسائل ففشلوا ؛ لأنهم لم يكونوا كأولئك الذين كانوا يعرفون الأمم أكثر من معرفتهم بأنفسهم : لا بكتب يؤلفونها، ولا بمحاضرات يلقونها، ولا بالجدل والمراء والمناظرات ؛ ولكن بعرض الإسلام على الناس عرضاً عملياً يراه الناس في أخلاق هؤلاء الفاتحين، وفي أحكامهم، ومعاملاتهم، وتصرفاتهم.

فكانت بذلك تلك المعجزة الفريدة في تحويل مجرى التاريخ والإنسانية. ولو بقيت قيادة الإسلام في أيدي أهله الأولين، واستمرت طريقتهم على ما كانت عليه، لكانت اليابان، وأوروبا، وأمريكا، والصين، وكل أفريقيا، وكل آسيا شعوباً إسلامية.

والذين يقيسون بطولة القادة والفاتحين بمقياس النتائج العسكرية لحركاتهم الحربية، مع مقارنتها بالوسائل التي كانت بين أيديهم، وإكمالهم نقائص هذه الوسائل بدهائهم وحسن تدبيرهم وقوة عزائمهم؛ يعجبون من إقدام عمرو بن العاص على اقتحام الحدود المصرية على رأس حملة متواضعة في عددها واستعدادها الحربي. ولو

أن عمراً لم يسبق له ارتياد مصر والتغلغل في عاصمتها يومئذ وهي مدينة الإسكندرية، لكان هنالك مجال للظن بأنه غامر في هذه الحملة جزافاً وبلا حساب؛ أما وإنه يعرف مصر في عمرانها وتعداد سكانها وطباعهم، وقد حارب في سوريا وفلسطين جيوش الدولة التي كانت تحتل مصر أيضاً بجيوشها، فمن غير المعقول أن يكون مدفوعاً إلى هذه المغامرة العجيبة عن قلة تقدير للمسؤوليات الحربية، وعن استخفاف بفنون القتال وأعبائه، فهو جِدّ خبير باستعداد أعدائه الحربي، وبأساليبهم العسكرية، وأنظمتهم في التعبئة هجوماً ودفاعاً، ويعلم أن لديهم من قادة الحرب كل صعب المراس، متمرن على الكر والفر، معتمد على المعاقل والقلاع في الحصار والمطاولة، فكانت هذه الحملة بمقدماتها ونتائجها أشبه بالحلم.

وأيضاً تجلت عبقرية خالد بن الوليد العسكرية في أروع صورها، عندما عبر بجيشه صحراء السماوة الملتهبة بين العراق والشام من أقصر الطرق وأكثرها وعورة وخطورة، ليفاجىء المسلمين والروم، ليكون بين ظهرانيهم في أسبوع، بعد أن عبر البادية التي لا ماء فيها ولا كلأ.ثم وقف جيش خالد بن الوليد؛ الذي لا يكاد يبلغ الأربعين ألفاً؛ أمام ربع مليون جندي روماني؛ مجهزين بأقوى الأسلحة وأمضاها؛ وبخبرة طويلة في فنون القتال في اليرموك؛ تلك المعركة الفاصلة؛ التي جعلت هرقل يبكي ويهتف عندما سمع نهايتها : وداعاً سوريا .. وداعاً لا لقاء بعده.

ولم تقم للروم بعدها قائمة.

وقد كانت كل هذه التحركات والفتوحات، تنم عن خبرة طويلة اكتسبها الصحابة طوال حياتهم الحافلة المفعمة بأعظم الخبرات .

وكانت القاعدة التي سار عليها الرسول صلوات الله وسلامه عليه في نشر الدعوة هي قوله تعالى :" ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين" [١].

وفي كل المغازي والحروب التي وقعت في بدايات الإسلام، لم يحارب المسلمون قوماً أو أمة أو شعباً ؛ إنما حاربوا القوى التي كانت تحول دون وصول الإسلام إلى الناس . فقد حارب الرسول ﷺ والصحابة معه أئمة الكفر في مكة ولم يحاربوا أهل مكة، لذلك عندما استسلم رؤساء المكيين دخلت قوات المسلمين مكة دون حرب، وعندما نادى منادي الإسلام بأن من دخل الحرم فهو آمن، ومن دخل بيته فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، لم يُطْلَبْ من أَحَدٍ من المشركين أن يدخل في الإسلام؛ بل قال الرسول ﷺ لأهل مكة : "اذهبوا فأنتم الطلقاء"[٢] فانفتحت بذلك قلوب من بقي على الشرك منهم للإسلام فأسلموا .

وكذلك الأمر مع بقية البلاد التي فتحها المسلمون : كانت الحرب على الرؤساء الذين كانوا يحولون بين شعوبهم ودخول الإسلام، فلم يحارب المسلمون أهل الشام، أو أهل العراق، أو أهل

---

(١) سورة النحل : آية ١٢٥ .

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١١٨/٩) – حديث ١٨٠٥٥ بإسناد حسن.

مصر، وإنما حاربوا الروم والفرس الذين كانوا يستعمرون هذه الشعوب لمصالحهم، فلما قضى المسلمون على تلك القوى تركوا الشعوب لتختار دون إكراه بين الإسلام والكفر.

وما كان ذلك عن عدم حرص من المسلمين على نشر الإسلام، وإنما كان سيراً على أسلوب الدعوة في عهدها الأول: أسلوب عرض الدين على الناس، وتركهم بعد ذلك أحراراً إلى أن يهدي الله منهم من يشاء.

ومن غريب ما حدث في بلاد مثل مصر والأندلس؛ أن كان هذا المسلك أدعى إلى دخول الناس في الإسلام، لأنهم تعودوا ممن يتغلب على بلادهم أن يكون شديد الحرص على إدخالهم في دينه. وفي ذلك يقول الراهب القرطبي (يولوج): "فكان من مكر العرب أن تظاهروا بأنهم لا يهتمون بدخول الناس في الإسلام فتطلعت نفوس الناس إلى ذلك الإسلام يتعرفون عليهم، لعلهم يعرفون السبب في اختصاص العرب أنفسهم به، وضنهم به على غيرهم، فما زالوا يفعلون ذلك ويسألون عن الإسلام ويستفسرون حتى وجدوا أنفسهم مسلمين دون أن يدروا". ولقد قال الراهب القبطي يوحنا النقبوس شيئاً من ذلك، وكان متأسفاً لأن العرب لم يلجئوا إلى القوة في فرض الإسلام، إذ لو فعلوا ذلك لزاد تمسك الأقباط بعقيدتهم على مذهب العناد وإباء كل ما يفرض بالقوة [١].

---

(١) الإسلام الفاتح لحسين مؤنس: ص ٢١ _ ٢٢، بتصرف، و لايصح اتهام العرب هنا بالمكر و إنما كان دخولهم عن اقتناع و سؤالهم عن ذكاء، و الله أعلم.

ومن هنا كان هذا البحث في العوامل والصفات والطباع في الشعوب التي لعبت الدور الأساس في نشر الإسلام .

ونحمد الله أن كان هذا الموضوع " طبائع أهل مكة " يقدم إلى جامعة أم القرى بمكة المكرمة بمناسبة اختيار مكة المكرمة أول مدينة إسلامية عاصمة الثقافة الإسلامية عام ١٤٢٦ هـ ، ولا يفوتنا أن نشكر جامعة أم القرى على تنظيمها لهذه الندوة والتي نرجو لها التوفيق والنجاح .

خطة البحث

وتتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : أهمية الموضوع وفوائده .

المبحث الثاني : ماهية الطباع لغة واصطلاحاً .

المبحث الثالث : أثر فقه الطبائع في إنجاح الدعوة إلى الله .

المبحث الرابع : أسباب اختيار جزيرة العرب لتكون منطلق الدعوة الإسلامية

المبحث الخامس : تعريف عام بقريش

المبحث السادس : مناصب قريش

المبحث السابع : تجارة قريش

المبحث الثامن : حضارة قريش

المبحث التاسع : إمامة قريش

المبحث العاشر : طبائع قريش

المبحث الأول

أهمية الموضوع وفوائده

قد يسأل سائل قائلاً: ما أهمية دراسة طبائع قريش وأثرها في إنجاح الدعوة إلى الله .

وقد يبدو هذا السؤال لأول وهلة في مكانه، ولكن بعد التأمل - وبخاصة عند دراسة وتفحص السنة النبوية - نجدها أولت سلوك الإنسان وطبيعته وبناءه بمواصفات معينة حسب ما يريد الدين من أبنائه ومعتنقيه اهتماماً كبيراً، باعتباره خليفة الله في الأرض.

ولا يتم بناء الإنسان ونشر الإسلام إلا بناءاً على علمٍ بطبيعة هذا الإنسان، وقابليته واستعداداته، وأهدافه، وطرق إرشاده، ليكون قادراً على تحقيق الخلافة.

وبما أن الإنسان هو موضوع الداعي إلى الله، وهدف الداعي إلى الله تقويم الإنسان وفق منهج الله، فإن موقف الداعي من طبائع المدعو؛ كموقف الصانع من طبيعة المعدن الذي يريد أن يصنع منه ما يريد صناعته وتشكيله؛ والداعي بقدر ما يكون ماهراً في معرفة طبيعة الإنسان الذي يريد دعوته؛ بقدر ما يكون ناجحاً في دعوته .

ولذلك لم يكن مصادفة أن يكون أول خليفة للمسلمين أبو بكر الصديق محارب المرتدين أعلم الناس بالأنساب، ثم يأتي أبو الجهم بن حذيفة العدوي[١]، وجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد

---

(١) قيل :اسمه عبيد وهو من مسلمة الفتح، وكان ممن بنى البيت في الجاهلية والإسلام . سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ٥٥٦.

مناف[1] الذي أخذ علم النسب عن أبي بكر الصديق من أعلم الناس بالأنساب بعد الصدِّيق رضي الله عنهم .

كما كان عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم علماء به أيضاً .

وقد أمر رسول الله صلي الله عليه وسلم حسان بن ثابت أن يأخذ ما يحتاج إليه من علم نسب قريش عن أبي بكر الصديق [2]، وروي أن من أسباب ارتضاء الصحابة خلافة أبي بكر الصديق كونه أنسب العرب، وهذا يعني أنه كان أعلمهم بأحوال قبائل العرب وبطونها، وتاريخ كل قبيلة، وسابق أيامها، وأخلاقها كالشجاعة، والجبن ، والأمانة، والخيانة، ومكانها من الضعف والقوة ، والغنى والفقر .

وما كان إقدامه – مع ما عرف به من اللين وسهولة الخلق – على قتال أهل الردة إلا لهذا العلم الذي كان به على بصيرة، فلم يَهَبْ، ولم حتى قال أبو بكر الصديق :والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه [3].

ولولا معرفة الصحابة : بأخلاق، ولغات، وطبائع أهل البلاد المفتوحة، لما أقدموا على الفتوحات، ومحاربة الأمم ؛ فانتصروا عليهم بمعرفتهم بهم ؛ لا بجهلهم بأحوالهم وطباعهم، ويعرف ذلك من دَرَسَ

(١) كان من الطلقاء الذين حَسُنَ إسلامهم،وكان يقول : "أخذت النسب من أبي بكر الصديق". سير أعلام النبلاء :٣ /٩٥ .

(٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم : ص ٢ .

(٣) صحيح البخاري – حديث ٦٨٥٥ و صحيح مسلم – حديث ٢٠

ما حُفِظَ من : آثارهم، وكتبهم التي كانوا يتراسلون بها، ومحاوراتهم، ولذلك عقد الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الأحكام باباً في ترجمة الحكام، وأخرج فيه حديث زيد بن ثابت : " أن النبي ﷺ أمره أن يتعلم كتاب اليهود -يقول زيد رضي الله عنه- حتى كتبت للنبي ﷺ كتبه وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه "[(١)].

وقد ذكر الحافظ في الفتح أن الرسول ﷺ أعجب بزيد بن ثابت عندما قدم المدينة، وقيل له : هذا غلام من بني النجار قد قرأ فيما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة، فاستقرأني فقرأت " ق " فقال لي :" تَعَلَّمْ كتاب يهود فإني ما آمن يهود على كتابي، فتعلمته في نصف شهر، حتى كتبت له إلى يهود، وأقرأ له إذا كتبوا إليه، فما مرَّ بي سوى خمس عشرة ليلة حتى تعلمته "[(٢)].

وورد أيضاً أن النبي ﷺ أمره أن يتعلم السريانية، فتعلمها في سبعة عشر يوماً[(٣)].

وحرص الرسول ﷺ أيضاً على إرسال الرسل إلى ملوك وأمراء زمانه، وكان السفراء صفوة الدعاة إلى الله من الصحابة، من أمثال جعفر بن أبي طالب، الذي كان أول سفير في الإسلام، وأسلم على يديه النجاشي الأول، وعمرو بن أمية الضَّمْري، الذي أرسله الرسول ﷺ إلى النجاشي الثاني فأسلم على يديه، و دِحْيَة بن خليفة الكَلْبي الذي أرسله الرسول ﷺ إلى هِرَقْلَ قيصر الروم فصرفه بالحسنى، وعبد الله بن حذافة السهمي الذي أرسله الرسول ﷺ إلى كسرى

---

(١) صحيح البخاري – حديث ٤٠

(٢) صحيح البخاري (١٨٧/١) معلقا و وصله الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق (٣٠٦/٥)– حديث ٧١٩٥

(٣) صحيح ابن حبان (٨٤/١٦) – حديث ٧١٣٦.

أبرويز هرمز ملك الفرس، فمزق الكتاب النبوي .وبلغ عدد سفراء النبي ﷺ خمسة عشر سفيراً .

وإذا أردنا أن نعبر بدقة أكثر حول انتشار الإسلام بالسفارات النبوية ، فلا بد أن نذكر أنه انتشر انتشاراً واسعاً في تسعة أقطار هي: اليمامة ، وعُمَان، والبحرين،و مصر ، و الشام، واليمن في أربع مناطق شاسعة منها ، وحضرموت .

وكان انتشاره محدوداً في الحبشة ؛ لأن إسلام النجاشي لم يؤدِّ بالضرورة إلى إسلام شعبه .(١)

وصرف هرقل قيصر الروم، والمقوقس ملك مصر السفير النبوي بالحسنى، ومعنى ذلك أن أربعة من الملوك بَقُوا على دينهم ولم يسلموا ؛ إلاَّ أنَّ ملكين منهم صرفا سفيري النبي ﷺ بالعنف، وملكين صرفا سفيري النبي صلى الله عليه وسلم بالحسنى .

وقد أسلم الملوك الآخرون، وأسلم مع قسم منهم كثير من أتباعهم ، أي أن المسلمين أصبحوا الأكثرية في قسم من تلك الأقطار، في حين بقي المسلمون أقلية في القسم الباقي من تلك الأقطار .

وكان من عوامل هذا النجاح الباهر المتميز اختيار الرجل المناسب في المكان المناسب للعمل المناسب، فقد كان اختيار السفراء النبويين موفقاً حقاً ، وكانوا عند حسن الظن بهم، لهم سمات أهَّلَتْهم

(١) انظر سفراء النبي صلى الله عليه وسلم ، ص : ١٥–١٨.

لتحمل أعباء واجباتهم الثقيلة الصعبة بكفاءة واقتدار في أدق الظروف والأحوال، وكان من أهم تلك السمات معرفتهم بطباع وعادات ولغات الأقوام الذين أرسلوا إليهم .

ومن فوائد هذه الدراسة أيضاً أنها تظهر لنا أهمية التعامل مع كل شعب على حدة حسب اتجاهاته وأهوائه، فالتفاوت في خطاب الشعوب يختلف من شعب لآخر، ويظهر ذلك بوضوح عندما أرسل الرسول ﷺ إلى اليمن معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال له :" إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب " [١] فهذا الحديث تعليم لنا بأنَّ على الداعي إلى الله أن يعرف القوم الذين سيقدم عليهم، وكذلك اختيار الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل لكونه على دراية بأهل الكتاب خصوصاً محاوراته ليهود المدينة .

ولذلك نقول إن الدعوة إلى الله علم وفن، يحتاج لمن يتصدى لها أن يتسلح بسلاح العلم بلغات وأخلاق وطباع الشعوب التي يذهب لدعوتها إلى الله، فالذي يذهب إلى الصين مثلاً يحتاج لمعرفة اللغة الصينية أولاً، وعادات وطباع أهل الصين ثانياً، وتاريخ وحضارة الصين ثالثاً، فلا يكفي مجرد الحماس للدعوة.

والقرآن الكريم يقول :﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾، [٢] والحكمة كما

(١) صحيح البخاري – حديث ١٣٠٨و صحيح مسلم – حديث ١٩ .

(٢) سورة النحل : آية ١٢٥.

يقول الراغب الأصفهاني هي : "إصابة الحق بالعلم والعقل" [١]

المبحث الثاني : ماهية الطباع لغة واصطلاحاً .

ويشتمل على المطالب التالية :

-المطلب الأول : ماهية الطباع لغة .

-المطلب الثاني : الطبع في الاصطلاح .

***

المبحث الثاني

ماهية الطباع لغة واصطلاحاً

المطلب الأول : ماهية الطباع لغة

الطاء والباء والعين أصل صحيح، وهو مَثَل على نهاية ينتهي إليها الشيء حتى يختم عندها، يقال : طبعت على الشيء طابعاً، ثم يقال على هذا طَبْعُ الإنسان وسجيته، ومن ذلك طَبَعَ اللّهُ على قلب الكافر، كأنه ختم عليه حتى لا يصل إليه هدىً ولا نور : فلا يوفق لخير . ومن ذلك أيضاً طَبْعُ السيف والدرهم، وذلك إذا ضربه حتى يكمله .

والطَّابَعُ : الخاتم يختم به . والطَّابِعُ : الذي يختم.[٢] والرَّين والختم والطَّبْع للكفار.[٣]

والطَّبْعُ والطَّبيعة : الخليقة والسجية التي جُبِل عليها الإنسان،

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب : ص ٢٤٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة : ٣ / ٤٣٨ .

(٣) الكليات : ٦٧١ .

ويجمع طَبْعُ الإنسان طِبَاعاً على مِثال .[١] وتجمع الطبيعة على طبائع.[٢]

وحقيقة الطَّبع: أن تصور الشيء بصورة ما، كطبع السكة، وطبع الدراهم، وهو أعم من الختم، وأخص من النَّقْش، وهو نقش النفس بصورة ما؛ إما من حيث الخلقة، وإما من حيث العادة، وهو فيما ينقش به من حيث الخلقة أغلب، ولهذا قيل :

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطِّبَاعُ على النَّاقل[٣]

المطلب الثاني : الطبع في الاصطلاح

الجِبِلَّة التي خُلِقَ عليها الإنسان .[٤] تقول : جَبَلَه الله على كذا، إشارة إلى ما رُكِّب فيه من الطَّبْع الذي يأبى على النَّاقِل نقله[٥] وفي الحديث : " كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب "،[٦] والرسول ﷺ يقول : " كل مولود يولد على الفطرة : فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجِّسانه ".[٧]

وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن الطفل يولد مزوداً بصفات جسمية وعقلية وخلقية يرثها من أبويه أو من سلالته، لكن

---

(١) لسان العرب : ٨ / ٢٣٢ .

(٢) المعجم الوسيط :٢/ ٥٥٦ .

(٣) البيت للمتنبي، وهو في ديوانه شرح البرقوقي ٣ / ١٥٣، ومجمع البلاغة : ١ ٢٦٣ .

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف : ص : ٤٧٩ .

(٥) مفردات ألفاظ القرآن : ص : ١٨٥ .

(٦) الحديث أخرجه القضاعي في مسند الشهاب : ١ /٣٤٥، حديث ٥٩١، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير : ٩ /١٨٤، حديث ٨٩٠٩ .

(٧) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين ، ٢٤٥/٣، حديث ١٣٥٨.

معظمها ينتقل بالدرجة الأولى من الأبوين –الأب والأم –إلى الابن، وفي الدرجة الثانية ما ينتقل من الأجداد، ثم آباء الأجداد، وهكذا .

وقد دلت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على دور الوراثة في تكوين الأخلاق والطباع ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا . إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفّاراً ﴾ .[(١)] وروي عن النبي ﷺ : " إياكم وخضراء الدِّمن "، [(٢)] ومعناه أنه كره نكاح الفاسدة لأن أعراق السوء تنزع أولادها، وتفسير حقيقته : أن النبات ينبت على البعر في الموضع الخبيث، فيكون ظاهره حسناً وباطنه قبيحاً فاسداً ؛ فالدِّمن جمع دِمنة وهي البعر .

وقال الرسول ﷺ : " تخيروا لنطفكم فأنكحوا الأَكْفاء وأنكحوا إليهم "، [(٣)] وقال عمر بن الخطاب : لأمنعن تزوج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء [(٤)]

ودلت الأبحاث الجنائية التي تقدمت كثيراً في بلاد العالم، ومنها أمريكا على أنَّ ستة وستين في المئة من المجرمين كانوا ينتمون إلى أُسَر متهمة بالإجرام، فطفل الداعر يميل إلى الدعارة، وطفل المجرم يميل إلى الإجرام، حتى وإن لم يأخذ عن والديه بالتقليد؛

---

(١) سورة نوح آية _ ٢٦، ٢٧ _ .

(٢) الحديث أخرجه القضاعي في مسند الشهاب : ٢ /٩٦، حديث ٩٥٧ ، و في إسناده ضعف

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك : ٢ / ١٧٦، حديث ٢٦٨٧، وابن ماجه في سننه:١ /٦٣٣، حديث ١٩٦٨، وحسنه الألباني .

(٤) أخرجه الدار قطني في سننه : ٣ / ٢٩٨، حديث ١٩٥، ومداره على أناس ضعفاء، وهو حسن، انظر التلخيص الحبير : ٣ / ٣٠٤ .

نجد لديه وفي نفسه ميلاً للإجرام كالقتل والضرب.[١] ولذلك لا نعجب من اهتمام الرسول ﷺ وحرصه على تعليم أمته التدقيق عند اختيار المرضعة، لأن الطفل يتأثر بلبن المرضعة؛ إذا كانت حمقاء أو بلهاء، ولهذا روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "لا تسترضعوا الورهاء".

قال الأصمعي: سمعت يونس بن حبيب يقول: الورهاء الحمقاء.[٢]

وقد نص الفقهاء على اجتناب الحمقاء لأنه ربما تعدَّى حمقها إلى ولدها. وقد قيل: اجتنبوا الحمقاء، فإن ولدها ضياع، وصحبتها بلاء. ويختار الحسيبة ليكون ولدها نجيباً، فإنه ربما أشبه أهلها ونزع إليهم. وكان يقال إذا أردت أن تتزوج امرأة فانظر إلى أبيها وأخيها.[٣]



(١) التربية الإسلامية والطبيعة الإنسانية: ص: ١٤٠ _ بتصرف _.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير: ١ / ١٠٠، والأوسط: ١ / ٧٨، بإسناد فيه ضعف.

(٣) المغني: ٧ / ٨٣.

المبحث الثالث

أثر فقه طبائع البشر في إنجاح الدعوة إلى الله

خلق الله الإنسان من تراب، وجعل الله هذا الخلق من آياته العظام، قال الله تعالى : " ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون "[١]، وقيل: إن آدم أبا البشر سمِّي بذلك لكون جسده من أديم الأرض، وقيل : سمِّي بذلك لكونه من عناصر مختلفة وقوى مختلفة، كما ذكر سبحانه و تعالى : " من نطفة أمشاج نبتليه "[٢] .

وقد جاء في السنة النبوية بإسناد صحيح عن أبي موسى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحَزْن، والخبيث والطيب "[٣] .

وفي هذا الحديث دلالة على أنَّ الناس تتفاوت في الطباع، والأخلاق، والألوان، وهذه من البدهيات التي يعرفها كل أحد ؛ كما تتفاوت حظوظهم من: القوة والضعف، والطول والقصر، والذكاء والغباء، و الشجاعة والجبن، والغضب والرضا.

وورد عن أبي سعيد الخدري قال : " صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً صلاة العصر بنهار، ثم قام خطيباً ،فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، وكان فيما قال : " ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى، فمنهم : من يولد مؤمناً

(١) سورة الروم : آية : ٢٠ .

(٢) سورة الإنسان : آية :٢ .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده : ٤ / ٤٠٠ ، ٤٠٦ . وابن حبان في صحيحه : ١٤ / ٢٩ ، حديث ٦١٦٠ .

ويحيا مؤمناً ،ويموت مؤمناً ، ومنهم : من يولد كافراً ،ويحيا كافراً ،ويموت كافراً ، ومنهم: من يولد مؤمناً ،ويحيا مؤمناً ،ويموت كافراً ، ومنهم : من يولد كافراً ،ويحيا كافراً ،ويموت مؤمناً ، ألا وإن منهم : البطيء الغضب ،سريع الفيء ، ومنهم : سريع الغضب سريع الفيء ، فتلك بتلك ، ألا وإن منهم : سريع الغضب ، بطيء الفيء ، ألا وخيرهم : بطيء الغضب سريع الفيء ، ألا وشرهم : سريع الغضب بطيء الفيء ، ألا وإن منهم: حسن القضاء حسن الطلب ، ومنهم : سيئ القضاء حسن الطلب ، ومنهم حسن القضاء سيئ الطلب ، فتلك بتلك ، ألا وإن منهم السيئ القضاء السيئ الطلب ، ألا وخيرهم حسن القضاء الحسن الطلب ، ألا وشرهم سيئ القضاء سيئ الطلب" [(١)] .

وكثيراً ما نجد بعض الناس مفطورين على سرعة الغضب في حين أننا نجد آخرين مفطورين على الحلم وبُطء الغضب والأناة .

والناس لتفاوتهم في الطِّباع أشبهوا المعادن التي في باطن الأرض ، ولذلك نجد الرسول ﷺ يشبه الناس بالمعادن في حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : " تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ، وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهية ، وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ، ويأتي هؤلاء بوجه" [(٢)] .

وفي رواية : " الناس معادن كمعادن الذهب والفضة "[(٣)] وفي

---

(١) الجامع الصحيح للترمذي ، كتاب الفتن ، باب ما جاء ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بما هو كائن ، حديث ٢١٩١ ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، وأخرجه أحمد في مسنده : ٣ /١٩ .

(٢) صحيح البخاري – حديث ٣٣٥٣ و صحيح مسلم–حديث ٢٣٧٨

(٣) متفق عليه ، تقدم تخريجه .

هذه الروايات دليل على وجود الفروق والتفاوت في الطباع، والأخلاق بين البشر، وإثبات من الرسول ﷺ أن خيار الناس في التكوين الفطري الخلقي الطبعي هم أكرمهم خلقاً.

***

المبحث الرابع

أسباب اختيار جزيرة العرب لتكون منطلق الدعوة الإسلامية

قبل الحديث عن طبائع قريش، سنحاول تلمس الحكمة الإلهية التي اقتضت أن تكون الجزيرة العربية هي المنطلق للدعوة الإسلامية دون غيرها من البلاد .

ولتلمس الحكمة ينبغي علينا أن نعرض بإيجاز ما كانت عليه الأمم التي تعيش حول الجزيرة العربية قبل بزوغ فجر الإسلام .

كان يتربع على عرش العالم القديم في ذلك الوقت دولتان تتشاطران العالم المتحضر في ذلك الوقت هما :فارس، والروم، ويأتي بعدهما اليونان والهند .

أما فارس فقد كانت حقلاً لوساوس دينية فلسفية متصارعة مختلفة ؛ كان فيها الزرادشتية التي اعتنقها ذوو السلطان الحاكمون، وكان من فلسفتها تفضيل زواج الرجل بأمه،أو ابنته، أو أخته، حتى إن (يزدجرد) الثاني الذي حكم في أواسط القرن الخامس الميلادي تزوج بابنته، هذا بالإضافة إلى انحرافات خلقية مشينة لا مجال لذكرها هنا .

وكان فيها المزدكية التي كانت قائمة على فلسفة أخرى هي حِلّ النساء، وإباحة الأموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ .

وأما الرومان فقد كانت تسيطر عليها الروح الاستعمارية، وكانت منهمكة في خلافات دينية بينها من جهة، وبين نصارى الشام ومصر من جهة أخرى، وكانت دولة الرومان تعتمد على هيمنتها العسكرية، وطموحها الاستعماري من أجل تطوير المسيحية والتلاعب بها حسب ماتوحي به مطامعها وطموحاتها، وكانت تسودها حياة التبذل، والانحطاط، والظلم الاقتصادي من جراء كثرة الإتاوات، ومضاعفة الضرائب .

وأما اليونان فقد كانت غارقة في خرافاتها وأساطيرها الكلامية، التي منيت بها دون أن ترقى إلى ثمرة أما الهند، فقد كانت في أحط أدوارها ديانة وخلقاً واجتماعاً [١].

وأما الجزيرة العربية فقد كانت بعيدة عن مظاهر هذه الاضطرابات كلها، فلم يكن لدى أهلها من الرفاهية، والمدنية الفارسية مايجعلهم يتفننون في خلق وسائل الانحلال وفلسفة مظاهر الإباحية، والانحطاط الخلقي، ووضعها في قوالب من الدين، ولم يكن لديهم من الطغيان العسكري الروماني ما يبسطون به أيديهم بالتسلط على أي رقعة من حولهم، ولم يؤتوا من ترف الفلسفة والجدل اليوناني ما يصبحون به فريسة للأساطير والخرافات، و لم ينحطوا انحطاط الهنود في مجتمعاتهم.

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : ص ٢٨ .

فقد كانت طبائعهم أشبه ما تكون بالمادة الخام التي لم تتصهر بعد في أي بوتقة محوّلة، فكانت تتراءى فيها الفطرة الإنسانية السليمة، والنزعة القوية إلى الاتجاهات الإنسانية الحميدة كالوفاء والنجدة والكرم والإباء والعفة، إلا أنه كانت تعوزهم المعرفة التي تكشف لهم الطريق إلى كل ذلك، إذ كانوا يعيشون في ظلمة من الجهالة البسيطة، والحالة الفطرية الأولى، فكان يغلب عليهم —بسبب ذلك— أن يضلوا الطريق إلى تلك القيم الإنسانية، فيقتلوا الأولاد بدافع الشرف والعفة، ويتلفوا الأموال الضرورية بدافع الكرم، ويثيروا بينهم المعارك بدافع الإباء والنجدة.

وهذه الحالة هي التي عبر الله عز وجل عنها بالضلال حينما وصفهم بقوله:

﴿ وإن كنتم من قبله لمن الضالين ﴾.[1] وهي صفة —إذا ما نسبت إلى حال الأمم الأخرى إذ ذاك— تدل على الاعتذار لهم أكثر من أن تدل على تسفيههم، أو تعييرهم بها. ذلك أن الأمم الأخرى كانت تستهدي لانحرافاتها العظيمة بمشاعل الحضارة، والثقافة، والمدنية، فكانت تتقلب في حمأة الفساد عن تبصر، وتخطيط، وفكر. ثم إن الجزيرة العربية تقع —بالنسبة لرقعتها الجغرافية— في نقطة الوسط بين هذه الأمم التي كانت تموج من حولها.[2]

(١) سورة البقرة: آية ١٩٨.

(٢) فقه السيرة للبوطي: ص ١٨ _ ١٩.

وكما يقول الأستاذ محمد المبارك فإن الجزيرة العربية : "تقف في الوسط التام بين حضارتين جانحتين : إحداهما حضارة الغرب المادية التي قدمت عن الإنسان صورة بتراء لا تقع حتى على جانب جزئي من الحقيقة ، وأخراهما الحضارة الروحية الخيالية في أقصى الشرق كتلك التي كانت تعيش في الهند والصين وما حولهما"(١) .

فإذا تصورنا حالة العرب في جزيرتهم قبل الإسلام، وحالة الأمم المختلفة الأخرى المحيطة بهم سهل علينا أن نستجلي الحكمة الإلهية التي اقتضت أن تتشرف الجزيرة العربية دون غيرها بمولده وبعثتهﷺ ، وأن يكون العرب هم الطليعة الأولى التي تحمل إلى العالم مشعل الدعوة إلى الدين الإسلامي الذي تَعبَّدَ الله به الجنس البشري كله من أقصى العالم إلى أقصاه .

وهنالك حكم أخرى لا تخفى على الباحث نجملها فيما يلي :

١ – من المعلوم أن الله عز وجل قد جعل البيت الحرام مثابة للناس وأمناً ، وجعله أول بيت وضع للناس للعبادة ، وإقامة الشعائر الدينية ، وحقق في ذلك الوادي دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام . ومن لوازم هذا كله ومتمماته أن تكون هذه البقعة المباركة نفسها مهداً للدعوة الإسلامية التي هي ملة أبينا إبراهيم، وأن تكون بعثة خاتم الأنبياء ومولده فيها ، كيف لا ، وهو من نسل إبراهيم عليهما الصلاة والسلام .

(١) الأمة العربية في معركة تحقيق الذات لمحمد المبارك : ص ١٤٧ .

٢ – البقعة الجغرافية للجزيرة العربية ترشحها للقيام بعبء مثل هذه الدعوة، بسبب أنها تقع في وسط الأمم المختلفة التي من حولها، يقول تعالى جل شأنه : (و كذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى و من حولها) سورة الشورى :

٣ –اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون اللغة العربية هي لغة الدعوة الإسلامية وأن تكون هي المباشرة الأولى لترجمة كلام الله عز وجل،وإبلاغه إيانا لما تمتاز به من الخصائص التي يعز وجودها في اللغات الأخرى .(١)

***

المبحث الخامس

تعريف عام بقريش

قريش هي قبيلة الرسول ﷺ التي ينتسب إليها، وإنما سميت قريش بهذا الاسم لتجمعهم على قصي بن كلاب، وهي بطنان :قريش البطاح، وقريش الظواهر .

وقد قيل أيضاً : إنما سميت قريش قريشاً لأنها كانت تجاراً تكسب، وتتجر، وتتحرش فشبهت بحوت في البحر .(٢)

ونزلت قريش في مكة في القرن الرابع الميلادي، وكانت قبل ذلك متفرقة حول مكة، واستطاعت أن تتغلب على قبيلة خزاعة التي

---

(١) فقه السيرة : ص ١٩ _ ٢٠، بتصرف .

(٢) الأنساب للسمعاني : ٤ /٤٨٥ .

كانت لها السيادة بها .

واستولى قصي بن كلاب، وهو الجد الرابع لرسول الله ﷺ على أمر مكة والبيت الحرام في القرن الخامس بعد أن وحَّدَها ونظَّم شؤون مكة، ووضع أساس سيادتها الدينية والسياسية، وقد كان الشرف والرئاسة في قريش بالجاهلية في بني قصي، لا ينازعون ولا يفخر عليهم فاخر، وكانت لقريش ست مآثر، كلها لبني قصي دون سائر قريش، وهي : الحجابة، والسقاية، والرِّفادة، والندوة، واللواء، والرئاسة . فلما هلك حرب بن أمية -وكان رئيساً بعد المطلب- تفرقت الرئاسة في بني عبد مناف .

وأما قريش البطاح : فتضم بطون : أمية، ونوفل، وزهرة، ومخزوم، وأسد، وتسكن قلب المدينة حول بيت الله الحرام .

وأما قريش الظواهر: فقد كانوا خليطاً من العوام والأحابيش والموالي، ويسكنون ضواحي مكة وشعابها وتلالها .

وكانت قريش البطاح تؤلف أرستوقراطية مكة، وتهيمن على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في أواسط بلاد العرب وغربها . وكانت لهم تجارة واسعة مع البلاد المجاورة ؛كبلاد الشام واليمن ؛ استدعت عقد اتفاقات مع رؤسائها في بلاد الشام واليمن .

وقد اكتسبت قريش بفضل تعظيم العرب للكعبة ؛ فوائد اقتصادية، ونفوذاً روحياً، وسياسياً بين القبائل .واشتهرت بفصاحتها ، فلهجتها هي التي سادت في أغلب أنحاء الجزيرة العربية ونزل القرآن الكريم بلهجتها .وقد تمكن القرشيون من السيطرة على مجرى

التاريخ قروناً عدة [١].

ولم تعرف القبائل العربية في بلاد العرب الرئاسة المطلقة كما عرفتها قريش، وإنما كان في كل قبيلة نفر من " السادة " يعترف أفراد القبيلة لهم بسلطان أدبي، ولم تكن واجبات السيد أو حقوقه محددة .أما في مكة فقد أخذت السيادة معنىً حقيقياً ؛ وذلك بسبب الاستقرار، وانتظام أمور الجماعة، ووجود الكعبة، وضرورة وجود من يتولى شؤونها . ومن هنا كان تنافس القبائل وشيوخها على سدانة الكعبة ؛ حتى انتهت إلى قريش على يد سيدها قصي بن كلاب ثم حفيده عبد المطلب [٢].

***

المبحث السادس

مناصب قريش

كانت المناصب في قبيلة قريش خمسة عشر منصباً، وزعها القرشيون فيما بينهم بالعدل والقسطاس ليرضوا كل بطون قريش، وحتى لا يدب التنافس والتنافر بينها.

أما هذه المناصب فهي :

(١) السِّدانة أو الحجابة : أي الإشراف على الكعبة .

(٢) السِّقاية : أي توفير ماء زمزم للحجاج .

---

(١) معجم أعلام القرآن الكريم : ص ١٧٨ _ ١٧٩ .

(٢) تاريخ التمدن الإسلامي لجويدي : ١ / ٣٦ .

(٣) الرِّفادة : أي توفير الطعام للحجاج .

(٤) الرَّاية : ويحملها أحدهم .

(٥) القيادة : أي إمارة الركب في القتال أو التجارة .

(٦) الإشناف : أي الإشراف على الديات .

(٧) القبة : أي الإشراف على المهمات الحربية .

(٨) الأَعِنَّة : أي تولي شؤون الخيل وقت الحرب .

(٩) النَّدوة : وهي دار الشورى يجتمع فيها كبار رجالات قريش ممن تجاوز عمرهم الأربعين للتشاور في مهام الأمور .

(١٠) المشورة : وصاحبها يستشار في الأمور المهمة .

(١١) الصفارة :وصاحبها حامل صفارة الحرب .

(١٢) الأسيار :وهي الأزلام التي يستخيرونها .

(١٣) الحَكومة : وهي الفصل بين الناس إذا اختلفوا .

(١٤) الأموال المحجرة : وهي أموال كانوا يسمونها لآلهتهم .

(١٥) العمارة : أي منع الكلام بصوت عال عند الكعبة .

تولى هذه المناصب أفذاذ من بطون قريش، أي : أن قريشاً كونت جمهورية تولاها أكفأ أبنائها ، وكانت السقاية والرفادة من أبرز المناصب، أما السقاية فتعني سقاية زمزم، فكان على عبد المطلب توفير الماء للحجاج ومزجه بالعسل أو التمر.

أما الرفادة فهي توفير الطعام للحجاج، وكانت قريش تتعاون في سبيل ذلك .

وقد تولى عبد المطلب السقاية والرفادة باعتباره من بني عبد مناف، بينما تولى أبناء عمومته بنو عبد الدار الحجابة واللواء ودار الندوة .

وكان عبد المطلب زعيمها الروحي باعتباره زعيم قريش ومكة . وكانت هذه الدار هي دار حكومة مكة . وتقع في جنوب غربي الكعبة، بناها قصي سنة ٤٤٠ م . وكان وجوه قريش وفي مقدمتهم عبد المطلب يجتمعون فيها للتباحث فيما يهمهم من شؤون .

وكانت هذه الدار هي التي اجتمع الوثنيون فيها لتدبير مؤامرة قتل الرسول ﷺ ليلة هجرته إلى يثرب .

وأيضاً كانت هذه الدار مكان انطلاق قوافل قريش للتجارة وعندها تنتهي، وكان أخطر اجتماع في عهد عبد المطلب هو اجتماع القرشيين حين قدم أبرهة على رأس جيش الأحباش لغزو مكة وهدم الكعبة [١].

***

(١) تاريخ الكعبة : ص ٤٤ – ٤٥ .

المبحث السابع

تجارة قريش

أصبحت تجارة قريش تعرف طريقها إلى كل مكان في العالم القديم، وازداد ثراء قريش في عصر عبد المطلب زيادة كبيرة، وأدى هذا الثراء إلى انتشار الحضارة في قريش وإلى انتشار الرخاء في مكة [١].

وأشار القرآن الكريم إلى رحلات قريش في سورة " لإيلاف قريش "، وعنونها البخاري في صحيحه بسورة قريش . والمعروف المشهور أن الذي سنَّ الإيلاف هو هاشم، وهو المروي عن ابن عباس، وذكر ابن العربي عن الهروي : أن أصحاب الإيلاف هاشم وإخوته الثلاثة الآخرون عبد شمس، والمطلب، ونوفل .

وأن كل واحد منهم أخذ حبلاً، أي عهداً من أحد الملوك الذين يمرون في تجارتهم على بلادهم، وهم ملك الشام، وملك الحبشة، وملك اليمن، وملك فارس .

فأخذ هاشم هذا من ملك الشام، وهو ملك الروم، وأخذ عبد شمس من نجاشي الحبشة، وأخذ المطلب من ملك اليمن، وأخذ نوفل من كسرى ملك فارس، فكانوا يجعلون جُعْلاً لرؤساء القبائل وسادات العشائر يسمى الإيلاف أيضاً، يعطونهم شيئاً من الربح، ويحملون إليهم متاعاً، ويسوقون إليهم إبلاً مع إبلهم ليكفوهم مؤونة الأسفار، وهم يكفون قريش دفع الأعداء، فاجتمع لهم بذلك أمن الطريق كله إلى اليمن وإلى الشام وكانوا يسمون المُجِيرين .

---

(١) المجتمعات الإسلامية لشكري فيصل : ص ١٨ .

فتيسرت لهم الأسفار في بلاد العرب من جنوبها إلى شمالها، ولاذ بهم أصحاب الحاجات يسافرون معهم، وأصحاب التجارات يحمّلونهم سِلَعهم، وصارت مكة وسطاً تُجلب إليها السلع من جميع البلاد العربية فتوزع إلى طالبيها في بقية البلاد، فاستغنى أهل مكة بالتجارة إذ لم يكونوا أهل زرع ولا ضرع، إذ كانوا بواد غير ذي زرع [(١)].

وكان الاشتغال بالتجارة يحتاج إلى الإلمام بالأحوال السياسية، والتجارية في العالم القديم ولذا اهتم القرشيون بدراسة العلاقات القائمة وقتذاك بين الفرس والروم، والأحباش واليمنيين والمشاكل التي تشوب هذه العلاقات.

وأصبحت تجارة قريش مدرسة أو جامعة؛ عملت على تكوين أفراد ذوي خبرة وتجارب وعلم؛ يصعب على المدارس أو الجامعات العادية تخريجهم فيها.

وكانت التجارة تقتضي الإلمام بجوانب الحساب التجاري، وكل ما يرتبط بالتجارة، من الدراية بالمكاييل، والموازين، والمقاييس العالمية، وما يتعلق بالنقد الأجنبي، والعملات الدولية، والعقود، والصكوك، وغير ذلك من الأساليب التجارية، ومستلزماتها الضرورية.

كما أصبحت جدة التي كانت تبعد عن مكة بنحو أربعين ميلاً ميناء قريش، وامتلك القرشيون عدداً كبيراً من السفن، كانوا

(١) تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ٣٠ / ٥٥٩–٥٦٠.

يعبرون بها البحر الأحمر إلى الحبشة برغم خطورة الملاحة في هذا البحر وقتذاك ؛ حيث كانت السفن لا تزال بدائية الصناعة .

وأصبح القرشيون وسطاء تجاريين بين إقليم البحر المتوسط المعروف بغَلّاته المتميزة المتوافرة في الشام، وفلسطين، وآسيا الصغرى، وبين ذلك الإقليم الموسمي في جنوب الجزيرة العربية، التي تشتهر بغَلّات كان العالم القديم يحتاج إليها، مثل البخور والتوابل (١).

***

المبحث الثامن

حضـارة قريـش

بلغت حضارة قريش في عهد عبد المطلب شأواً بعيداً في الحضارة لم تبلغه في أي عهد من عهودها قبل الإسلام . وإن كان قصي بن كلاب قد وضع بذور هذه الحضارة، فقد جنى حفيده عبد المطلب الثمار . ولذا لا عجب أن ارتفع شأنه، وعظم أمره . وبسبب قداسة مكة ؛ لكونها مركزاً للحياة التجارية، أَثْرَت وأثرى أهلها، وادخروا الأموال والمعادن النفيسة، وعرفوا ألواناً من الترف وتقلبوا في ألوان النعمة والرفاهية.

وروى الواقدي: أن العرب استخرجوا الذهب من مناجم سليم، وجلبوه إلى مكة، حيث صنعوا منه أنواعاً عديدة من الحلي، وادخروه سبائك ذهبية . وظهر من بين أهل مكة رجال حازوا ثروات

---

(١) تاريخ الكعبة : ص ٥٠ – ٥١ .

كبيرة ؛ نتيجة اشتغالهم بالتجارة .وكانت المنازل في مكة تقدر بالذهب، وتراوح ثمن الدار ما بين مائتين وخمسمائة دينار .وامتلك المكيون الجياد الكريمة، وتفاخروا بعددها ونسبها . واشتهر المكيون بالكرم، والشهامة، والمروءة، وإكرام الضيوف، وبدا هذا الكرم واضحاً زمن الحج، فقد حرصوا على توفير وسائل الراحة للحجاج .

وكانت مكة مركز الحياة الدينية في الجزيرة العربية، فكان يقدم إليها العرب من كل مكان زمن الحج والمواسم العربية، فيتناقلون الآداب الاجتماعية بعضهم من بعض، ويتناشدون الأشعار، ويتحدثون بشرف أصلهم وكرم مجدهم، فتغرس كل هذه المصادر الاجتماعية والأدبية في نفوس أطفالهم المواهب النادرة، والقرائح الوقَّادة، والخصال الكريمة، وتَدْفع بهم إلى جليل الأعمال وأسمَى الغايات [(١)] .

واستفاد القرشيون من رحلاتهم إلى الدولتين : الرومانية والفارسية، بالاطلاع على معالم هاتين الدولتين، ونقلوا إلى العربية كثيراً من المصطلحات والكلمات الرومانية والفارسية . وأدَّى اطلاعهم على النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية إلى نمو ثقافتهم، وزيادة معلوماتهم، ورقي أفكارهم . مما أتاح الفرصة لظهور شخصيات فريدة ؛ استطاعت أن تتولى أمور الدولة الإسلامية التي بزغت بظهور الإسلام .

---

(١) تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن : ١ / ٦٦ .

لم يكن معظم العرب يهتمون بتعليم أطفالهم القراءة والكتابة، فلم يكن التعليم منتشراً في الجزيرة العربية في ذلك الحين؛ لانشغالهم بالبحث عن موارد الرزق عن التعليم، فقد كانت طبيعة بلاد العرب قاسية لا تجود بالخير العميم . ولكن الله عز وجل عوضهم عن ذلك بذاكرة قوية، وسعة أفق، وصبر وقوة احتمال، وخيال فياض .

ولكن قبيلة قريش كانت أكثر هذه القبائل اهتماماً بالتعليم، نتيجة الحضارة التي وصلت إليها، ونمو ثرائها، واحتكاكها بالدول الكبرى المتحضرة، إلى جانب حاجة القرشيين إلى التعليم ليقوموا بواجبهم التجاري .

ومَهَرَت قريش في عدة علوم :كعلم الأنواء، فعلموا مواعيد نزول الأمطار، وهبوب العواصف والرياح، كما أجادوا علم الأثر، وتتبعوا آثار الأقدام في الصحراء، وكانت تدلهم أحياناً على مسالك الصحراء ودروبها . كما برعوا في علم الأنساب، وقد كانت قريش تدرك منزلتها بين القبائل العربية، لذا حَفِظوا أنسابهم واهتموا بتسلسلها، وبرز من القرشيين نسَّابون ذاع صِيتهم بين العرب كأبي بكر الصديق رضي الله عنه .

ولم يكن حب أبناء الأشراف وأهل الشرف في مكة للفروسية بأقل من حبهم للتجارة التي كانوا يمارسونها منذ نعومة أظفارهم، بالإضافة إلى ازدياد عددهم على الأيام، لجودة غذائهم بالنسبة لغيرهم من القبائل، وعدم تعرضهم للمنازعات والحروب التي أنهكت قوى العرب في جاهليتهم [١].

(١) تاريخ الكعبة ـ بتصرف ـ ص : ٥٢ ـ ٥٥ .

المبحث التاسع

إمامـــة قريـــش

أخـرج البخـاري في صـحيحه عـن أبـي هريـرة أن الـنبي ﷺ قـال : " النـاس تبـع لقـريش في هـذا الـشأن، مـسلمهم تبـع لمـسلمهم، وكـافرهم تبـع لكـافرهم، والنـاس معـادن، خيـارهم في الجاهليـة خيـارهم في الإسـلام إذا فقهـوا، تجـدون مـن خـير النـاس أشـد النـاس كراهيـة لهـذا الـشأن حتـى يقـع فيـه "[1] . قـال ابـن حجـر في الفـتح : إن مقـصود الرسـول ﷺ بقولـه : " النـاس تبـع لقـريش " إمـا بمعنـى الأمـر . ويـدل عليـه قولـه ﷺ في رواية أخرى : " قدموا قريشاً ولا تَقَدَّموها "[2]

وقيـل : هـو خـبر علـى ظـاهره . وقولـه : " كـافرهم تبـع لكـافرهم " وقـع مـصداق ذلـك ؛ لأن العـرب كانـت تعظـم قريـشاً في الجاهليـة بـسكناها الحـرم، فلمـا بُعـث الـنبي ﷺ ودعـا إلى الله وقـف غالـب العـرب عـن اتباعـه، وقـالوا ننظـر مايـصنع قومـه، فلمـا فـتح الـنبي ﷺ مكـة، وأسـلمت قـريش تبعـتهم العـرب، ودخلـوا في ديـن الله أفواجـاً، واسـتمرت خلافـة النبـوة في قـريش، فـصدق أن كـافرهم تبعـاً لكـافرهم وصـار مسلمهم تبعاً لمسلمهم"[3] .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى : " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى "، ٦ /٥٢٥، حديث ٣٤٩٦ . وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، ٣ / ١٤٥١، حديث ١٨١٨ .

(٢) شعب الإيمان للبيهقي(٢/٢٢٨)– حديث ١٦٠٢ و السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني (٥٠٨/٢)– حديث ٢٠٦، مرسلا.

(٣) فتح الباري : ٦ / ٥٢٦ .

وجاء عند مسلم عن جابر بن عبد الله قال النبي ﷺ : " الناس تبع لقريش في الخير والشر "[١] .

ومعناه هنا كما ذكر النووي :" في الخير والشر"، أي : في الإسلام والجاهلية، لأنهم كانوا في الجاهلية رؤساء العرب وأصحاب حرم الله، وأهل حج بيت الله، وكانت العرب تنتظر إسلامهم، فلما أسلموا وفتحت مكة تبعهم الناس، وجاءت وفود العرب من كل جهة، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وكذلك هم في الإسلام أصحاب الخلافة، والناس تبع لهم .

وهذا دليل ظاهر على أن الخلافة مختصة بقريش لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة فكذلك بعدهم، ومن خالف فيه من أهل البدع، أو عرَّض بخلاف من غيرهم فهو محجوج بإجماع الصحابة والتابعين فمن بعدهم بالأحاديث الصحيحة .

قال القاضي[٢] : (اشتراط كونه قرشياً هو مذهب العلماء كافة)، قال:(وقد احتج به أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على الأنصار يوم السقيفة فلم ينكره أحد). قال القاضي:(وقد عدها العلماء في مسائل الإجماع، ولم ينقل عن أحد من السلف فيها قول ولا فعل يخالف ما ذكرنا وكذلك من بعدهم في جميع الأعصار). قال: (ولا اعتداد بقول النَّظَّام[٣] ومن وافقه من الخوارج وأهل البدع أنه

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، ٣ / ١٤٥١ حديث ١٨١٨ .

(٢) المقصود به القاضي عياض اليحصبي المالكي .

(٣) النظَّام : هو إبراهيم بن سيَّار المعتزلي المتوفى سنة ٢٣١ هجرية .

يجوز كونه من غير قريش، ولا بسخافة ضرار بن عمرو[١] في قوله :

إن غيرالقرشي من النبط وغيرهم يُقدَّم على القرشي لهوان خلعه إن عرض منه أمر. وهذا الذي قاله من باطل القول وزخرفه مع ماهو عليه من مخالفة إجماع المسلمين)[٢].

ولقد أطلق الرسول ﷺ على الرؤساء الأربعة الذين تولوا شؤون المسلمين، بعد الرسول ﷺ اسم الخلفاء الراشدين لأنهم كانوا متصفين بالصفات التي يجب أن يتصف بها ولي أمر المسلمين، فقد أخرج الترمذي في جامعه عن العرباض بن سارية قال : " وعظنا رسول الله ﷺ يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل : إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإنْ عَبْدٌ حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً . وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ "[٣].

والخلفاء الأربعة من أسر قرشية مختلفة، ومتفاوتة في القدر والمكانة .

---

(١) ضرار بن عمرو : من رؤس المعتزلة، وشيخ الضرارية . قال ابن حنبل : أنكر الجنة والنار، وقال : اختلف فيهما : هل خلقتا بعد أم لا ؟ فوثب عليه أصحاب الحديث، وضربوه .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم : ١٢ / ٢٠٠ .

(٣) الجامع الصحيح للترمذي ، كتاب العلم عن رسول الله، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، ٥ / ٤٤، حديث ٢٦٧٦، وقال : (حديث حسن صحيح) .

فأولهم: أبو بكر من بني تيم، وثانيهم :عمر من بني عدي، وثالثهم: عثمان من بني أمية، ورابعهم: علي من بني هاشم رضوان الله عليهم . وكان كل منهم رئيساً للدولة طيلة حياته . ومدة حكمهم جميعاً ثلاثون سنة .

وأخرج الترمذي في جامعه عن سعيد بن جمهان قال : حدثني سفينة قال : قال : رسول الله ﷺ : " الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم مُلْك بعد ذلك".

ثم قال لي سفينة : (أَمْسِك خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان، ثم قال لي: أمسك خلافة علي قال : فوجدناها ثلاثين سنة . قال سعيد : فقلت له : إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم قال: كذبوا بنوا الزرقاء، بل هم ملوك من شر الملوك) [١].

فكان من ذلك أن قامت تحت رايتهم دولة عظمى مثالية، لم يكد يسبق لها مثيل ولم يكد يقوم بعدها مثيل، من حيث أخلاق رؤسائها، وصفاتهم، والتزامهم، حدود القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ونهوضهم بعبء المهمة الكبرى بقوة وإخلاص، وبصيرة، وإحاطة، وحصافة، وحسن سياسة، ونشرهم الدين الإسلامي في منطقة شاسعة من الأقطار المجاورة لجزيرة العرب، وسيادة الأمن والنظام والحق والعدل والمساواة والحرية، والبر والرأفة والتعاون والتضامن، وكفالة المحتاجين والمعوزين، ومحاربة كل من أظهر

(١) الجامع الصحيح للترمذي ، كتاب الفتن، باب ما جاء في الخلافة، ٤ /٥٠٣، حديث ٢٢٢٦، قال أبو عيسى : "وهذا حديث حسن قد رواه غير واحد عن سعيد بن جمهان، ولا نعرفه إلا من حديث سعيد بن جمهان" . وأخرجه أبو داود ، كتاب السنة، باب في الخلفاء، ٣ / ٢١٦، حديث ٤٦٤٦ .

العداء للإسلام والمسلمين، والضرب على أيدي المتمردين والدساسين والبغاة، وإقامة حدود الله على المستحقين لها، والوفاء بالعهود والمواثيق، ومعاملة الذين احتفظوا بدينهم من أهل البلاد المفتوحة بالرعاية والحماية والعدل، ومنحهم الحرية التامة في جميع شؤونهم .

وكانوا شديدي التحري في أمور وأحوال وأخلاق عمالهم وقوادهم حين تعيينهم، وفي أثناء عملهم حتى لا يخرجوا عما اتصفوا به من أخلاق، والتزموه من حدود .وسياسة داخلية وخارجية قائمة على تعاليم القرآن، وسنة النبي ﷺ، وصالح المسلمين، والدولة [١].

وكانت السياسة الحكيمة التي اتبعها زعماء قريش عاملاً مهماً على ارتفاع شأن قريش في مكة، ثم في بلاد الحجاز جميعها، ثم في الجزيرة العربية، بل في سائر أرجاء العالم القديم . فقد كانت المعاهدات التي عقدها بنو هاشم مع الدول المعاصرة لهم بمثابة اعتراف بقريش كدولة، وهي وإن كانت تختلف عن غيرها من الدول إلا أنها الصورة التي تناسب ظروف مكة وبلاد الحجاز .

وأدى إخفاق غزو الأحباش لمكة في عهد عبد المطلب إلى ارتفاع ذكر قريش في أرجاء الجزيرة العربية فقد أدرك العرب أن العناية الإلهية ترعى قريشاً وتصد عنها أعداءها.

***

(١) تاريخ الجنس العربي لمحمد عزة دروزة :٧/ ٦ – ٧ .

المبحث العاشر

طبائع قريش

عَدّد الجاحظ ما تميزت به قريش على سائر القبائل العربية فتحدث عن كرمها، وسخائها، وتفوقها العقلي، ونضوج أفكارها، وحسن تدبيرها، وسماحة أخلاقها [١]: مما أهلها لآن يبتعث الله منها النبي ﷺ سيد الأنبياء، وخاتم الرسل، وناسخ كل شرعة، وحائز كل فضيلة، فنشر عددها، وجمع كلمتها، ومكّن لها في البلاد، وأوطأها رقاب الأمم، وجعل فيها خلافة النبوة، ثم الإمامة خالدة تالدة حتى يأتي المسيح ﷺ، فيصلي خلف الإمام منها .

وكانت قريش قليلاً فكثّرهم الله سبحانه، ومستضعفين فأيدهم بنصره. وخائفين أن تتخطفهم الملوك فآمنهم بحرمه بما رهصه لهم، وأراد من تمكينهم، وتغيير ممالك الأمم لهم . وقد قضى الله لها بالفضل على جميع الخليقة إذ جعل الأئمة منها، والإمامة فيها، مقصورة عليها أن لاتكون لغيرها، والإمامة هي التقدم، وهذا نص ليس فيه حيلة لمتأول .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : " الأئمة من قريشن إن لهم عليكم حقاً ولكم عليهم حقاً مثل ذلك، ما إن استرحموا، فرحموا وإن عاهدوا وفوا، وإن حكموا عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين "[٢] .

---

(١) فضل العرب والتنبيه على علومها، لابن قتيبة الدينوري : ص ٨٣ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل : ٣ / ٢٩، وقال محقق المسند الشيخ شعيب : (حديث صحيح بطرقه وشواهده).

وجاء العباس إلى رسول الله ﷺ فكأنه سمع شيئاً، فقام النبي ﷺ على المنبر فقال: " من أنا؟ فقالوا: أنت رسول الله عليك السلام قال: " أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم فرقتين، فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، وخيرهم نسباً"(١)

وجاء في عدة أحاديث ما يشير إلى أهلية قريش لتسنم هذه القيادة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " الناس تبع لقريش مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم، والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا تجدون من خير الناس أشد الناس كراهية لهذا الأمر حتى يقع فيه "(٢).

وعن معاوية بن أبي سفيان أنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين "(٣). وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: " لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان "(٤).

---

(١) الجامع الصحيح للترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله، باب ٩٧، ٥ / ٥٤٣ ـ ٥٤٤، وقال أبو عيسى: (هذا حديث حسن).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب قريش، ٦ / ٥٣٢، حديث ٣٥٠٠. وأخرجه أحمد في مسنده: ٤ / ٩٤.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب قريش، ٦ / ٥٣٢، حديث ٣٥٠١. وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، ٣ / ١٤٥٢ حديث ١٨٢٠.

وعن جابر بن سمرة قال : دخلت مع أبي على النبي ﷺ : فسمعته يقول : " إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة " قال: ثم تكلم بكلام خفي عليَّ قال : فقلت لأبي ما قال : قال: " كلهم من قريش "[١]

ومن أهم الصفات التي أهلت قريش لقيادة الأمة الإسلامية :

١ – العدل :

ويتجلى العدل في أبهى صوره زمن الخلافة الراشدة، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه يقول في أول خطبة خطبها بعد توليه الخلافة :" أما بعد ، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوِّموني، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أُرجع عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله .. "[٢] . وقد طبق الصديق رضي الله عنه مقولته على نفسه، ذكر ابن حجر في الفتح : (وقال البخاري : "وأقاد أبو بكر " أما أثر أبي بكر وهو الصديق فوصله ابن أبي شيبة من طريق يحيى بن الحصين سمعت طارق بن شهاب يقول : " لطم أبو بكر يوماً رجلاً لطمة ، فقيل مارأينا كاليوم هنعة ولطمة ، فقال أبو بكر: "إن هذا أتاني ليستحملني فحملته فإذا هو يتبعهم، فحلفت أن لا أحمله ثلاث مرات" ، ثم قال له : اقتص، فعفا الرجل")[٣] .

---

(١) صحيح البخاري – حديث ٦٧٩٦، و صحيح مسلم – حديث ١٨٢ .

(٢) البداية والنهاية : ٦ /٦٩٢ _ ٦٩٣، وقال ابن كثير:" هذا إسناد صحيح".

(٣) فتح الباري : ١٢ / ٢٣٨ .

٢- الشجاعة :

من المعلوم أن الشجاعة من أحمد الأوصاف التي اتصف بها خلفاء الرسول ﷺ، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن قيس قال: قال عبد الله – يعني ابن مسعود رضي الله عنه-: " مازلنا أعزة منذ أسلم عمر "(١)، قال ابن حجر في الفتح : (روى ابن أبي شيبة والطبراني من طريق القاسم بن عبد الرحمن قال : قال عبد الله بن مسعود : " كان إسلام عمر عزاً، وهجرته نصراً، وإمارته رحمة . والله ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر "(٢) . وروى أبو جعفر بن أبي شيبة نحوه في تاريخه(٣) من حديث ابن عباس، وفي آخره : " فقلت : يا رسول الله ففيم الاختفاء ؟ فخرجنا صفين : أنا في أحدهما، وحمزة في الآخر، فنظرت قريش إلينا فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها ".

وأخرجه البزار من طريق أسلم مولى عمر عن عمر مطولاً(٤).

وروى ابن أبي خيثمة(٥) من حديث عمر نفسه قال : " لقد رأيتني وما أسلم مع رسول الله ﷺ إلا تسعة وثلاثون رجلاً فكملتهم أربعين، فأظهر الله دينه وأعز الإسلام.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب، ٧/ ٥١، حديث ٣٦٨٤ . وهذا الحديث مما انفرد به البخاري عن الكتب التسعة .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة : ١٢ / ٢٧ ، و المعجم الكبير للطبراني ٩/١٦٢-حديث ٨٨٠٦، وأورده الهيثمي في الزوائد : ٩ / ٦٣ و قال :"و رجاله رجال الصحيح".

(٣) وهو مخطوط

(٤) مسند البزار : ١ / ٤٠٠ .

(٥) تاريخ ابن أبي خيثمة مخطوط .

وروى ابن سعد في الطبقات [١] من حديث صهيب قال: " لما أسلم عمر قال المشركون : انتصف القوم منا " [٢] .

وبلغ من شجاعة الفاروق ما أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر قال : " بينما هو في الدار خائفاً إذ جاءه العاص بن وائل السهمي أبو عمرو، عليه حُلَّة حَبِرة وقميص مكفوف بحرير -وهو من بني سهم، وهم حلفاؤنا في الجاهلية -فقال: ما بالك ؟ قال : زعم قومك أنهم سيقتلونني إن أسلمت . قال : لاسبيل إليك . بعد أن قالها أمنت . فخرج العاص فلقي الناس قد سال بهم الوادي، فقال : أين تريدون ؟ فقالوا : نريد هذا ابن الخطاب الذي صبأ . قال: لاسبيل إليه، فكرَّ الناس" [٣] .

٣ -السخاء :

السخاء عمود البر الذي هو سبب الألفة بين الناس، ولذلك حث الله عليه، وندب الرسول ﷺ المسلمين إليه، وأشرف أنواع السخاء ما كان جِبلّة من غير سؤال الناس، وقد كان لصحابة الرسول من خيرة رجال قريش فيه القدح المُعلّى .

فهذا أبوبكر الصديق يشهد له الرسول ﷺ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من أنفق زوجاً -أو زوجين - من ماله - أراه قال : في سبيل الله -، دعته خزنة الجنة : يا مسلم،

---

(١) الطبقات : ٣ / ٢٦٩ . وهو هنا بمعناه .

(٢) الفتح : ٧ / ٥١ .

(٣) صحيح البخاري - حديث ٣٨٦٤

هذا خير هلُمَّ إليه "، فقال أبو بكر : "هذا رجل لاتوى [١] عليه". فقال رسول الله ﷺ : " ما نفعني مال قط إلا مال أبي بكر " قال : فبكى أبو بكر، وقال : وهل نفعني الله إلا بك، وهل نفعني الله إلا بك "[٢].

وهذا عمر الفاروق يتصدق بأنفس ماله كما أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : "أصاب عمر بخيبر أرضاً فأتى النبي ﷺ فقال : أصبت أرضاً لم أصب مالاً قط أنفس منه، فكيف تأمرني به قال : " إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها " فتصدق عمر أنه لا يباع أصلها، ولا يوهب، ولا يورث، في الفقراء، والقربى، والرقاب، وفي سبيل الله، والضيف، وابن السبيل لاجناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقاً غير مُتَمَوِّل فيه" [٣].

وهذا عثمان بن عفان يقدم أمواله في سبيل الله كما جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده عن ثمامة بن حزن القشيري قال : (شهدت الدار يوم أصيب عثمان، فاطلع عليه اطِّلاعة، فقال : ادعوا لي صاحبيكم اللذين ألباكم عليَّ . فدعيا له، فقال : نشدتكما الله، أتعلمان أن رسول الله لما قدم المدينة ضاق المسجد بأهله، فقال: " من يشتري هذه البقعة من خالص ماله، فيكون فيها

---

(١) قوله : لاتَوَى عليه، قال ابن منظور : " أي : لا ضياع ولا خسارة " لسان العرب (١٤/١٠٦) .

(٢) مسند أحمد بن حنبل : ٢ / ٣٦٦، وقال محقق المسند الشيخ شعيب : " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٣) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب الوقف كيف يكتب، ٥ / ٣٩٩، حديث ٢٧٧٢ .

كالمسلمين، وله خير منها في الجنة " فاشتريتها من خالص مالي، فجعلتها بين المسلمين، وأنتم تمنعوني أن أصلي فيه ركعتين . ثم قال : أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة لم يكن فيها بئر يستعذب منه إلا رومة، فقال رسول الله ﷺ : " من يشتريها من خالص ماله، فيكون دلوه فيها كدليِّ المسلمين، وله خير منها في الجنة " فاشتريتها من خالص مالي، فأنتم تمنعوني أن أشرب منها . ثم قال : هل تعلمون أني صاحب جيش العسرة ؟ قالوا : اللهم نعم [(١)] .

٤ – الصدق :

قال الرسول ﷺ : " إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صدِّيقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً " [(٢)] .

عندما أرسل الرسول ﷺ دحية الكلبي إلى قيصر الروم ليدعوه إلى الإسلام، كان في الشام يومئذ أبو سفيان بن حرب مع رجال من قريش قدموا تجاراً في المدة التي كانت بين الرسول ﷺ وبين كفار قريش بعد صلح الحديبية . يقول ابن عباس رضي الله عنهما : " .. قال

---

(١) مسند أحمد بن حنبل : ١ / ٧٥، قال محقق المسند الشيخ شعيب :"إسناده حسن، هلال بن حق روى عنه جمع، وحديثه عند النسائي في " عمل اليوم والليلة " وذكره ابن حبان في "الثقات "، وباقي رجاله رجال الشيخين غير ثمامة بن حزن، فمن رجال مسلم" . وأخرجه الترمذي في جامعه، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان، ٥ / ٦٢٧ _ ٦٢٨، حديث ٣٧٠٣، وقال أبو عيسى : "هذا حديث حسن" .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)، ١٠ / ٥٠٧، حديث ٦٠٩٤ .

أبو سفيان فوجدنا رسول قيصر ببعض الشام فانطلق بي وبأصحابي حتى قدمنا إيلياء، فأدخلنا عليه فإذا هو جالس في مجلس ملكه، وعليه التاج، وحوله عظماء الروم، فقال لترجمانه : سلهم أيهم أقرب نسباً إلى هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، قال أبوسفيان: فقلت : أنا أقربهم إليه نسباً، قال :ما قرابة مابينك وبينه ؟ فقلت : هو ابن عمي، وليس في الركب يومئذ أحد من بني عبد مناف غيري، فقال قيصر :أدنوه، وأمر بأصحابي فجعلوا خلف ظهري عند كتفي، ثم قال لترجمانه : قل لأصحابه إني سائل هذا الرجل عن الذي يزعم أنه نبي، فإن كذب فكذبوه، قال أبوسفيان: والله لولا الحياء يومئذ من أن يأثر عني أصحابي الكذب لكذبته حين سألني عنه، ولكني استحييت أن يأثروا الكذب عني فصدقته، ثم قال لترجمانه : قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب . قال: فهل قال هذا القول أحد منكم قبله ؟ قلت : لا . فقال : كنتم تتهمونه على الكذب قبل أن يقول ماقال ؟ قلت : لا . قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟ قلت : لا . قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ قلت : بل ضعفاؤهم . قال : فيزيدون أو ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ، ونحن الآن منه في مدة، ونحن نخاف أن يغدر . قال أبو سفيان : ولم يمكني كلمة أدخل فيها شيئاً أنتقصه به لا أخاف أن تؤثر عني غيرها . قال : فهل قاتلتموه أو قاتلكم ؟ . قلت : نعم .قال: فكيف كانت حربه وحربكم ؟ قلت : كانت دولاً وسجالاً يدال علينا المرة وندال عليه الأخرى . قال : فماذا يأمركم به ؟ قال : يأمرنا

أن نعبد الله وحده لانشرك به شيئاً، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة "[(١)].

ونستفيد من هذا الحديث أن الكذب كان يتحاشاه الناس في مكة ويخافون أن يعيروا به قبل الإسلام، فهذا أبو سفيان لا يجرؤ على الكذب وهو مشرك، فكيف بمن أسلم منهم، ولذلك لا نعجب أن يكون منهم أبو بكر الصدِّيق كما وصفه بذلك رسول الله ﷺ في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال ﷺ : " اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان "[(٢)].

٥ – الصبر :

أخرج الطبراني في الكبير أن النبي ﷺ قال : " إن قريشاً أهل صبر وأمانة، فمن بغى لهم العواثر أكبه الله لوجهه يوم القيامة "[(٣)].

ويتنوع الصبر بتنوع الحدث، فهناك الصبر عند المصائب ؛كالصبر عند الصدمة الأولى، وهناك الصبر عند القتال، وهناك الصبر على الأذى، وهناك الصبر عن محارم الله، وهناك الصبر على طلب العلم، وهناك الصبر على الأمراض و المصائب و الأقدار، ومن هذه الأنواع الصبر على موت الزوج، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي الناس إلى الإسلام والنبوة، ٦ / ١٠٩، حديث ٢٩٤١ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول النبي لو كنت متخذاً خليلاً، ٧ / ١٧حديث ٣٦٧٥ .

(٣) المعجم الكبير للطبراني : ٥ / ٤٥ ، جديث ٤٥٤٤ وصححه الحاكم في المستدرك (٨٢/٤)، و العواثر هي المكايد ، كما في تهذيب اللغة للأزهري (١٩٥/٢)

أم سلمة أنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول :" مامن مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله : إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها ".

قالت : فلما مات أبو سلمة قلت : أي المسلمين خير من أبي سلمة ؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ . ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ . قالت : أرسل إليَّ رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له "[١] .

ولقد صبر المهاجرون الأولون على أذى قريش، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : "أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد رضي الله عنهم، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه، وأما أبو بكر منعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد أتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحد أحد"[٢] .

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب مايقال عند المصيبة، ٢ / ٦٣١ _ ٦٣٢، حديث ٩١٨ .

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم : كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر بلال بن رباح، ٣ / ٢٨٤، حديث ٥٢٣٨، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي : صحيح .

٦ – نبل الرأي :

النبل : الفضل والكِبَر، ثم يستعار منه الحذق في العمل، فيقال للفضل في الإنسان : نُبْل، والنَّابل : الحاذق بالأمر ؛ وفلان أنبل الناس بالإبل، أي :أعلمهم بما يصلحها، فعن جبير بن مطعم أن رسول ﷺ قال : " إن للقرشي مِثْلَي قوة الرجل من غير قريش " فقيل للزهري : ما يعني بذلك ؟ قال : نبل الرأي[١] .وهذه أم سلمة القرشية المخزومية أم المؤمنين تشير على الرسول ﷺ يوم الحديبية بالحلق والنحر بعدما أهمَّ الناس من الصلح حتى كادوا يهلكون، فمن حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم : قال : فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه :" قوموا فانحروا ثم احلقوا "، قال : فوالله ماقام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة : يانبي الله أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لاتكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك : نحر بدنه ودعا حالقه، فلما رأوا ذلك قاموا، فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً "[٢] .

---

(١) مسند أحمد بن حنبل : ٤ / ٨٣، قال محقق المسند الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط البخاري.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، ٥ / ٣٢٩، حديث ٢٧٣٤ . وسنن النسائي، كتاب مناسك الحج، باب إشعار الهدي، ٥ / ١٦٩، حديث ٢٧٧١، و غما:أي بسبب الضيق.

٧ – حنان القرشيات على أولادهن ورعايتهن لأزواجهن :

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : " خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده " [١] . قال ابن حجر شارح الحديث: المراد بالصلاح هنا صلاح الدين، وحسن المخالطة مع الزوج .

وقوله : " أحناه " : أكثره شفقة، والحانية على ولدها هي التي تقوم عليهم في حال يتمهم فلا تتزوج، فإن تزوجت فليست بحانية .

قوله : " على ولده " في رواية الكشميهني " على ولد " بلا ضمير وهو أوجه، ووقع في رواية لمسلم " على يتيم " وفي أخرى "على طفل " والتقييد باليتم والصغر يحتمل أن يكون معتبراً من ذكر بعض أفراد العموم، لأن صفة الحنو على الولد ثابتة لها، لكن ذكرت الحالتان لكونهما أظهر في ذلك .قوله : " وأرعاه على زوج " أي أحفظ وأصون لماله بالأمانة فيه، والصيانة له،وترك التبذير في الإنفاق [٢].

٨ – تدين قريش :

كانت قريش ومن ولدته قريش وكنانة وجديلة قيس يسمون حُمْساً، لأنهم تحمسوا في دينهم وتشددوا . وأخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كانت قريش ومن دان دينها يقفون

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب إلى من ينكح، وأي النساء خير، وما يستحب أن يتخير ٩ / ١٢٤ ، حديث ٥٠٨٢ . صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل نساء قريش، ٤ / ١٩٥٨، حديث ٢٥٢٧ .

(٢) فتح الباري : ٩ / ١٢٤ _ ١٢٥ .

بالمزدلفة وكانوا يسمون الحُمْس، وكان سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس " ﴾[١] .

وأخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت : "كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان النبي ﷺ يصومه، فلما قدم المدينة صامه، وأمر بصيامه، فلما نزل رمضان كان رمضان الفريضة، وترك عاشوراء، فكان من شاء صامه، ومن شاء لم يصمه "[٢] .

ومن الأحكام التي كانت تتدين بها قريش في الجاهلية وأقرها الإسلام : دية النفس مائة من الإبل، واتباع حكم المبال في الخنثى، ومنها البينونة بطلاق الثلاثة، وللزوج على المرأة في الواحدة والاثنتين[٣] .

٩ – عفة المهاجرين :

العفة : هي تكلف العفاف، والنزاهة عما لا يليق . وقد مدح القرآن الكريم فقراء المهاجرين فقال تعالى : " للفقراء الذين أحصروا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس، ٨ / ٨٦، حديث ٤٥٢٠ . وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب في الوقوف، ٢ / ٨٩٣ ، حديث ١٢١٩ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم، ٨ / ١٧٧، حديث ٤٥٠٤ . وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء، ٢ / ٧٩٢، حديث ١١٢٥ .

(٣) فضل العرب والتنبيه على علومها، لابن قتيبة الدينوري : ص ٨٩ .

في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً "[١] . هذه الآية نزلت في أهل الصفة وهم فقراء المهاجرين الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم بمكة، وجاءوا دار الهجرة لا يستطيعون زراعة ولا تجارة، فمعنى "أُحصروا في سبيل الله" : عيقوا عن أعمالهم لأجل سبيل الله، وهو الهجرة، والظاهر من قوله تعالى : " لا يستطيعون ضرباً في الأرض " أنهم عاجزون عن التجارة لقلة ذات اليد، والضرب في الأرض: كناية عن التجر، لأن شأن التاجر أن يبتاع ويبيع، فهو يضرب الأرض برجليه أو دابته [٢].

***

خلاصة البحث

يقول النبي ﷺ فيما قرره من حقائق عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : " تجدون الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهية، وتجدون شر الناس ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه "[٣].

وقد علق شيخ الإسلام ابن تيمية على هذا الحديث بقوله : (فالأرض إذا كان فيها معدن ذهب ومعدن فضة كان معدن الذهب

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٧٣ .

(٢) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٢/٥٤٠).

(٣) متفق عليه، تقدم تخريجه،.

خيراً ؛ لأنه مَظِنة وجود أفضل الأمرين . فإن قدر أنه تعطل ولم يخرج ذهباً ، كان ما يخرج الفضة أفضل منه . فالعرب في الأجناس، وقريش فيها ، ثم هاشم في قريش ، مَظِنة أن يكون فيهم الخير أعظم مما يوجد في غيرهم .

ولهذا كان في بني هاشم النبي ﷺ الذي لا يماثله أحد في قريش، فضلاً عن وجوده في سائر العرب وغير العرب . وكان في قريش الخلفاء الراشدون وسائر العشرة وغيرهم ممن لا يوجد له نظير في سائر الأجناس .فلا بد أن يوجد في الجنس الأفضل مالا يوجد مثله في المفضول : وقد يوجد في المفضول ما يكون أفضل من كثير مما يوجد في الفاضل . كما أن الأنبياء الذين ليسوا من العرب أفضل من العرب الذين ليسوا بأنبياء .

والمؤمنون المتقون من غير قريش أفضل من القرشيين الذين ليسوا مثلهم في الإيمان والتقوى من بني هاشم . فهذا هو الأصل المعتبر في هذا الباب، دون من ألغى فضيلة الأنساب مطلقاً ، ودون من ظن أن الله تعالى يفضل الإنسان بنسبه على من هو أعظم إيماناً وتقوى منه ، فكلا القولين خطأ ، وهما متقابلان، بل الفضيلة بالنسب فضيلة جملة ، وفضيلة لأجل المظنة والسبب، والفضيلة بالإيمان والتقوى فضيلة تعيين وتحقيق وغاية ، فالأول يفضل به لأنه سبب وعلامة ، ولأن الجملة منه أفضل من جملة تساويها في العدد ، والثاني يفضل به لأنه الحقيقة والغاية ، ولأن من كان أتقى لله كان أكرم عند الله، والثواب من الله يقع على هذا ؛ لأن الحقيقة قد وجدت، فلم يعلق

الحكم بالمظنة، ولأن الله تعالى يعلم الأشياء على ما هي عليه) [١] .

إن البيئة التي وجد فيها الرسول ﷺ، وهي قريش سكان شعاب مكة وبطاحها، قد تفاوت رجالها ونساؤها في سرعة الاستجابة لدعوة الإسلام. فهذا عمر بن الخطاب كان من مشركي قريش يوم كان أبو بكر أول رجل من قريش استجاب لهذه الدعوة، وأخذ يحببها بحكمته ورجاحة عقله ودماثة خلقه إلى طائفة من أعز شباب قريش في بطحاء مكة، من أمثال عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبد الله، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم من مسلمي الرعيل الأول. فهل أزرى بعمر أن تأخر إسلامه عن إسلام هؤلاء، وعن إسلام أخته وصهره ؟ .

وهذا خالد بن الوليد كان في وقعة أحد قائد خيل المشركين، وكان المفروض فيه لما عاد من غزوة أحد إلى مكة أن يكون ثملاً بخمرة ما اتفق له من نصر، فيكون ذلك أبعد له عن الاستجابة لنداء الحق. لكننا رأيناه في أوائل السنة الثامنة للهجرة يزهد في عظيم الجاه الذي كان لأبيه وبيته في أم القرى، ويخرج متوجهاً إلى المدينة ليلتحق بدعوة الحق، فيلتقي في الطريق بين مكة والمدينة بعمرو بن العاص السهمي، وعثمان بن طلحة أحد بني عبد الدار سدنة الكعبة. قال عمرو: (فقلت إلى أين يا أبا سليمان ؟ قال خالد: والله لقد استقام للقسم، وإن الرجل لنبي، إني أذهب والله لأسلم، فحتى متى ؟ قال عمرو: وأنا والله ما جئت إلا لأسلم. وقال

---

(١) منهاج السنة النبوية : ٢ / ٢٦٠ _ ٢٦١ .

صاحب مفتاح بيت الله الحرام مثل مقالتهما .فلما دخلوا على رسول الله ﷺ، ونظر إليهم من بعيد قال لأصحابه : " لقد رمتكم مكة بأفلاذ كبدها". قال عمرو: فتقدم خالد فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت : يا رسول الله : إني أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي . فقال ﷺ : " يا عمرو بايع فإن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله ")[١] .

ونقل الحافظ ابن حجر في الإصابة عن الزبير بن بكار : (أن رجلاً سأل عمرو بن العاص : ما أبطأ بك عن الإسلام، وأنت في عقلك ؟ فأجابه : إنا كنا مع قوم لهم علينا تقدم، وكانوا ممن توازن حلومهم الجبال . فلما بعث النبي ﷺ فأنكروا عليه قلدناهم، فلما ذهبوا وصار الأمر إلينا نظرنا وتدبرنا، فإذا حق بين، فوقع في قلبي الإسلام، فعرفت قريش ذلك من إبطائي عما كنت أسرع فيه من عونهم عليه ... وقلت لاخير في التمادي في الباطل .هذا نموذج للذين أبطأوا في إسلامهم، وإن الذي حمله أمثال عمرو وخالد من أعباء الإسلام قد عجز التاريخ عن أن يحيط بحسناته، وإن لهما ولأمثالهما من ثواب الذين دخلوا في الإسلام بسببهما . ومن نشأ على الإسلام من سلالتهم وذرياتهم، ما لا تحصيه ملائكة الرحمة)[٢].

ونخلص من هذا الكلام إلى أن أفضل قريش هم السابقون الأولون إلى الإسلام من أمثال أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي عبيدة عامر بن الجراح

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده :٤ / ١٩٨ بإسناد حسن، و أخرجه الهيثمي في مسند الحارث(٢/٩٣٤) حديث ١٠٢٩.

(٢) مع الرعيل الأول لمحب الدين الخطيب : ص ٢٠ _ ٢٣، بتصرف .

والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وغيرهم من الأولين الذين قال الله فيهم : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدَّ لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾ (١) .

وهؤلاء هم الذين تسنَّموا القيادة السياسية والعسكرية وعلى أيديهم المباركة انتشر الإسلام في الجزيرة العربية والشام والعراق ومصر، وحطموا أعظم إمبراطوريتين في زمانهم .ثم يأتي بعدهم من تأخر إسلامه كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبي جهل ومعاوية بن أبي سفيان وكلهم كانوا من خيرة الساسة والقادة الفاتحين الذين عرفهم التاريخ .ولذلك كله لم يكن مصادفة أن تكون مكة المكرمة بالذات المدينة التي ينطلق منها الرسول ﷺ في بداية دعوته، وأن تكون لغة قريش هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، وأن تكون قريش هي القبيلة التي أنجبت النخبة من أصحاب الرسول ﷺ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،



---

(١) سورة التوبة : آية ١٠٠ .

المصادر والمراجع

١- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (مختارات)، تأليف: محمد بن أحمد المقدسي، دار النشر: وزارة الثقافة والارشاد القومي – دمشق – ١٩٨٠، تحقيق: غازي طليمات

٢- إرشاد الأريب في معرفة الأديب، لياقوت الحموي، تحقيق المستشرق مرجليوث.

٣- إرشاد طلاب الحقائق، للنووي، نشر مكتبة الإيمان بالمدينة، تحقيق عبد الباري السلفي، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، للسخاوي، نشر مؤسسة الرسالة.

٥- الأمة العربية في معركة تحقيق الذات، لمحمد المبارك – الفكر الإسلامي المعاصر.

٦- الأنساب، للسمعاني، طبع دار الفكر، لبنان، ط١، ١٩٨٨ م.

٧- البداية والنهاية، لابن كثير، طبع دار المعارف، بيروت.

٨- البداية والنهاية، لابن كثير، طبعة الريان.

٩- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، مكتبة ابن تيمية.

١٠- بغية الطلب في تاريخ حلب، تأليف: كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، دار النشر: دار الفكر، تحقيق: د. سهيل زكار

١١- بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر، نشر دار الكتب العلمية، تحقيق الخولي.

١٢- تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، النسخة الألمانية.

١٣- تاريخ الجنس العربي، لمحمد عزة دروزة، طبع المكتبة العصرية، صيدا، ط١.

١٤- التاريخ الكبير، للبخاري، دائرة المعارف العثمانية.

١٥- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية.

١٦- تاريخ دمشق، لابن عساكر (مخطوط).

١٧- تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، للسيوطي، مكتبة الكوثر، تحقيق نظر الفاريابي، ط٢، ١٤٠٥هـ.

١٨- التربية الإسلامية والطبيعة الإنسانية، للدكتور مقداد يا لجن، طبع دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٩٩٧ م.

١٩- الترغيب والترهيب، للمنذري، نشر دار الريان للتراث.

٢٠- تغليق التعليق، للحافظ ابن حجر، نشر المكتب الإسلامي.

٢١- تفسير التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، طبع الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م.

٢٢- التلخيص الحبير، لابن حجر، طبع المدينة المنورة، ١٩٦٤ م.

٢٣- التنقيح في حديث التسبيح، لابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق محمد العجمي، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤١٣هـ.

٢٤- تهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر، مصورة عن الهندية.

٢٥- تهذيب الكمال، للحافظ المزي (مخطوط).

٢٦- التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، دار الفكر – بيروت

٢٧- الجامع الأوسط، للطبراني، طبع دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥ هـ.

٢٨- جامع الترمذي، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت – مصورة ..

٢٩- جامع الترمذي، للإمام الترمذي، دار الكتب العلمية – ط ١.

٣٠- الجامع الصغير، للطبراني، طبع دار عمار، عمان، ط١، ١٩٨٥ م.

٣١- الجامع الكبير، للطبراني، طبع مكتبة الزهراء، الموصل، ط٢، ١٩٨٣ م.

٣٢- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، دار الكتب العلمية.

٣٣- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الكتب العلمية.

٣٤- الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم دائرة المعارف العثمانية تحقيق المعلمي - مصورة.

٣٥- جمان الدرر، للبصروي (مخطوط)، نسخة دار الكتب.

٣٦- جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣ م.

٣٧- الجواهر والدرر من ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، للسخاوي، القاهرة، ١٩٨٦م.

٣٨- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني، الريان للتراث.

٣٩- حياة الحيوان الكبرى، للدميري، دار الفكر.

٤٠- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ ابن حجر- دار الفكر - بيروت

٤١- الدعاء، لمحمد بن فضيل، نشر مكتبة لينة، ط١، ١٤١٥هـ.

٤٢- الدعاء للطبراني، دار الكتب العلمية.

٤٣- الدعوات، للبيهقي، تحقيق بدر البدر، من منشورات جمعية إحياء التراث، ط١، ١٤١٣هـ.

٤٤- ذخائر التراث العربي، لعبد الجبار عبد الرحمن، مطبعة البصرة، بمساعدة اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن (١٥) بالعراق، ط١، ١٤٠١هـ.

٤٥- رجحان الكفة في بيان نبذة من أخبار أهل الصفة، للسخاوي، تحقيق مشهور حسن ورفيقه، دار السلف، ط١، ١٤١٥هـ.

٤٦- سفراء النبي صلى الله عليه وسلم، للواء محمود شيت خطاب، طبع دار الريان، بيروت، ط١، ١٩٩٦ م.

٤٧- سلسلة الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، للمرادي، دار الكتاب الإسلامي.
٤٨- سنن ابن ماجه، للإمام ابن ماجه، ترقيم عبد الباقي، دار الريان للتراث.
٤٩- سنن أبي داود، طبع دار الفكر، بيروت .
٥٠- سنن الدار قطني، طبع دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٦ م .
٥١- سير أعلام النبلاء، للذهبي، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣ هـ .
٥٢- سير أعلام النبلاء، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٣، الطبعة: التاسعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي.
٥٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد، دار الفكر.
٥٤- شرح ألفية العراقي، للعراقي، نشر مكتبة السنة.
٥٥- شرح النووي على صحيح مسلم، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢ ١٣٩٢ هـ .
٥٦- شرح صحيح مسلم، للنووي، المطبعة المصرية بالأزهر.
٥٧- صحيح البخاري، طبع دار ابن كثير، بيروت، بيروت، ط٣، ١٩٨٧ م .
٥٨- صحيح مسلم، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت .
٥٩- صحيح مسلم بن الحجاج، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
٦٠- صيانة صحيح مسلم، للحافظ ابن الصلاح، تحقيق موفق عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨هـ.
٦١- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار النشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.

٦٢- الطبقات، لابن سعد، طبع دار صادر، بيروت .

٦٣- طبقات الحفاظ، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة: الأولى

٦٤- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي، تحقيق الحلو والطناحي.

٦٥- طبقات الفقهاء الشافعية، لأبي عاصم العبادي، طبعة السويد.

٦٦- العبر في خبر من عبر(١)، للحافظ الذهبي، دار الكتب العلمية.

٦٧- العظمة، لأبي الشيخ الأصبهاني، دار العاصمة.

٦٨- علوم الحديث لابن الصلاح، دار الكتب العلمية.

٦٩- عمل اليوم والليلة، للنسائي، تحقيق فاروق حمادة ، نشر مؤسسة الرسالة.

٧٠- غنية المحتاج في ختم صحيح مسلم بن الحجاج، للسخاوي (مخطوط).

٧١- فتاوى السبكي، لتقي الدين السبكي، دار المعرفة.

٧٢- فتح الباري، شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، طبع دار المعرفة، بيروت .

٧٣- فتح الباري، للحافظ ابن حجر، دار الريان للتراث، بعناية محب الدين الخطيب.

٧٤- الفتح الرباني، للسيوطي، تحقيق النبهاني، مصر .

٧٥- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للسخاوي، الجامعة السلفية، بنارس، تحقيق علي حسين علي.

٧٦- فتوح مصر وأخبارها، تأليف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله عبد الحكم بن أعين القرشي المصري، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد الحجيري

(١) هذا الصواب بالعين المهملة، وليس من (غبر).

٧٧- فضل العرب و التنبيه على علومها، لابن قتيبة، تحقيق وليد خالص، المجمع الثقافي – أبوظبي .

٧٨- فقه السيرة، لمحمد سعيد رمضان البوطي، طبع دار الفكر، دمشق، ١٩٩٤ م .

٧٩- فهرس الفهارس والأثبات، لمحمد عبد الحي الكتاني، دار الغرب الإسلامي، تحقيق د. إحسان عباس.

٨٠- القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، للسخاوي، مكتبة دار البيان.

٨١- الكاوي على تاريخ السخاوي (ضمن مقامات السيوطي)، للسيوطي، نشر المكتب الإسلامي.

٨٢- كتاب المرصع، لابن أثير الجزري، عالم الكتب، ط١، ١٤١٢هـ.

٨٣- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للحاج خليفة، دار الكتب العلمية.

٨٤- الكليات، لأبي البقاء الكفوي، طبع مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٣ م .

٨٥- الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري، للكرماني.

٨٦- الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، للغزي.

٨٧- لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، تأليف: الحافظ أبو الفضل تقي الدين محمد بن محمد بن فهد الهاشمي المكي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٨٨- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر.

٨٩- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن الندوي، طبع مكتبة السنة، القاهرة، ١٩٩٠ م .

٩٠- المبسوط في القراءات العشر، للأصبهاني، دار القبلة، ومؤسسة علوم القرآن، ط٢، ١٤٠٨هـ، تحقيق سبيع حمزة حاكمي.

٩١- مجمع البلاغة، للراغب الأصفهاني، طبع مكتبة الأقصى، عمان، ط ١٩٨٦ م.

٩٢- مجمع الزوائد، للهيثمي، طبع دار الريان، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

٩٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، مؤسسة المعارف.

٩٤- المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، للحافظ ابن حجر، نشر دار المعرفة، تحقيق د. يوسف مرعشلي، ط١.

٩٥- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، نشر عالم الكتب.

٩٦- المستدرك، للحاكم النيسابوري، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠ م.

٩٧- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، طبع دائرة المعارف.

٩٨- مسند الإمام أحمد للإمام أحمد بن حنبل، طبعة المكتب الإسلامي.

٩٩- مسند الشهاب، للقضاعي، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦ م.

١٠٠- المصباح المنير، للفيومي، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م.

١٠١- المصنف، لعبد الرزاق الصنعاني، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣ هـ.

١٠٢- مع الرعيل الأول، لمحب الدين الخطيب – دار الفكر

١٠٣- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩هـ.

١٠٤- المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع.

١٠٥- المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية.

١٠٦- معجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف إليان سركيس.

١٠٧- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، طبع دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٤ م.

١٠٨- المغني، لابن قدامة، طبع دار الفكر، بيروت، ط١: ١٤٠٥ هـ.

١٠٩- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، طبع دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٢ م.

١١٠- المقاصد الحسنة، للسخاوي، طبع دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٥ م.

١١١- المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للسخاوي، دار الهجرة.

١١٢- المقتنى في سرد الكنى، للإمام الذهبي، نشر الجامعة الإسلامية.

١١٣- ملحق تاريخ التراث العربي، لبروكلمان، النسخة الألمانية.

١١٤- مناقب الشافعي، للبيهقي، تحقيق سيد صقر، مكتبة دار التراث بمصر.

١١٥- منظومة الظاهري في المصطلح مع (شرحها)، لمحمد فالح الظاهري (مخطوط).

١١٦- منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، طبع مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦ هـ.

١١٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تأليف: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي، دار النشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي – مصر

١١٨- نظم العقيان في أعيان الأعيان، للسيوطي، المكتبة العلمية، بعناية المستشرق فيليب حتى ١٩٢٧م.

١١٩- نفائس الدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (الهيثمي)، للسيفي (مخطوط).

١٢٠- النكت على كتاب ابن الصلاح، للحافظ ابن حجر، نشر الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٠٤هـ.

١٢١- النور السافر عن أخبار القرن العاشر، للعيدروس، بدون.

١٢٢- هدي الساري مقدمة فتح الباري، للحافظ ابن حجر، دار الريان للتراث، بعناية محب الدين الخطيب.

١٢٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار الفكر.

الجرجانيون والحياة الثقافية والاجتماعية

بمكة المكرمة حتى بدايات القرن الخامس الهجري

إعـــداد

د / إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

جامعة السلطان قابوس

سلطنة عُمان

بحث مقدم إلى ندوة

مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ

ملخص البحث

كان لمكة تاريخ ديني واقتصادي عريق قبل الإسلام، ورغم فقدانها أهميتها السياسية في عصر الدولة العربية الإسلامية، فإن الإسلام لم ينتقص من مكانتها الدينية، بل ازدادت أهميتها الروحية في نفوس المسلمين الذين اعتبروها من أقدس البقاع عندهم؛ فهي مسقط رأس نبيهم صلى الله عليه وسلم، ومهد دعوته، ويوجد بها الكعبة المشرفة قبلتهم، والمسجد الحرام مسرى رسولهم الكريم، كما أنها تضم داخل حدودها وفي أطرافها مشاعر الحج الركن الخامس من أركان الإسلام. فشدوا على اختلاف ألوانهم ومذاهبهم الرحال إليها، ووفدوا عليها من كل فج عميق لتأدية فريضة الحج. كما استقطبت مكة المكرمة أعداداً كبيرة من طلاب العلم الذين وفدوا إليها لأداء مناسك الحج والعمرة وتلقى كل أنواع المعرفة على يد أربابها ، واستقر بعضهم بها لمجاورة المسجد الحرام.

وقد قصد بعض الجرجانيين مكة المكرمة حجاجا وطلاباً لتأدية الفريضة والارتشاف من علم شيوخها والعلماء المجاورين بها والوافدين عليها، فدرسوا في حلقاتهم وأخذوا عنهم مؤلفاتهم ، كما ساهم بعضهم ممن جاور بها – وكانوا من العلماء المشهورين ببلدهم – مساهمة فعالة في الحياة العلمية بها، فتحلق حولهم طلاب العلم هناك، ورووا عنهم، مما ساهم في تشكيل ثقافة بعضهم ووصولهم إلى منزلة عالية في الفقه الإسلامي. وعند رحيل الجرجانيين عن مكة المكرمة حملوا الكثير من مظاهر الحياة الثقافية بها، مما كان له الأثر الواضح على الحياة العلمية ببلادهم. وجدير بالذكر أن بعض

الجرجانيين الذين استقروا بمكة قد تزوجوا بها، وكان لهم هناك أهل وأولاد وأموال، مما ترك بصماته الواضحة على المجتمع المكي.

وقد عالجت هذا الموضوع في هذه الدراسة مستهدفا إبراز صور تلك الصلات الثقافية والاجتماعية المتبادلة، ونتائجها المتمثلة في تكوين أُطر ثقافية مكية، وانتشار سريع لعلوم المكيين في جرجان وغيرها من حواضر الثقافة في الشرق الإسلامي.

وسوف يتناول البحث العناصر التالية:

- اسم جرجان وموقعها الجغرافي والفتح الإسلامي لها.
- التقسيم الإداري لجرجان في العصر الإسلامي.
- عناصر السكان بجرجان في العصر الإسلامي.
- مذاهب أهل جرجان وفرقهم الدينية وصفاتهم الأخلاقية والعلمية.
- المجاورون الجرجانيون والحياة الثقافية بمكة.
- الحجاج الجرجانيون والحياة الثقافية بمكة.
- مساهمة علماء جرجان في الحياة الثقافية بمكة من خلال تلاميذهم هناك.
- الجرجانيون والحياة الاجتماعية بمكة.

***

تقديـــم :

كان لمكة تاريخ ديني واقتصادي عريق قبل الإسلام، ورغم فقدانها أهميتها السياسية في عصر الدولة العربية الإسلامية، فإن الإسلام لم ينتقص من مكانتها الدينية، بل ازدادت أهميتها الروحية في نفوس المسلمين الذين اعتبروها من أقدس البقاع عندهم؛ فهي مسقط رأس نبيهم صلى الله عليه وسلم، ومهد دعوته، ويوجد بها الكعبة المشرفة قبلتهم، والمسجد الحرام مسرى رسولهم الكريم، كما أنها تضم داخل حدودها وفي أطرافها مشاعر الحج الركن الخامس من أركان الإسلام. فشدوا على اختلاف ألوانهم ومذاهبهم الرحال إليها، ووفدوا عليها من كل فج عميق لتأدية فريضة الحج. كما استقطبت مكة المكرمة أعداداً كبيرة من طلاب العلم الذين وفدوا إليها لأداء مناسك الحج والعمرة وتلقى كل أنواع المعرفة على يد أربابها، واستقر بعضهم بها لمجاورة المسجد الحرام.

وقد قصد بعض الجرجانيين مكة المكرمة حجاجا وطلاباً لتأدية الفريضة والارتشاف من علم شيوخها والعلماء المجاورين بها والوافدين عليها، فدرسوا في حلقاتهم وأخذوا عنهم مؤلفاتهم، كما ساهم بعضهم ممن جاور بها – وكانوا من العلماء المشهورين ببلدهم – مساهمة فعالة في الحياة العلمية بها، فتحلق حولهم طلاب العلم هناك، ورووا عنهم، مما ساهم في تشكيل ثقافة بعضهم ووصولهم إلى منزلة عالية في الفقه الإسلامي. وعند رحيل الجرجانيين عن مكة المكرمة حملوا الكثير من مظاهر الحياة الثقافية بها، مما كان له الأثر الواضح على الحياة العلمية ببلادهم. وجدير بالذكر أن بعض

الجرجانيين الذين استقروا بمكة قد تزوجوا بها، وكان لهم هناك أهل وأولاد وأموال، مما ترك بصماته الواضحة على المجتمع المكي.

ولقد لفت نظري تلك الصلات الثقافية والاجتماعية المتبادلة بين مكة وجرجان، لأنها أي جرجان كان لها شأن عظيم في التاريخ العلمي الإسلامي، لشهرتها بكثرة النابغين من علمائها وشيوخها وفضلائها، ومع ذلك فلم يُوجِه الكتاب لهذه الصلات ما تستحقه من اهتمام، فلم يفردوا لها بحثا قائما بذاته، وكل ما كتب عنها لا يعدو نتفا متفرقة في ثنايا الحديث عن العلوم الدينية الإسلامية خاصة علم الحديث، والصلات العلمية بين الحجاز وفارس. مما دفعني لمعالجة هذا الموضوع في هذه الدراسة مستهدفا إبراز صور تلك الصلات الثقافية والاجتماعية المتبادلة، ونتائجها المتمثلة في تكوين أُطر ثقافية مكية، وانتشار سريع لعلوم المكيين في جرجان وغيرها من حواضر الثقافة في الشرق الإسلامي.

اسم جرجان وموقعها الجغرافي والفتح الإسلامي لها

جرجان أو كَركَان على ما ينطق به الفرس (عرفت عند اليونان باسم Hyracania)،[١] مدينة عظيمة مشهورة، وهي إحدى كور إقليم الديلم الخمس.[٢] وتقع في أقصى شمال بلاد فارس جنوبي

(١) Encyclopedie de l' Islam, (art Djurdjan), ٢ed., Paris, ١٩٥٤, t I, ١٠٩٧ ' sqq,
عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية عصر الخلفاء الأمويين، الطبعة الثامنة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٢٠٦.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه الدكتور محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٧، ص٢٧١.

شرقي بحر قزوين، ويحدها من الجنوب إقليم خراسان، وشرقا إقليم خوارزم، وغربا بحر قزوين وإقليم طبرستان. وبسبب موقعها الجغرافي بين خراسان وطبرستان اعتبرها البعض تابعة لكليهما. ويعلق ياقوت الحموى على ذلك بقوله: وهي "بين طبرستان وخراسان، فبعض يعدها من هذه، وبعض يعدها من هذه."(١) وكان إقليم جرجان تابعا للحكومة المركزية في العصور الإسلامية الأولى، وأضيف إلى خراسان زمن الدولة الطاهرية (٢٠٥-٢٥٩هـ/ ٨٢٠-٨٧٢م)،(٢) ثم صار من أملاك الدولة الصفارية بسجستان (٢٥٤-٢٩٠هـ/٨٦٧-٩٠٣م)،(٣) كما كان من أملاك الدولة الزيدية في طبرستان (٢٥٠-

(١) ياقوت الحموى، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م، م٢ ص١١٩.

(٢) عن التفاصيل راجع: السهمى، تاريخ جرجان، نشر بإشراف د. محمد عبد المجيد خان، الطبعة الرابعة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥، ص٥٨، ياقوت الحموى، معجم البلدان، م٤، ص١٦، شيخ الربوة نخبة الدهر في عجائب البر والبحر الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨، ص٢٩٧، القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٤، ص٣٤٩، ابن خلدون، العبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٦، ق٤، م٧، ص٦٩٣، عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام، نقله عن الفارسية د. محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠، ص١٤ وما بعدها، فتحي أبو سيف، خراسان تاريخها السياسي والحضاري من سقوط الحكم الطاهري إلى بداية الحكم الغزنوي، القاهرة، ١٩٩٥، ص٧ وما بعدها.

(٣) عن سيطرة الصفاريين على جرجان أنظر: الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م، ج٤، صفحات متفرقة، السهمى، تاريخ جرجان، ص١١٥، ٢٠٢، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٨٢م، م٧ص ٢٨٨، ٢٩٠، ابن خلدون، العبر، ق٤، م٧ ص٦٩٣، أحمد إبراهيم الشريف وحسن أحمد محمود، العالم الإسلامي في العصر العباسي، القاهرة، ١٩٩٥، ص٢٥٩، بارتولد، تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ترجمة صلاح الدين هاشم، الطبعة الأولى، الكويت، ١٩٨١، ص٣٤٣، فتحى أبو سيف، خراسان، ص١٢٣-١٣٤ وما بعدها.

٣١٦هـ/٨٦٤-٩٢٨م)،[١] والدولة السامانية ببلاد ما وراء النهر (٢٦١-٣٨٩هـ/٨٧٤-٩٩٩م).[٢]

وفي القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي أغارت جحافل المغول على جرجان وخربتها، فلحقت سياسيا بإقليم مازندران (طبرستان) عقب الغزو المغولي لنواحي جنوبي بحر قزوين.[٣] ويتضح من رواية شيخ الربوة أن جرجان كانت قاعدة إقليم مازندران الذي كان يعرف أيضاً باسم نشاور.[٤] وفي أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي هاجمت قوات تيمور لنك جرجان ودمرتها.[٥]

---

(١) عن سيطرة الزيدية على جرجان راجع:الطبري، نفس المصدر، ج٤، صفحات متفرقة. ابن الأثير الكامل، م٧ ص٢٤٨، ٤٣٤، ٥٠٤. فتحي أبو سيف، خراسان، ص٩١-٩٢، عصام الدين عبد الرءوف، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٩م ص٦٢-٦٥.

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع:ابن حوقل، صورة الأرض، بيروت، ١٩٨٥، ص٣٢٥، الطبري، نفسه، ج٦، صفحات متفرقة. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٦٣، ابن الأثير الكامل، م٧، صفحات متفرقة، فامبرى، تاريخ بخارى، ترجمة د. أحمد محمود الشريف، القاهرة، ١٩٦١م، ص١٠١_ ١٠٣، بارتولد، تركستان، ص٣٨٦، عصام الدين عبد الرءوف الفقى، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، ص٥٤، وما بعدها.

(٣) يذكر ياقوت الحموى (معجم البلدان، م٤ ص١٣) أن طبرستان كانت في البلاد المعروفة بمازندران، ولكنه لا يدرى متى سميت بمازندران، فإنه اسم لم يوجد في الكتب القديمة، وإنما يسمع من أفواه أهل هذه البلاد، ولاشك أنهما واحد. و أنظر أيضا : كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص٤٠٩-٤١٧، وعن هذه الغزوة راجع: بارتولد، تركستان، ص٨٥٩-٦٠٣، ٦٢٩، فامبرى، تاريخ بخاري، ص١٦١وما بعدها، عباس إقبال، تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة د. عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٠، ص٨٥، وما بعدها.

(٤) شيخ الربوة، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص٢٩٧.

(٥) كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤١٧.

ومنذ ذلك التاريخ أفل نجم جرجان، فبقيت بليدة لا أهمية لها. وتعرف جرجان القديمة حاليا باسم كنبد قابوس نسبة إلى قبر شمس المعالي قابوس بن وشمكير بن زيار(٣٦٦-٤٠٣هـ/٩٧٦-١٠١٢م) أشهر حكام الدولة الزيارية بالديلم الذين ملكوها منذ عام ٣١٩هـ/٩٣١م.(١) أما جرجان الحديثة فهي مدينة إستراباذ من أعمال مازندران في جمهورية إيران الإسلامية.(٢)

وسميت جرجان كما يذكر السهمى بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها جرجان بن لاوذ بن سام بن نوح، وفي رواية أخرى نسبة إلى جرجيج بن ولاد.(٣) وبدأ الفتح الإسلامي لجرجان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، ففي عام ١٨هـ/٦٣٩م، زحف المسلمون بقيادة سويد بن مقرن نحو جرجان فصالحه ملكها رزبان صول على الجزية ويكفيه حرب جرجان، فقبل سويد بن مقرن وكتب بينه وبينهم عهداً بذلك.(٤) ثم دخلها سعيد بن العاص في خلافة عثمان بن عفان سنة ٢٩ أو ٣٠هـ/٦٤٩ أو ٦٥٠م، فاستقبله أهلها بالصلح وأطاعوه وهابوه،

---

(١) عن سيطرة الزياريين على جرجان راجع: السهمى، تاريخ جرجان، ص١٤٨ ،٢٥٩، ٢٧٧، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، صفحات كثيرة، بارتولد، تركستان، ص٣٩٩، عباس إقبال، تاريخ إيران، ص٤١-٥٤، فتحى أبو سيف، نفس المرجع، ص٦٤-٦٧.

(٢) السهمى، تاريخ جرجان، ص١٠-١١ من مقدمة الناشر.

(٣) السهمى، تاريخ جرجان، ص٤٤.

(٤) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٥٢. السهمى، تاريخ جرجان، ص٤٦-٤٨، ياقوت الحموى، معجم البلدان، م٢ ص١٢١. وعن ترجمة سويد بن مقرن راجع: خليفة بن خياط، كتاب الطبقات، تحقيق د. أكرم ضياء العمرى، الطبعة الأولى. بغداد، ١٩٦٧، ص٣٨، ١٢٨، السهمى، نفس المصدر، ص٤٦-٤٨، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٠، ق٢، رقم ١١٢٢ ص٦٨.

وصالح ملكهم على مائتي ألف درهم (ويقال على ثلاثمائة ألف درهم).(١)

ولم يكن الفتح الإسلامي لجرجان مستقراً، فكانوا يؤدون الجزية تارة، وربما منعوها، ثم انغلقت جرجان وارتد أهلها عن الإسلام فامتنعوا عن دفع الخراج،(٢) فعاود المسلمون فتحها في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك على يد قائده يزيد بن المهلب بن أبي صفرة والي العراق. ويتضح من الروايات أن يزيد بن المهلب غزا جرجان مرتين، الأولى في عام ٩٧هـ/٧١٥م. في ثلاثين ألفاً ولم تكن يومئذ مدينة، إنما هي جبال محيطة بها ومسالك وأبواب وحائط من آجر يحيط بها وأحد طرفيه في البحر، قد تحصنوا به.(٣) وكان يسكن جرجان الفرس الذين يحكمهم مرزبان، والترك ويحكمهم ملك اسمه أو لقبه صول، فدخلها يزيد بن المهلب وأصاب بها أموالاً وفتح دهستان، في حين تحصن صول التركي بالبحيرة وهي جزيرة في البحر، فحاصره يزيد بن المهلب أشهراً، فطلب الصلح على أن يؤمنه على نفسه وماله وأهل بيته ويدفع إليه البحيرة بما فيها. فقبل يزيد ذلك وصالحه عليه،

(١) البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع و زميله، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر، بيروت، ١٩٨٧، ص٢٦٧، ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ (مصورة عن طبعة ليدن، ١٣٠٢)، ص٣٠٧، الطبري، نفس المصدر، ج٤، ص١٥٣. ياقوت الحموي، معجم البلدان، م٤ ص١٥، عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ص٢٠٦، عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، الدول المستقلة، ص٥١.

(٢) اليعقوبي، كتاب البلدان، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨، ص٤٦.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، راجعه وضبطه ووثقه ووضع حواشيه وفهرسه د. مصطفى نجيب فواز وزميله، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥، ص٢٠٠، البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٦٩–٤٧٠، شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٩٧.

وكان مبلغ الجزية كما يذكر خليفة بن خياط خمسمائة ألف درهم يؤدونها كل عام، واستخلف يزيد عليهم وعلى دهستان عبدالله بن معمر اليشكرى في أربعة آلاف من رجاله.(١)

أما الفتح الثاني لجرجان فكان في عام ٩٨هـ/٧١٦م ، وسبب ذلك أن أهل جرجان قد نكثوا بالمسلمين الذين تركهم يزيد بن المهلب فيها وغدروا بهم، فقتلوهم هم وقائدهم عبدالله بن معمر اليشكري وهم غارون في منازلهم ، وبلغ الخبر يزيد بن المهلب فسار إليهم في مائة وعشرين ألفاً ، فتحصنوا وصاحبهم المرزبان ، فقاتلهم يزيد سبعة أشهر ونصب المنجنيق عليهم حتى دله رجل على طريق إلى قلعتهم ، فعقد يزيد لجهم بن زخر الجعفي فقاتلهم قتالا شديدا ، وفتح قلعتهم وسبى ذراريهم ، وأنزلوا على حكم يزيد فأمر بقتلهم وكان قد أقسم على ذلك ، فقتل جهم بن زخر مقاتلتهم وصلبهم فرسخين على الطريق، ثم قاد إثنى عشر ألفا منهم إلى وادي جرجان فقتلهم حتى سالت الدماء فيه.(٢)

وتذكر الروايات أن يزيد بن المهلب بنى مدينة جرجان في عام ٩٨هـ/٧١٦م في وادٍ عظيم يطل على البحر والجبال، ولم تكن بنيت

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٠٠-٢٠١، البلاذرى، فتوح البلدان، ص٤٦٩-٤٧٠. ويذكر ابن خرداذبة (المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، بدون تاريخ، ص٤٠) أن صول كان لقباً لملك جرجان.

(٢) خليفة بن خياط، نفس المصدر، ص٢٠١، البلاذرى، نفس المصدر، ص٤٦٩-٤٧٢، الطبرى تاريخ الأمم والملوك، ح٦ ص٥٤١-٥٤٤، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ح٤ ص٢٥٠، ابن خلكان، وفيات الأعيان، طبعة د. إحسان عباس: دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، م٦ ص٢٩٨-٢٩٩، عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ص٢٠٧.

قبل ذلك فشيد سورها واختط بها نحو أربعين مسجداً، كما اختط شيخ كل قبيلة ممن كان معه في الجيش مسجداً لنفسه، وهذه المساجد معروفة بجرجان ويقع بعضها داخل قصبتها وبعضها الآخر في المربض[١] ويفهم من الروايات أن يزيد بن المهلب ظل بجرجان بعد فتحها سنة واحدة، ثم استخلف عليها جهما بن زخر الجعفي، فوضع الجزية والخراج على أهلها وثقلت وطأته عليهم، وسار هو إلى خراسان في طريقه إلى الشام لملاقاة الخليفة سليمان بن عبد الملك الذي توفى في نفس السنة (٩٩هـ/٧١٧م)، فأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بعزل يزيد عن أعماله ومنها جرجان وأودعه السجن لأمور مالية أخذها عليه. ويبدو أن الخليفة الجديد أقر جهما الجعفي في ولاية جرجان، فبنى بها القنطرة المنسوبة إليه، وكانت ولايته سنة واحدة.[٢]

التقسيم الإداري لجرجان :

ذكر الجغرافيون المسلمون أن جرجان كانت بعد تمصيرها جانبين أحدهما جرجان وهي في الشرق، والآخر بكراباذ في الغرب وهي أقل من جرجان سعة. وكان يجرى بينهما نهر كبير ينحدر من جبال الديلم ويصب في بحر الخزر ويعرف بنهر جرجان و قديماً عرف بنهر أرقانيا Mar Hyrcanum، وهو كثير الماء عظيمه في الشتاء، وعليه قنطرة تربط بين الجانبين (جرجان وبكراباذ).[٣] وجرجان

(١) البلاذرى، فتوح البلدان، ص٤٧١، السهمى، تاريخ جرجان، ص٤٩، ياقوت الحموى، معجم البلدان، م٢ ص١١٩ ، القزوينى ، آثار البلاد ، ص٣٤٨.

(٢) البلاذرى، فتوح البلدان، ص٤٧١–٤٧٢، السهمى، تاريخ جرجان، ص٤٩، ٥٤.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٢٤، المقدسى، أحسن التقاسيم، ص٢٧٤، ياقوت الحموى، معجم =

كورة بحرية برية سهلية جبلية.[١] وكانت شهرستان قاعدة جرجان وقصبتها، ولها البحر ورستاق دهستان، ويذكر المقدسي أن أخُر كانت مدينة رستاق دهستان، وكان بها منارة تُرى من البُعد في وسط القرى، وجميع قرى دهستان أربع وعشرون قرية، وهي من أجُل أعمال جرجان،[٢] ولدهستان رباط يعرف برباط دهستان يقصده الناس وله منبر، وكان ثغراً للغزية الأتراك.[٣] وكانت شهرستان حسنة الأسواق والمساجد وهي بلدة سرية عظيمة القدر والشأن، واشتهرت بالعلم والدين والمشايخ والأموال.[٤] واشتهرت بكراباذ بالمساجد والشيوخ الأجلة، وهي شبه مدينة عامرة، ولها نهر أخر يسمى طيفورى أنظف وأعذب من نهر جرجان.[٥]

وكانت إستراباذ (بالفارسية تعني عمارة رجل) من مدن كورة جرجان وهي قرب حدود طبرستان وكانت أطيب هواء وأصح ماءً من

=

البلدان، م٢ ص١١٩، شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٩٧، كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤١٨.

(١) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص٢٧٢، ياقوت الحموى، معجم البلدان، م٢ ص١٢٠، القزوينى، آثار البلاد، ص٣٤٨ ١٢٠. ووصف أحد الشعراء جرجان بقوله:

هي جنة الدنيا التي هي سجج   يرضى بها المحرور والمقرور

سهلية جبلية بحرية   يحتل فيها منجد ومغير

(ياقوت الحموى، نفس المصدر، م٢، ص١٢٠).

(٢) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص٢٧٤.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٢٤–٣٢٥، المقدسى، نفسه، ص٢٨٢، ياقوت الحموى، نفسه، م٢ ص٤٩٢، شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٩٧.

(٤) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص٢٧٢–٢٧٤، شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٩٧.

(٥) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص٢٧٤، كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤١٨–٤١٩.

جرجان، وكان لها مسجد جامع شيد في أيام الفتوحات الإسلامية الأولى، [١] وكانت مدينة آبسكون فرضة جرجان وإستراباذ على بحر قزوين ، وهي قديمة البناء من عصر قباذ ، وهي مدينة صالحة وكانت ثغراً تصد الأتراك والغز ، وكان عليها حصن منيع من الآجر ومسجدها الجامع في السوق. [٢] وإلى شرق آخر مدينة ارّباط وهي على فم المفازة المؤدية إلى خوارزم، وكان بها مساجد حسنة وأسواق بهية ومنازل لطيفة ، والمسجد العتيق فيه سوارى خشب وله نور، وللمدينة جامع آخر بمنارة جميلة وسائر المساجد لأصحاب الإمام أبي حنيفة النعمان. [٣]

ومن مدن جرجان أيضاً ألْهَمِ، [٤] وهرى وهي بحرية دون أبسكون، وأخف أهلاً [٥] وجاجرم [٦] وتقع مدينة فراوة (أفراوة) على أربع مراحل من دهستان في الطريق الصحرواى المؤدى إلى خوارزم، وكانت كما يذكر الإصطخرى ثغراً في بادية الغز، وكان يقيم بها المرابطون لحماية البلاد من غارات الأتراك. وتذكر الروايات أن عبدالله بن طاهر هو الذي شيد رباط فراوة في خلافة المأمون العباسي. وكان أهل فراوة أقل من ألف رجل. [٧] ونستدل من روايات السهمى

(١) المقدسى، نفس المصدر، ص٢٧٤، كى لسترنج، نفس المرجع، ص٤١٨.

(٢) المقدسى، نفسه، ص٢٧٤، شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٩٧.

(٣) المقدسى، نفسه. ص٢٧٤-٢٧٥، كى لسترنج، نفسه، ص٤٢٠.

(٤) المقدسى، نفسه، ص٢٧٢.

(٥) المقدسى، نفسه، ص٢٧٤.

(٦) شيخ الربوة ، نخبة الدهر، ص٢٩٧.

(٧) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٩٧، كى لسترنج، نفسه، ص٤٢١.

على أسماء بعض قرى جرجان ومنها: بيرقان[١]، وورنجان،[٢] وماقلاص،[٣] وميشقى،[٤] وهبراثان،[٥] وكش،[٦] ووسسكن،[٧] ويحتفظ ياقوت الحموى بأسماء بعض المواضع الأخرى في ناحية دهستان ومنها: خرتير، وفرغول،[٨] وهكذا كانت جرجان أكبر مدينة بهذه البلاد،[٩] فقد كان لها مياه كثيرة وضياع عريضة وقلاع واسعة،[١٠] وقد دلل الجغرافيون على سعتها وكثرة خيراتها بقولهم: "ولم يكن في المشرق بعد أن تجاوز الرى والعراق مدينة أجمع ولا أظهر خصباً على مقدارها من جرجان"[١١]

عناصر السكان بجرجان في العصر الإسلامي :

يتضح من الروايات أن بعض الصحابة دخلوا جرجان في أعقاب الفتح الإسلامي الأول في خلافة عمر بن الخطاب، فقد كانوا جنداً في جيش الفتح وشهدوا على كتاب الصلح الذي عقده سويد بن مقرن لملكها، ونذكر منهم: سواد بن قحطبة وسماك بن مخرمة، وهند بن

---

(١) السهمى، تاريخ جرجان، ص٢١٠.
(٢) السهمى، تاريخ جرجان، ص٢١٠.
(٣) السهمى، تاريخ جرجان، ص٢١٢.
(٤) السهمى، تاريخ جرجان. ص٢٣٧.
(٥) السهمى، تاريخ جرجان، ص٢٠٥.
(٦) السهمى، تاريخ جرجان، ص١١٦.
(٧) السهمى، تاريخ جرجان، ص٢٠٩.
(٨) ياقوت الحموى، معجم البلدان، م٤ ص٢٥٤، كى لسترنج، نفسه، ص٤٢١.
(٩) ياقوت الحموى عن الإصطخرى، معجم البلدان، م٢ ص١١٩.
(١٠)ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٢٤، ياقوت الحموى، معجم البلدان، م٢ ص١١٩.
(١١)ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٢٤، ياقوت الحموى، معجم البلدان، م٢ ص١١٩.

عمرو، وعتيبة بن نهاس.[١] كما دخلها حذيفة بن اليمان، وسعيد بن العاص، وأبو هريرة، وعبدالله بن عمر بن الخطاب الذي مكث بها بعض الوقت ثم خرج منها إلى مكة المكرمة محرما بعمرة. ومنهم أيضاً الحسين بن علي، وقدمها الحسن بن علي وعبدالله بن الزبير في خلافة أمير المؤمنين على بن أبي طالب.[٢]

ويبدو أن بعض هؤلاء الصحابة استقروا مع أهلهم بها، فالسهمى يذكر أن الصحابي الجليل عبدالله بن أبى أوفى شوهد بجرجان يوم عيد راكبا وامرأته معه على رحل له.[٣] ولا شك أن هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم قد لعبوا دوراً هاما في نشر الإسلام في هذه البلاد. فقد كان بعضهم من الفقهاء المتبحرين في علوم الدين، فأقبل أهل جرجان من الفرس والترك على الدين الجديد و اعتنقوه وحسن إسلامهم، بل أقبل بعضهم على الحجاز لينهلوا من علوم الصحابة، فالسهمى يذكر أن الحارث الجرجاني صحب الإمام على بن أبي طالب وروى عنه بعض أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ومنها "لا دين لمن لا ثقة له"، أخرجه الصنعانى فى مصنفه،[٤] كما شارك هذا

(١) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج٦ ص١٥٢، السهمى، تاريخ جرجان، ص٤٥-٤٨.

(٢) السهمى، تاريخ جرجان، ص٤٦-٤٨.

(٣) السهمى، تاريخ جرجان، ص٤٨. وعن ترجمة عبدالله بن أبي أوفى راجع: ابن عبد البر، الاستيعاب، ق٣، رقم ١٤٧٨ ص٨٧٠، ابن حجر، تقريب التهذيب، دراسة و تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣، ج١، رقم ٣٢٣٠ ص٤٧٩.

(٤) الصنعانى (أبو بكر عبد الرزاق بن همام)، المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامى، بيروت، ١٩٨٣م، ج١١ رقم٢٠١٩٢ ص١٥١، السهمى، تاريخ جرجان، رقم٢٩١ ص٢٠٠.

الجرجاني في حروب الخليفة علي بن أبي طالب ضد خصومه، وكان يحمل راية جيوشه.[١]

ونستدل من الروايات أن بعض العناصر العربية والإسلامية قد هاجرت إلى جرجان بعد الفتح الإسلامي الأول واستقرت بها. يؤيد ذلك ما ذكره السهمى أن سعيد بن نمران الهمداني الكوفي الذي حمل مع حجر بن عدى من الكوفة إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان بدمشق، قدم جرجان - بعد الصفح عنه - وسكنها واختط بها دوراً وامتلك ضياعا، وكانت دوره في قصبة جرجان في درب همدان، واشتهرت ضياعه فيما بعد باسم شعب همدان.[٢]

كما دخل بعض التابعين جرجان بصحبة يزيد بن المهلب وكانوا من جملة جيشه، وقد استقر بعضهم بها واستوطنوها وتناسلوا بها، ونذكر منهم سعيد بن الفاكهة، وكرز بن وبرة الحارثى، وحمل بن كعب النهدي، وأبو طيبة عيسى بن سليمان بن دينار الدارمي.[٣] وقد شاركت عناصر إسلامية من أهل الشام والجزيرة والكوفة والبصرة وخراسان في فتح جرجان عام ٩٨هـ/٧١٦م، كما شارك في الفتح أيضاً جماعات من الأزد وقريش والأنصار وكانوا من جملة جيش يزيد بن المهلب.[٤] ولقد لعب هؤلاء الفاتحون دوراً هاماً في نشر الإسلام وتحويل جرجان إلى بلد إسلامي بعد فتحها عام

(١) السهمى، تاريخ جرجان، رقم ٢٩١ ص٢٠٠.

(٢) السهمى، تاريخ جرجان، رقم ٣٣٥ ص٢١٥.

(٣) السهمى، تاريخ جرجان، ص٤٩، ٥١.

(٤) البلاذرى، فتوح البلدان، ص٢٦٥، السهمى، تاريخ جرجان، ص٤٩.

٩٨هـ/٧١٦م، إذ أسلم كثير من أهلها على أيديهم، بل أن بعضهم ذهب إلى الشام ليُسلم على يد الخليفة سليمان بن عبد الملك ومنهم صول الجرجاني أحد رؤساء المدينة، فقد سأل يزيد بن المهلب حين افتتح جرجان عن أجّل شخصية مسلمة ليسلم على يده، فأرسله إلى الخليفة سليمان بن عبد الملك، فلما قدم عليه دله على قبر الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة ليسلم عنده لفضله، فأسلم صول الجرجاني عند القبر ثم انصرف إلى بلده وصحب يزيد بن المهلب وصار من أخلص أعوانه وقتل معه في معركة العقر (صفر ١٠٢هـ/آغسطس ٧٢٠م)، قتله مسلمة بن عبد الملك قائد جيش الأمويين.[(١)]

وفي أعقاب الفتح الإسلامي لجرجان عام ٩٨هـ/٧١٦م، هاجرت القبائل العربية إليها كبقية الولايات الجديدة . واستقرت فيها . وبذلك امتزج العنصر العربي بالعناصر المحلية وغدت جرجان بلداً إسلاميا. وقد استقر بجرجان بعض بني المهلب بن أبي صفرة الأزد الذين دخلوها فاتحين مع يزيد بن المهلب، وتناسلوا بها، ومن أشهرهم أبناء عيينة بن المهلب[(٢)] وأحفاده، ومنهم أيضاً عقب مخلد بن يزيد بن المهلب فالسهمي يذكر:"وكان لمخلد بن يزيد ابن يقال له خداش وله ابن يقال له مخلد بن خداش، ولهم أثر بجرجان وخراسان".[(٣)] ومن

---

(١) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٣٨١ ص٢٣٦. وعن معركة العقر راجع: الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ح٦ ص٥٧٨–٥٩٧، ابن الأثير، الكامل، ح٤ ص٢٢٥، ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٦ ص٣٠٠، عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ص٢٢٣–٢٢٤.

(٢) السهمي، تاريخ جرجان، ص٥٢. وأنظر أيضاً تراجم ١٣٩، ٢٤٢، ٣٩٦، ٤١٥،

(٣) السهمي، نفس المصدر، ص٥٢.

الأزد الجرجانيين الفقيه المحدث أبو العباس أحمد بن جعفر بن محمد بن مرزون بن شيبان بن فروخ الشعراني الأزدي الجرجاني، وكان يروى عن عمار بن رجاء وعبدالله بن سعد الطائي وغيرهم، وكان من تلاميذه أسهم بن إبراهيم وأبو العباس الباغشى.(١) ونستدل من تسمية خطط المساجد التي بنيت بجرجان أيام بني أمية على كثرة أعداد الأزد واستقرارهم هناك، فقد أسسوا بها مسجداً نسب إليهم وعرف باسم مسجد الأزد، وكان هذا المسجد يقع جانب خان عبدك بباب الخندق ولذلك عرف أيضاً باسم مسجد عبدك. ويذكر السهمى أن هذا المسجد عرف في أيامه (ق٤هـ/ق١٠م) باسم مسجد أبي الخطاب.(٢)

وكان بعض الجرجانيين من أصول قرشية ومن أشهرهم بني السهمى الذين يرتفع نسبهم إلى هشام بن العاص أخي عمرو بن العاص، وكان من فضلاء الصحابة رضوان الله عليهم.(٣) ويبدو أن موسى بن إبراهيم الجد الأكبر لأبي القاسم حمزة بن يوسف السهمى صاحب كتاب تاريخ جرجان كان أول من استوطن جرجان من أفراد هذه الأسرة، فابناه أحمد،(٤) وإبراهيم قد نشأ فيها.(٥) ومن

---

(١) السهمى، نفسه، رقم ٨٧ ص ١٠٤.

(٢) السهمى، نفسه، ص٥٦. وعبدك الذي نسب إليه هذا المسجد هو الفقيه عبد الكريم بن عبد الكريم البزاز الجرجاني المعروف بعبدك (السهمى، نفسه، رقم ٣٩٠ ص٢٤١).

(٣) عن ترجمته راجع: ابن عبد البر، الاستيعاب، ق٢، ص٢٠٥.

(٤) عن ترجمته راجع: السهمى، تاريخ جرجان، رقم ٦١ ص٩٧.

(٥) عن ترجمته راجع: السهمى، نفس المصدر، رقم ١٤٦ ص١٣٦–١٣٧. وأنظر أيضاً: ص١٢–١٣ من مقدمة الناشر.

الجرجانيين القرشيين أيضاً أبو سعيد عاصم بن سعيد بن قيس القرشي الصفار، وكان يسكن باب الخندق بجرجان.[١] ومنهم أيضاً بنو زهير القرشي الجرجانيون، ونذكر منهم: أبو عبد الرحمن محمد بن علي بن زهير القرشي، وكان نبيلاً جرجانيا، وتنسب المربعة التي بجرجان إلى والده علي بن زهير، وفيها مسجده.[٢] ومنهم أيضاً ولده أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد (ت٣١٦هـ/٩٢٨م).[٣]

ونستدل كذلك من تسمية خطط المساجد التي بنيت بجرجان زمن الدولة الأموية على كثرة أعداد القرشيين الذين استوطنوها، فقد أقاموا بها مسجداً نسب إليهم عرف بمسجد قريش، ويقع بجنب دار عبدالله بن عيسى.[٤]

وكان بعض الجرجانيين ينتسبون إلى الأنصار ومنهم الفقيه الحافظ أبو زرعة محمد بن عبد الوهاب بن هشام بن الوليد الأنصاري الجرجاني (ت٣٠٤هـ/٩١٧م)، وكان هذا الأنصاري من أثرياء جرجان، فقد كان يمتلك خانات وحوانيت وقفها على أولاده وأحفاده من الصلب، كذلك أسس مسجدا بباب الخندق في سكة تعرف بستر.[٥] ومنهم أيضاً محمد بن علي بن عثمان بن حمزة بن عبدالله بن المنذر بن أبي كعب الأنصاري، وكان قد استقر بجرجان عام

---

(١) السهمي، نفسه، رقم ٥٨٨، ص٣٢٥-٣٢٦.

(٢) السهمي، نفسه، رقم ٦٦٥ ص٣٩٥-٣٩٦، وأنظر أيضاً: ص٥٦ من نفس المصدر.

(٣) السهمي، نفسه، رقم ٤١٨ ص٢٥٧-٢٥٨.

(٤) السهمي، نفسه، ص٥٦.

(٥) السهمي، نفسه، رقم ٦٤٦ ص٣٨٨، وأيضاً: ص٢٤٥.

٢٨٩هـ/٩٠٢م، وحدث بها.[(١)] ومنهم أبو بكر محمد بن علي بن سهل المفسر الأنصاري (ت٢٩٦هـ/٩٠٨م) وكان بجرجان وحدث بها.[(٢)] ومنهم أبو عمرو ثابت بن علي بن أحمد بن ثابت بن سعيد بن عبد الرحمن الأنصاري البزاز الجرجاني، وكان ينزل في سكة الأنصار بوسط السوق الكبرى.[(٣)] ومنهم الحسين بن أحمد الأنصاري.[(٤)] ونستدل من أسماء المساجد التي شيدت بجرجان في العصر الأموي على أسماء بعض القبائل العربية التي شاركت في فتح جرجان ثم استقرت وتناسلت بها. ونذكر منها: تميم،[(٥)] وثقيف،[(٦)] وأسد، وخثعم، وهمدان، وضبة، وعجل، وثعلبة، وأشهرهم بجرجان بنو تميم بن ثعلبة وبنو قيس بن ثعلبة، ومن القبائل العربية التي استوطنت جرجان أيضاً الحضارمة، وسنان، وذهل، ومراد، وقضاعة، والقحطبيون.[(٧)] كما استقر بجرجان بعض أفراد من قبيلة باهلة ومنهم عفان بن سيار الباهلي الجرجاني قاضى جرجان زمن الخليفة المأمون.[(٨)]

كذلك ينتسب بعض الجرجانيين إلى العلويين، وكان محمد

---

(١) السهمي، نفسه، رقم ٦٤٨ ص٣٨٩.

(٢) السهمي، نفسه، رقم ٦٦٦ ص٣٩٦-٣٩٧.

(٣) السهمي، نفسه، رقم ٢١٩ ص١٧٣.

(٤) السهمي، نفسه، رقم ٢٧٩ ص١٩٧.

(٥) السهمي، نفسه، ص٥٧. ومنهم أحمد بن إبراهيم بن محمد بن العباس ابن الأعرابي التميمي الجرجاني (ت ٣٧٨هـ/٩٨٨م) (السهمي، نفسه، رقم ٩١ ص١٠٦).

(٦) ومنهم الحسن بن أحمد بن يحيى بن المغيرة الثقفي الجرجاني (ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م) (السهمي، نفسه، رقم ٢٥٢، ص١٨٧).

(٧) السهمي، نفسه، ص٥٦-٥٧.

(٨) السهمي، نفسه، رقم ٤٧٨ ص٢٨٠.

ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بالديباج لحسن وجهه، ممن قدم جرجان، جاء إليها مع الخليفة المأمون وولى عهده الإمام علي بن موسى الرضا العلوي عام ٢٠٣هـ/٨١٨م، وكان من الثقات، وقد حدث بجرجان وسمع منه عبد الوهاب بن علي بن عمران، ووافته منيته بها فدفن هناك، ومشهده يزار ومشهور عند أهل جرجان بقبر الداعي.(١) ولعل هذا المشهد هو الذي كانت تسميه العجم في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي كَور سرخ (أي القبر الأحمر). ويذكر القزويني أنهم كانوا يعتقدون أن النذر لهذا المشهد يفضي إلى قضاء الحاجة، وقد حملت إلى هذا المشهد من بلاد فارس أموالا كثيرة كانت تصرف إلى جمع من العلويين الجرجانيين.(٢) ومنهم أيضاً ابنه القاسم بن محمد بن جعفر الديباج ومات بجرجان وقبره بجنب قبر والده. ويذكر السهمي أن عقبه كثيرون بجرجان.(٣) ومن العلويين الجرجانيين أبو عبدالله الحسين بن داود بن علي بن عيسى بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وقد روى بجرجان عن أبي بكر محمد ابن إسحاق بن خزيمة،(٤) ومنهم أيضاً أبو الحسن زيد بن عدى بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب،

---

(١) السهمى، نفسه، ص٥٧، والترجمة رقم ٦٢٠ ص٣٦٠، الفاسى، العقد الثمين، تحقيق محمد حامد الفقى، القاهرة، ١٩٥٨، ح١، رقم ١٢٩ ص٤٤٤ -٤٤٧.

(٢) القزوينى، آثار البلاد، ص٣٥١، كى لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤١٩.

(٣) السهمى، تاريخ جرجان، رقم ٦٠٩ ص٣٣٣.

(٤) السهمى، نفس المصدر، رقم ٢٩٠ ص٢٠٠.

وقد حدث بجرجان فسمع عنه بندار بن إبراهيم قاضى إستراباذ.[١]

ولا شك أن أعداد العلويين قد أخذت في الزيادة في جرجان منذ عام ٢٥٥هـ/٨٦٨م، كبقية مناطق الدولة الزيدية في طبرستان والديلم، خاصة بعد أن علا صيت الحسن بن زيد الداعى الكبير مؤسس الدولة الزيدية واشتدت هيبته، وازدادت دولته استحكاما وقوة، فقد أخذ العلويون يتقاطرون عليه من الحجاز والشام والعراق وأقاموا في ولاياته.[٢]

مذاهب أهل جرجان وفرقهم الدينية وصفاتهم الأخلاقية والعلمية :

يتضح من الروايات أن مذاهب أهل جرجان الدينية كانت مختلفة. فقد كان أكثر أهل السنة حنفية على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان والباقون مالكية وشافعية وحنابلة، كما كان بعض أهل جرجان من الشيعة الزيدية، كذلك انتشر المذهب الثوري (نسبة إلى سفيان الثورى أمير المؤمنين في الحديث) في جرجان.[٣] وكان

---

(١) السهمى، نفسه، رقم ٣٢٩ ص٢١٣.

(٢) ستانلى لين بول، طبقات سلاطين الإسلام، ترجمه عن الفارسية مكي طاهر، تحقيق على البصرى، القاهرة، ١٩٨٦، ص١٢٤، عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٢٢، فتحي أبو سيف، خراسان، ص١٥، ٩١.

(٣) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص٢٧٤-٢٧٥، ٢٨٠-٢٨٢، ولمزيد من التفاصيل عن المذهب الثوري راجع: ابن شاهين، تاريخ أسماء الثقات، تحقيق د. عبد المعطى أمين قلعجى، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦، رقم ٤٧٥، ص١٥٤، السهمى، تاريخ جرجان، تراجم ٤٦٩، ٣٤٠، ٣٣٨، ٣٢٢، محمد رواس قلعه جي، موسوعة فقه سفيان الثورى، الطبعة الثانية، دار النفاس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٠.

وعن المذهب الزيدي أنظر: البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٧م. ص١٦-٢٢، ١٧-٢٦ الشهرستاني، الملل
=

للفقهاء مكانة عظيمة في نفوس أهل جرجان، فكانوا يُجلونهم ويرجعون إليهم في كافة أمورهم الدينية، وفي ذلك يقول المقدسي: "ورسمهم بجرجان أن التذكير للفقهاء وأهل الروايات،"[(١)] وكانوا يسمُّون العالم معلما.[(٢)] وقد اعتنق بعض أهل جرجان أفكار المتكلمين، فكان منهم المُرْجِئة،[(٣)] كما كان منهم أتباع لفرقة

=

والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، القاهرة، ١٩٤٨، ص١١٥–١٢٨ ، النوبختي، فرق الشيعة ، طبعة محمد صادق الأبجر ، النجف، ١٩٣٦، ص٥٨، محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الدينية ، القاهرة، ١٩٥٨ ، ص٤٤–٤٨ ، ٦٦١–٦٨٤ ، الشيخ محمد حسين الزين ، الشيعة في التاريخ، الطبعة الثانية ، دار الآثار للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ٧٠–٧٦ ، محمد عمارة ، الوسيط في المذاهب والمصطلحات الاسلامية ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، ٢٠٠٤م ، ص٦٢–٧٢.

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٨٣.

(٢) المقدسي، نفس المصدر، ص٢٨٣.

(٣) الفاسي، العقد الثمين، تحقيق فؤاد سيد ، القاهرة ، ١٩٦٦ م،ح٥ ص٤٧٩. اختلف مؤرخو الفرق الإسلامية و كُتّاب المقالات حول الحديث عن المُرجئة و الإرجاء، و ما زال يعسر على الباحثين تحديد مدلول مصطلح الإرجاء. و الشائع أنهم سموا مُرجئة لأنهم أخّروا العمل عن الإيمان، و الإرجاء بمعنى التأخير. و روى عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال:" لُعنت المُرجئة على لسان سبعين نبياً " ، و لما سئل صلى الله عليه و سلم عنهم قال:هم " الذين يقولون الإيمان كلام ". يعنى الذين زعموا أن الإيمان هو إقرار وحده دون غيره. و أنه قول بلا عمل. و يحاول بعض الكُتّاب أن يرجع جذور الإرجاء إلى عصر الصحابة ، بل إلى نصوص القرآن الكريم نفسه كقوله تعالى ﴿ و آخرون مُرجون لأمر الله ﴾.الآية (القرآن الكريم ، سورة التوبة ، رقم١٠٦) والمُرجئة عند الأشعرى اثنتا عشرة فرقة ، و عند البغدادى ثلاثة أصناف: القدرية و الجهمية و المرجئة خالصة الإرجاء والأخيرة خمس فرق تضل كل فرقة منها أختها و يضللها سائر الفرق، و المرجئة عند الشهرستانى أربعة أصناف. أما الخوارزمى فقال: هم ست فرق . و يرى البغدادى أن أهل السنة و الجماعة كانوا يعتبرون المرجئة القدرية أكفر أصناف المرجئة لأنها جمعت بين ضلالتى القدر و الإرجاء ، أما ابن حزم الأندلسى فكان يرى أن المرجئة بين فرق الشيعة و الخوارج أقل الطوائف بُعداً عن الإسلام الصحيح. و كان للمرجئة أفكارهم السياسية التى

=

الكرّاميّة،[١] ولذلك كثرت بجرجان خوانق الكرّامية، أيضاً كان

=

تخالف أفكار الخوارج، و قد استسلموا للأمر الواقع و قبلوا الحكم الأموى و هيئوا الجو الفكرى لقبول الحكم و إشاعة الاستقرار، و لذلك قيل عنهم مرجئة لأنهم أخرّوا علياً عن الإمامة و قدموا عليه غيره. عن المرجئة و تفصيل مذاهبهم وأفكارهم راجع: الأشعرى، مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٠، ح١، ص١٩٨–٢٠٤، البغدادى، الفرق بين الفرق، ص١٩، ١٩٠–١٩٥، ابن حزم الأندلسى، الفصل فى الملل و الأهواء و النحل، طبعة د. محمد نصر و زميله، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٥، ح٣، ص١٣٤–١٤٠، الشهرستانى، الملل و النحل، ص١٤٠–١٤٤، الرازى، اعتقادات فرق المسلمين و المشركين، ضبط و تقديم و تعليق محمد المعتصم بالله البغدادي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربى بيروت، ١٩٨٦، ص٩٣–٩٥، حسن صادق، جذور الفتنة فى الفرق الإسلامية، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩٣، ص٢١٠–٢١٩، محمد إبراهيم الفيومى، الخوارج و المرجئة، الطبعة الأولى، دار الفكر العربى، القاهرة، ٢٠٠٣، ص١٣١–١٣٧.

(١) الكرّامية فرقة من الفرق المجسمة المبتدعة. وتنتسب إلى داعيها محمد بن كرام السجستاني (ت٢٥٥هـ/٨٦٩م)، ظهرت في سجستان في ق٢ هـ/ق٨ م، وساعد على ظهورها تعدد الفرق الكلامية، وكثرة نقل الآراء والنحل وتعريبها عن الأمم الداخلة في الإسلام في العصر العباسي. وكان دعم الحكام المتواصل أحد أسباب انطلاق الكرامية ونصرة مذهبهم وارتفاع شأنهم. وكانوا يقولون بتجسيم المعبود، وزعموا أنه جسم له حد ونهاية، وأثبتوا جواز رؤيته، كما زعموا أن الله تعالى لم يزل موصوفا بأسمائه المشتقة من أفعاله عند أهل اللغة مع استحالة وجود الأفعال في الأزل، وكانوا يقولون: إن الإمامة تثبت بإجماع الأمة. ولقد انقسمت الكرامية إلى اثنتى عشرة فرقة أهمها: العابدية، والنونية، والهيصمية نسبة إلى دعاتها، وبخراسان ثلاثة فرق هي حقاقية، وطرايقية، وإسحاقية، وانتشرت أفكارهم في مناطق كثيرة من العالم الإسلامي مثل نيسابور، وثغور الشام، وبيت المقدس. وقد صنف الإمام عبد القاهر البغدادي كتاباً ذكر فيه فضائحهم بعنوان "فضائح الكرامية"، و اعتبرهم الأشعرى من فرق المرجئة، أما ابن حزم فقال إنهم من غلاة المرجئة. لمزيد من التفاصيل راجع: البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٢٠٢–٢١٤، الأشعرى، مقالات الإسلاميين، ح١ ص٢٠٥، ابن حزم، الفصل، ح٢، ص٢٦٥، ح٣، ص٢٢٨، ٢٣٣، الشهرستاني، الملل والنحل،

=

التَّجارية بجرجان كثيرون.[١] ويبدو أن تعدد المذاهب واختلاف الفرق قد أدى إلى وقوع عصبيات عليها بين أهل جرجان، فالمقدسي الذي زار هذه البلاد يذكر أنه كان يقع بجرجان عصبيات على المذهب، ومن مظاهر ذلك ما كان يحدث بين أهل جرجان وبكراباذ من قتال على رأس الجمل يوم العيد، وما كان يقع بين الحسنيين والكراميين من حروب وحشية وعصبيات عجيبة.[٢] ولعل ذلك كان بسبب آراء الكرامية في موضوع الإمامة والصراع بين علي ومعاوية، فقد أجاز محمد بن كرام في أحد كتبه إمامة إمامين في وقت واحد مع وقوع الجدال وتعاطى القتال، وكان من رأيه أيضاً أن علياً ومعاوية كانا إمامين في وقت واحد، وأن طاعة كليهما واجبة على أتباعه وإن كان

=

ص١٠٨، الرازي، اعتقادات فرق المسلمين و المشركين، ص٨٧–٨٨، محمد عمارة، الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية، ص١٠٦–١٠٧،

(مقال عن الكرامية)

وأنظر أيضا: عارف تامر، معجم الفرق الإسلامية، دار المسيرة، بيروت، ١٩٩٠، شريف يحيى الأمين، معجم الفرق الإسلامية، دار المسيرة، بيروت، ١٩٩٠.

(١) المقدسي، نفسه، ص٢٨٠. والنّجارية هم أتباع الحسين بن محمد النجار، وهم فرقة من المتكلمين الذين قالوا بالتجسيم، وقد وافقوا الشافعية في أصول، ووافقوا القدرية في أصول، وانفردوا بأصول لهم منها: قولهم بأن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى وبرسله وفرائضه التي أجمع عليها المسلمون، والخضوع له والإقرار باللسان، وزعموا أن الجسم أعراض مختلفة، وزعموا أيضاً أن كلام الله تعالى عرض إذا قرئ وجسم إذا كتب. وافترق النجارية فيما بينهم في العبادة عن خلق القرآن. وهم ثلاث فرق هي البرغوثية والزعفرانية والمستدركة من الزعفرانية وهي فرقتان، وتنسب هذه الفرق إلى رؤسائهم، وكانوا بالرى من بلاد فارس. وعملوا على نشر أفكارهم ،فكانوا يرسلون دعاتهم إلى مكة في موسم الحج لينتشر ذكرهم عند حجيج الآفاق. لمزيد من التفاصيل راجع: البغدادى، الفرق بين الفرق، ص١٩٥–١٩٨.

(٢) المقدسي، نفسه، ص٢٨٥.

أحدهما عادلاً والآخر باغيا.(١)

ورغم ذلك فقد استهجن كثير من الفقهاء الجرجانيين هذه العصبيات المذهبية التي مزقت الأمة الإسلامية ونبذوها، وكان بعضهم يرى أن جميع المسلمين رغم اختلاف مذاهبهم وفرقهم أخوة في الدين، وأن كلا منهم قد اجتهد وله أجره، كما رأوا أن هذا التعصب كان بسبب الجهال والمتسرّفون من القُصّاص وغيرهم.(٢)

وقد اتصف أهل جرجان بمكارم الأخلاق، فكان لهم مروءات يتبارون فيها ويأخذون أنفسهم بها، كما كانوا يأخذون أنفسهم أيضاً بالتأنى والأخلاق المحمودة.كذلك كان الجرجانيون موصوفين بالوقار والستر والسخاء، وقد خرج منهم رجال كثيرون اشتهروا بالفضل وعرفوا بالكرم. و قد صنف أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد الفقيه الجرجانى كتاباً فى أهل جرجان و أصحاب المروءات منهم . غير أن أحوالهم تبدلت، وتغيرت أخلاقهم لهلاك أرزاقهم بتغلب السلاطين عليها، واختلاف العساكر عليهم.(٣) واشتهر أهل جرجان بشغفهم بالعلوم والآداب وبذلهم الأموال الكثيرة في تحصيلها ببلادهم وشد الرحال في طلبها خارجها. فالسهمى يذكر أن أبا عمرو أحمد بن عمر بن أحمد المطرز البكراباذي (ت٤٠١هـ/ ١٠١٠م) كان قد كتب الكثير من العلوم وأنفق مالاً عظيماً في الحديث، وقصد

---

(١) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٢١١.

(٢) المقدسى، نفسه، ص٢٨٠–٢٨٢.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٢٤، السهمى، رقم ٨٨٧، ص٤٥٤، ياقوت الحموى، معجم البلدان، م٢، ص١١٩–١٢٠.

عواصم الثقافة الإسلامية في عصره في رحلة علمية طويلة ليدرس على شيوخها، فسافر إلى سجستان و بست وهراة ونيسابور وأصبهان والعراق والبصرة وبغداد واليمن.(١)

المجاورون الجرجانيون والحياة الثقافية بمكة

المجاورة لغوياً تعني السكن أو الملاصقة في المسكن، وجاور المسجد أي اعتكف به، ويقال جاور المدينة أو مكة، والبناء فيهما تعني: التمتع بجوارهما.(٢) ويرجع تاريخ المجاورة بمكة المكرمة في العصر الإسلامي إلى ما ورد في الأثر عن فضل الإقامة بمكة على جميع البلدان. وقد استحب كثير من العلماء المجاورة بمكة ومنهم الشافعي، وأبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة، وابن القاسم صاحب مالك وغيرهم، لما يحصل فيها من ثواب لا يحصل في غيرها؛ فالصلاة في الحرم أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد، ورواية أهل الحرمين مقدمة على غيرهم، وأن سكانها في ثواب دائم، وقد سماهم الرسول صلى الله عليه وسلم (أهل الله)، واختارهم الله لجواره وميزهم فضلا منه بأنواع خاصة من الرحمات. وكره أبو حنيفة المجاورة بمكة، وفهم ذلك ابن رشد القرطبي من كلام وقع لمالك، وسبب الكراهة كما يقول المحب الطبري: "خوف الملل وقلة الاحترام لمداومة الأنس بالمكان، وخوف ارتكاب ذنب هناك فأن المعصية ليست كغيرها وتهيج الشوق بسبب الفراق". ولم يكره

(١) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ١٠١ ص١٢١.

(٢) الرازي، مختار الصحاح، دار التنوير العربي، بيروت، بدون تاريخ، ص١٧، إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، استانبول، بدون تاريخ، ح١، ص١٤٦.

ابن حنبل المجاورة بمكة، وقال: "إنها فضيلة، وما يخاف من ذنب فيقابل بما يرجي لمن أحسن من تضعيف الثواب". ويذكر النووي في الإيضاح: أن المختار استحباب المجاورة بمكة، إلا لمن يغلب عليه الوقوع في المحذور.(١) ودلل الإمام العلامة تقي الدين الفاسي المكي على استحباب المجاورة بمكة برغبة النبي صلى الله عليه وسلم في سكناها لقوله:"والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت". أخرجه أصحاب السنن، و صححه جمع منهم الترمذي.(٢) ولقول السيدة عائشة رضي الله عنها أيضاً:"لولا الهجرة لسكنت بمكة"،(٣) ويدل على ذلك أيضاً ما ذكره الجندي في فضائل مكة قول ابن عباس رضي الله عنهما:"أقم بمكة وإن

---

(١) الأزرقي، أخبار مكة، مكة، ١٩٦٥، ج٢، ص١٥٥، الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ح١ ص٨٤، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ح١، ص٤٥، الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق د. علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠١، الأسدى المكي، إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام، تحقيق د.الحافظ غلام مصطفي، الطبعة الأولى، دار الصفوة للنشر والتوزيع، ١٩٨٥م، ص٢٠٨-٢٠٩، المحبى، القرى لقاصد أم القرى، القاهرة، ١٣٩٠هـ، ص٦٦١، أحمد عمر الزيلعى ، مكة و علاقاتها الخارجية (٣٠١-٤٨٧ هـ) ، الطبعة الأولى ، عمادة شؤون المكتبات – جامعة الرياض ، الرياض ، ١٩٨١ م ، ص١٣٧ .

(٢) ابن ماجه، السنن، حققه محمود فؤاد عبد الباقى ، المكتبة العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ ، باب فضل مكة من أبواب المناسك، ح٢ ، رقم٣١٠٨ ص ١٠٣٧ ، الترمذى ، جامع الترمذى ، طبعة أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ ، باب فضل مكة من أبواب المناقب،ج٥ رقم٣٩٢٥ ص٦٧٩ ، رقم ٣٩٢٦ ص٦٧٩-٦٨٠ ، ياقوت الحموى، معجم البلدان، م٥، ص١٨٢، الأسدى المكى ، إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام ، ص٢٠٥-٢٠٦ .

(٣) الأزرقى ، أخبار مكة ، ح٢ ص١٥٣ ، ياقوت الحموى ، نفس المصدر ، م٥ ص١٨٢ ، الأسدى المكى، إخبار الكرام ، ص٢١٠ .

أكلت بها العضاه يعنى السمر".[١]

وتجدر الإشارة إلى أن الحسن البصرى قد صنف رسالة في فضل مكة والسكن فيها، وذهب إلى أن المقام بها سعادة والخروج منها شقاوة، ودلل على ذلك بآيات الذكر الحكيم، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم، وكذلك بقصائد الشعراء في فضل مكة وما خصها الله تعالى به من الكرامة والفضيلة.[٢] ورغم فضل المجاورة بمكة، فإن شيخ الإسلام ابن تيمية كان يرى أن المرابطة في الثغور في سبيل الله أفضل من المجاورة بمكة والمدينة وبيت المقدس، واعتمد في تأييد رأيه هذا على بعض الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة مثل أبي هريرة رضى الله عنه[٣]. وإن كانت هذه الأحاديث بإسناد ضعيف.

وقد جاور بمكة المكرمة كثير من الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.[٤] كما جاور بها بعض التابعين والخلفاء في العصرين الأموي والعباسي(١٠٠)[٥]. وكان معظم المجاورين بمكة على

---

(١) الفاسي، شفاء الغرام، ح١، ص٨٤-٨٥، العقد الثمين، ح١، ص٤٣، وأنظر أيضاً: الأزرقي، أخبار مكة، ح٢. ص١٥٦-١٥٧، الفاكهي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، دراسة وتحقيق د. عبد الملك بن عبدالله بن دهيش، الطبعة الثانية، مكة المكرمة. ١٩٩٤، م١، ح٢، ص٢٨٢-٢٨٧. أحمد عمر الزيلعى، مكة وعلاقاتها الخارجية، ص١٣٧-١٣٨.

(٢) الفاكهي، أخبار مكة، م١، ح٢، ص٢٨٨-٣٠٠، الأسدى المكى، إخبار الكرام، ص٢١٠.

(٣) ابن تيمية، مسألة في المرابطة بالثغور أم المجاورة بمكة شرفها الله؟ تحقيق أشرف عبد المقصود، الطبعة الأولى، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ٢٠٠٢، عبد الحكيم بن علي السويد، ذروة السنام يا أمة الإسلام، www. Kalemat.org

(٤) المحبي، القرى لقاصد أم القرى، ص٦٦٢.

(٥) الفاكهي، أخبار مكة، م١، ح٢، ص٣٠٠-٣٠٤.

مذهب السنة والجماعة، كما جاور بها بعض أصحاب المذاهب الأخرى لاسيما الزيدية بمكة، فقد كان لهم وجود كبير في الحقبة موضوع الدراسة. وكان هؤلاء المجاورون من العُباد والزهاد ورجال العلم، وتركوا آثاراً واضحة على الحياة الثقافية والاجتماعية بمكة. وكانت حياة هذا الطراز من المجاورين تبدأ برحلة علمية يجوبون خلالها مراكز الثقافة الإسلامية للقاء علمائها والأخذ عنهم، ثم يأتون مكة لأداء الفريضة وطلب العلم، فيلقون بها عصا الترحال، ويؤثرون الإقامة في جوها الروحي والعلمي لمدة زمنية قد تطول أو تقصر حسب ظروفهم وتبعا لراحتهم، بل أن معظم هؤلاء المجاورين فضلوا البقاء بمكة على العودة إلى أوطانهم الأصلية حتى وفاتهم.(١)

وكان أبو سهل عبد الكريم بن محمد من أوائل علماء جرجان الذين جاوروا بمكة المكرمة. وكان قد خرج من بلده فراراً من الاستمرار في منصب القضاء الذي كان يشغله، واستقر بمكة المكرمة وجاور بها حتى وافته منيته هناك سنة نيف وسبعين و مائة. وكان القاضي أبو سهل عبد الكريم بن محمد الجرجاني قد تتلمذ على شيوخ أجلّة نذكر منهم: زهير بن معاوية، وسليمان بن هوذة، وإبراهيم بن يزيد، وسالم الخياط، والصلت بن دينار، والإمام أبي حنيفة النعمان. كما روى عن الفقيه المحدث عبد العزيز بن جريج القرشي المكي، وكان كما يصفه البخاري لا يتابع في حديثه(٢) ونستدل من الروايات أنه استقر بمكة المكرمة وجاور بها في النصف

(١) أحمد عمر الزيلعي، مكة وعلاقاتها الخارجية، ص١٣٧-١٣٨، -١٤٣.

(٢) الفاسي، العقد الثمين، ج٥، رقم ١٨٢٠ ص٤٤٥، ١٨٥٤ ص٤٧٨.

الثاني من القرن الثاني الهجري، وقد تتلمذ على يده بعض طلاب العلم الذين سيصبح لهم شأن عظيم في الفقه الإسلامي في هذه الفترة الزمنية، ونذكر منهم: أبو يوسف القاضي صاحب الإمام أبي حنيفة النعمان، وسفيان بن عيينة، وقتيبة بن سعد الخراساني، والإمام محمد بن إدريس الشافعي.(١) وكان عبد الكريم الجرجاني كما يصفه ابن حبان من خيار الناس، وكان مُرجِئا، ووصفه تلميذه قتيبة بن سعد بقوله: " لم أر مرجئا خيراً منه".(٢)

وقد حدّث تلاميذ القاضي عبد الكريم الجرجاني برواياته التي سمعوها منه، فالسهمي يذكر أنه سمع عن شيوخ الجرجاني ما رواه قتيبة بن سعد عن معلمه عبد الكريم الجرجاني عن أسانيده وصف الصحابي الجليل سلمان الفارسي رفعة شأن النبي صلى الله عليه وسلم وعظم حرمته، ومكانته السامية في نفوس أصحابه وتأدبهم في مخاطبته والتعامل معه.(٣) كذلك استفاد تلاميذ الإمام الشافعي بمصر وغيرها من البلدان التي انتشر بها المذهب الشافعي ومنها جرجان، برواياته التي سمعها عن شيخه عبد الكريم الجرجاني بمكة المكرمة، واحتفظ السهمي ببعض هذه الروايات وتتعلق إحداها بنظرة الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض الظواهر الطبيعية، مثل: كسوف الشمس وخسوف القمر وزوال النجوم عن مطالعها،

---

(١) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٣٨٩، ص٢٣٩.

(٢) الفاسي، نفس المصدر، ج٥، ص٤٧٩، ابن حجر، تهذيب التهذيب، الطبعة الأولى، حيدر آباد الدكن، ١٣٢٦ هـ، ج٦ ص٣٧٥-٣٧٦.

(٣) السهمي، تاريخ جرجان، ص٢٤٠.

وتفسيره لها بأنها آيات من آيات الله وأنها لا تحدث بسبب موت أحد العظماء كما كان بعض أصحابه يعتقدون، وكذلك حديثه صلى الله عليه وسلم عن الدجالين ومنهم الأعور الدجال الذين سيفتنون المسلمين بكذبهم على الله ورسوله، وتحذيره لأصحابه من تصديقهم.(١)

وكان الحافظ المحدث أبو زرعة أحمد بن حميد الصيدلاني أحد مشاهير علماء جرجان الذين وفدوا مكة المكرمة وأثروا في حركتها الثقافية تأثيراً كبيراً خاصة في علم الحديث. فقد قضى سنواته حافظاً يعرف علل الحديث، ووافته منيته هناك. وكان أبو زرعة الصيدلانى يروى عن شيوخ المحدثين في عصره ونذكر منهم: محمد بن الأعلى، وعمرو بن علي، وأبا حفص الفلاس، وصحب المحدث المشهور الإمام يحيى بن سعيد القطان وتتلمذ عليه، فأظهر نبوغاً في علم الحديث لدرجة أن شيخه يحيى بن سعيد عهد بابنه سعيد إليه ليفيده من علمه.(٢) ولتأكيد مكانة أبي زرعة الصيدلاني

---

(١) السهمى، تاريخ جرجان، ص٢٣٩–٢٤٠. وقد احتفظ أصحاب السنن بأحاديث نبوية كثيرة بإسناد صحيح عن كسوف الشمس و خسوف القمر و أنها آيات من آيات الله ، و أنها لا تحدث لموت أحد ، و أحاديث أخرى عن الأعور الدجال، أنظر: البخارى ، صحيح البخارى ، طبعة أحمد محمد شاكر، دار الجيل(مصورة عن طبعة دار الحديث بالقاهرة) ، بيروت ، بدون تاريخ ، م١ ،ح٢ ص٤٢–٥٠، الترمذى، الجامع الصحيح ، تحقيق إبراهيم عطوه عوض ، دار إحياء التراث العربى ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، باب ما جاء فى الدجال، ح٤، ص٥٠٧–٥١٦، البيهقى ، السنن الكبرى ، طبعة دار الفكر (مصورة عن طبعة حيدر آباد الدكن بالهند) ، بيروت ، بدون تاريخ ، ح٣ ٣٢٠ .

(٢) السهمى، تاريخ جرجان، رقم ٢، ص٦١، ابن فهد المكى، الدر الكمين بذيل العقد الثمين، دراسة و تحقيق د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيس، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ٢٠٠٠م، ح١، رقم ٣٧٦، ص٤٤٩–٥٠٠.

العلمية، وبالتالي مدى تأثيره في الحياة الثقافية بالبلاد التي نزل بها ومنها مكة المكرمة التي جاور بها وقد بلغ مكانة عالية، أن علماء الحديث قد عرفوا قدره وعلو منزلته وقوة حفظه وتأثيره في تلاميذه، فأبو عمران إبراهيم بن هانئ الجرجاني الفقيه الشافعي الذي يرتفع نسبه إلى المهلب بن أبي صفرة كان يرى الصيدلاني أحفظ من الإمام الحافظ أبي زرعة الرازي محدث الرى الذى كان يحفظ ست مائة ألف حديث،[1] كما كان أبو عمران موسى بن هارون البزاز الإستراباذي يأخذ علل الرجال عنه ويدخلها في كتابه.[2]

وكان أبو عبدالله محمد بن إسحاق الفاكهي المكي (ت٢٧٢ أو ٢٧٩هـ/٨٨٥ أو ٨٩٢) أحد أشهر تلاميذه الذين أخذوا عليه بمكة. فقد سمع منه الكثير، وروى عنه اثنتى عشرة رواية أوردها في كتابه "أخبار مكة"، بعضها بإسناد صحيح، و بعضها الآخر بإسناد حسن، وبقيتها بين إسناد ضعيف و متروك و منقطع. ومنها رواية عن نقض بنى بكر حلفاء قريش لعهدها مع الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديبية، فعن عبدالله بن أبي بكر رضى الله عنهما وغيره قالوا: "ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم أقام بالمدينة، وأقامت قريش على الوفاء سنة وبعض أخرى. ثم إن بنى بكر غدروا على خزاعة بماء

(١) السهمى، تاريخ جرجان، ص٦١، وأنظر أيضا: رقم ١٣٩، ص١٣٣، ابن كثير، طبقات الشافعية، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الطبعة الأولى، دار المدار الإسلامى، بيروت، ٢٠٠٤، م١، رقم ٧٧ ص١٩٧، تقى الدين الندوى المظاهرى، علم رجال الحديث، الطبعة الأولى، دبى، ١٩٨٦ م ص٢٧٣-٢٧٤.

(٢) السهمى، تاريخ جرجان، ص٦١، الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار الفكر العربى، بدون تاريخ، م١، ج٢ ص٤٢٤.

لهم بأسفل مكة، يقال له الوتير، فأصابوا منهم رجالاً".[(١)] وجدير بالذكر أن إعلان قبيلة خزاعة التحالف مع المسلمين علناً دون هيبة قريش، كان أحد النتائج الهامة لصلح الحديبية. و كانت خزاعة تخفي حقيقة تعاطفها مع المسلمين منذ قيام دولتهم بالمدينة عن قريش حفاظاً على علاقاتها معها، و قد نقضت قريش الهدنة مع المسلمين عندما أعانت حلفاءها بني بكر بالخيل و السلاح و الرجال ضد خزاعة، فأوقعوا بها الخسائربالوتير، و ألجاؤهم إلى الحرم و قاتلوهم فيه، وبلغ عدد قتلى خزاعة عشرين رجلاً. فاستنصرت خزاعة بالمسلمين، فعوّل الرسول صلى الله عليه و سلم على انتهاز هذه الفرصة للقضاء على مناوأة قريش، و تحقيق رغبته في فتح مكة و ضمها إلى دولته، فوعد عمرو بن سالم الخزاعي بالمساعدة، و قال له: " نصرت يا عمرو". و كان ذلك سبباً مباشراً لفتح مكة.[(٢)]

(١) الفاكهي، أخبار مكة، م٣، رقم٢٩١٢ ص١٠٢-١٠٣.

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع: الواقدي، كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونس، الطبعة الثالثة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٤، ح٢ ص٧٨١-٧٨٤، ابن هشام، السيرة النبوية، طبعة طه عبد الرؤف سعد، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ، ح٣ ص١٩٩، ٢٠٣، ح٤ ص٢٢-٢٧، الطبري، تاريخ الأمم و الملوك، ح٢ ٦٣٥، ح٣ ص٤٣-٤٥، الفاكهي، أخبار مكة، م٣ ص١٠٣-١٠٤، ٢٠٨-٢٠٩، المقريزي، إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء و الأموال و الحفدة و المتاع، طبعة محمود محمد شاكر، القاهرة، ١٩٤١، ح١ ص٣٥٨-٣٥٩، البكري الشافعي، الدرة المكللة في فتح مكة المبجلة، تقديم محمد حجازي، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٧ م، ص٢٥-٣٤، أحمد إبراهيم الشريف، مكة و المدينة في الجاهلية و عهد الرسول، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥ م، ص٥٤٢-٥٤٣، محمد جمال سرور، قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد صلى الله عليه و سلم، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ، ص١٢٨-١٢٩، أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، الطبعة الثالثة، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٨ م، ح٢ ص٤٥٣، ٤٧٣.

وروى الفاكهى عن شيخه أبى زرعة الصيدلانى أيضا أحاديث أخرى عن ميلاد عمر بن الخطاب، ونهاية ثورة عبدالله بن الزبير ضد الخليفة عبد الملك بن مروان، وبعض أخبار المطربين ومنهم معبد والغريض، وبعض أخبار تتعلق بممارسات الحجاج داخل الحرم المكي الشريف.(١)

ويحتفظ السهمى ببعض الروايات التي رواها أبو زرعة الصيدلاني لتلاميذه عن شيخه محمد بن عبد الأعلى، ومنها قول أبي هريرة رضي الله عنه " لا تزال التوبة مقبولة - أو قال: العمل مقبول - حتى تطلع الشمس من مغربها".(٢)

وكان أبو سعيد عبد الرحمن بن سليمان بن موسى بن عدى أحد علماء جرجان الذين نزلوا مكة المكرمة وجاوروا بها، ويصفه السهمى بـ"نزيل مكة".(٣) ولا ندرى متى جاور هذا العالم الجرجاني بمكة، و لا نعلم مدة مجاورته بها. غير أنه يتضح من لقبه (نزيل مكة) أنه مكث بها طويلاً. وكان أبو سعيد عبد الرحمن بن سليمان قد تتلمذ على أيدي كثير من الشيوخ وروى عنهم، ونذكر منهم:أحمد بن سعيد الرازي، وإسحاق بن إبراهيم البصري الجرجاني، وأحمد بن سلمة بن عمرو الكوفي الجرجاني، وعبد الوهاب بن علي بن علي بن عمران الجرجاني. ولا شك أنه قد استفاد

---

(١) الفاكهى، أخبار مكة، الأحاديث أرقام:٢٣٦، ٢٩١٣، ٢٩١٥، ٢٥١٧، ٢١٣٢، ٢١٢٧، ١٧٣٨، ١٧٣٧، ١٧٣٣، ١٦٧٩، ١٥١١.

(٢) السهمى، تاريخ جرجان، ص٦١.

(٣) السهمى، تاريخ جرجان، رقم ٤١٦، ص٢٥٦.

من مجاورته بمكة المكرمة وتأثر وأثر إيجابياً في حياتها الثقافية، فيفهم من الروايات أن طلاب العلم تحلقوا حوله بمكة ينهلون من علمه، وكان منهم مكيون ومقيمون ووافدون لأداء الفريضة. ومنهم طلاب العلم الجرجانيون أنفسهم، ومنهم أبو أحمد عبدالله بن عدى الحافظ الجرجاني الذي روي لتلاميذه عند عودته إلى جرجان أحاديث نزيل مكة التي كان يحدث بها طلابه بمكة عن شيوخه، ومنها رواية شيخه أحمد بن سلمة عن أسانيده عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" أنا مدينة العلم وعليّ بابها، من أراد العلم فليأتها من قبل بابها"، أخرجه الحاكم فى المستدرك على الصحيحين[(١)] "، وتعقبه ابن عدى الجرجانى فى الكامل كما سنرى[(٢)]، وهو من حديث ابن عباس لنفسه، و من حديث علّى حسن لغيره.[(٣)] ومن رواية إسحاق بن إبراهيم البصري الجرجاني عن أسانيده قول أنس بن مالك: " أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نسائه بغسل واحد"، أخرجه البيهقى فى السنن،[(٤)] و لهذا الحديث شواهد كثيرة فى

---

(١) السهمى، تاريخ جرجان، رقم ٧، ص٦٥، الحاكم النيسابورى، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠، ح٣ أرقام ٤٦٣٧-٤٦٣٩.

(٢) ابن عدى، الكامل فى ضعفاء الرجال، تحقيق يحيى مختار غزاوى، الطبعة الثالثة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ١٩٨٨ م، ح٣ ص٤١٢.

(٣) الزرقانى، مختصر المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق د. محمد بن لطفى الصباغ، الطبعة الثانية، مكتب التربية العربى لدول الخليج، الرياض، ١٩٩٥، رقم١٧٠ ص٨٠.

(٤) السهمى، نفسه، رقم٧ ص٦٥، البيهقى، السنن،ح٧، رقم١٤٠٨٥-١٤٠٨٦.

صحيح مسلم.[١]

كما روى نزيل مكة عن شيخه عبد الوهاب بن علي بن عمران الجرجاني عن أسانيده عن جابر بن عبد الله الأنصارى حديثا للرسول صلى الله عليه وسلم عن حرمة مكة وساكنيها وهو" لا يسكن مكة آكل الربا ولا سافك الدم ولا مشاء بنميمة"، أخرجه الصنعانى فى مصنفه.[٢] كما روى عن شيخه أحمد بن سعيد عن أسانيده عن المسور بن مخرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا طلاق قبل النكاح"، أخرجه ابن ماجه بإسناد حسن،[٣] و لهذا الحديث شواهد كثيرة فى بعض كتب الصحاح و السنن[١٢٢][٤] . وقد تتلمذ بعض البغداديين على نزيل مكة واستفادوا من علمه، ثم حدثوا طلابهم الجرجانيين بما سمعوه منه، فالسهمى يذكر أن أبا بكر محمد بن أحمد المفيد الجرجرائي (نسبة إلى جرجرايا إحدى القرى المشهورة ببغداد) ،[٥] أخبره إجازة بجرجرايا حديثا نبويا سمعه من نزيل مكة عن شيخه أحمد بن سعيد الرازي بإسناده عن الصحابى

---

(١) مسلم ، صحيح مسلم، دار البيان العربى (مصورة من طبعة استانبول المطبوعة عام ١٣٢٩ هـ) ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ ، باب جواز نوم الجنب ، ح١ رقم٤٩ ص٣٠٩ .

(٢) الصنعانى ، المصنف ، باب ما يبلغ الإلحاد و من دخله كان آمنا ، ح٥ ، رقم٩٢٢٤ ص١٥١ ، السهمى، تاريخ جرجان، رقم ٣٩٩، ص٢٤٨.

(٣) ابن ماجه ، السنن ، ح١ رقم٢٠٤٨ ص٦٦٠ ، السهمى ، تاريخ جرجان ، رقم٤١٦ ص٢٥٧ .

(٤) الصنعانى ، المصنف ، ح٦ أرقام ١١٤٥٠ ، ١١٤٥٢ ص٤١٥-٤١٧ ، البخارى ، صحيح البخارى ،م٣ ، ح٧ ص٥٧-٥٨ ، البيهقى ، السنن ، ح٧ رقم١٣٨٩٩ ص٤٦٤ ، و أيضا أرقام ١٤٨٦٩ ، ١٤٨٨٠-١٤٨٨٤ ، الهيثمى ، مجمع الزوائد و منبع الفوائد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ ، ح٤ ص٣٣٤ .

(٥) القزوينى، آثار البلاد، ص٣٥١.

الجليل عمرو بن عبسة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: " من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير بإسناد حسن.[١] وهذا الحديث متواتر في كل كتب الصحاح و السنن بطرق أخرى.[٢]

ونستدل من الروايات أن أبا عبد الله محمد بن حميد الوراق الجرجاني ساهم في الحياة الثقافية بمكة المكرمة. فقد استقر بها وعمل بالوراقة وهي من المهن وثيقة الصلة بالحياة الثقافية، مما أتاح له فرصة عظيمة للاحتكاك بالعلماء المكيين والمجاورين والوافدين لأداء الفريضة، فأخذ عنهم ثم حدث بما سمعه منهم بمكة أيضاً، فاستفاد منه طلاب العلم ومنهم بعض أهل جرجان القادمين للحج، فالسهمي يذكر أن أبا بكر الإسماعيلي جلس إليه بمكة وسمع منه رواياته عن يزيد بن سنان عن شيوخه عن السيدة عائشة عن أبيها الصديق رضي الله عنهما أن الرسول صلى الله عليه وسلم " كان إذا أراد أمراً قال:

---

(١) أورد الطبراني بعض طرق هذا الحديث في المعجم الكبير(ح١٢ أرقام ١٢٣٩٣–١٢٣٩٤ ، ١٣١٥٣–١٣١٥٤ ، ح١٥–١٧ أرقام ٢٨٨ ، ٣٤٦ ، ٨٣٢ ، ٨٤٣ ، ٩٠٤ ، ح١٩ أرقام ٦٥٧ ، ٨٧٩، ٩٢٢ ، ح٢٠ أرقام ٩٧٤–٩٧٥ ، ١٠٨٤ ، ح٢٢ رقم٦٧٥) ، السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٤١٦ ص٢٥٧ ، السيوطي ، تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ، تحقيق د. محمد بن لطفي الصباغ ، الطبعة الثانية ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٤ م ، رقم٣٤ ص٩١ ، الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ح١ص١٤٦ ، الزرقاني ، مختصر المقاصد الحسنة ، رقم١٠٧٢ ص٢٢٣ .

(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، باب إثم منْ كذب على النبي صلى الله عليه و سلم ح١ ص٣٨ ، ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ح١ ص١، السهمي ، نفس المصدر ، رقم٨٤٢ ص٤٤٤ . و قد أورد السيوطي كل طرق هذا الحديث التي جاوزت المائة (السيوطي، تحذير الخواص، ص٧٥–١٢٥).

اللهم خرلي واختر لي"، أخرجه الترمذى.[١] وقد حدث أبو بكر الإسماعيلي تلاميذه ومنهم السهمى بهذه الرواية عند عودته إلى جرجان.[٢]

وكان الإمام الحافظ أبو زرعة محمد بن يوسف بن الجنيد الكشى الجرجاني قد تتلمذ على أيدي شيوخ عصره بجرجان، ونذكر منهم: الفقيه الحافظ أبا نعيم عبد الملك بن محمد بن عدى الإستراباذى والحافظ موسى بن العباس الأزاذياري (ت ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م)، وعبد الله بن محمد بن مسلم وأحمد بن عبد الله بن زكريا الفقيه الجرجاني،[٣] وجماعة غيرهم، ثم رحل عن جرجان في رحلة علمية جاب فيها مراكز الثقافة الإسلامية في المشرق، فأخذ عن شيوخ خراسان ونيسابور وسرخس والرى وهمدان، وعندما حل بالعراق كان قد أكتمل تحصيله ومع ذلك فقد أخذ عن شيوخ العراق، ثم حدّث ببغداد، ودخل البصرة في عام ٣٧٤هـ/ ٩٨٤م، وجلس للتدريس في مسجدها الجامع، فأخذ عنه كثير من طلاب العلم من أهلها ومن الغرباء الذين وفدوا عليها ليدرسوا على مشاهيرها، وكان السهمى الجرجاني ممن درس على أبي زرعة الكشى وكتب عنه في مسجد البصرة في شعبان سنة ٣٧٤هـ.

ثم ألقى عصا التسيار بمكة المكرمة وجاور وحدّث بها سنين إلى أن توفى بها في سنة ٣٩٠هـ/٩٩٩م. ويفهم من إحدى

(١) الترمذى ، الجامع الصحيح ، طبعة أحمد محمود شاكر ، ح٥ رقم٣٥١٦ ص٥٠٠ .

(٢) السهمى، تاريخ جرجان، رقم ٨٤٣، ص٤٤٤.

(٣) السهمى، تاريخ جرجان، رقم ٧٥ ص٩٩، ٤٥٤.

الروايات أنه كان موجوداً بها في عام ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م،[١] مما يدل على أنه قد جاور بها في هذا التاريخ أو قبله.

ويذكر الذهبي أن أبا زرعة الكشي سمع من شيوخ الحرم عند استقراره بمكة المكرمة وكتب عنهم.[٢] ولقد ساهم أبو زرعة الكشي في الحركة الثقافية بمكة منذ أن استقر بها، وقد استفاد المكيون و غيرهم من الوافدين عليها لأداء الفريضة من علمه الغزير الذي حصّله في رحلته العلمية الطويلة، فالسهمى يذكر أنه سمع منه بمكة في سنة ٣٨٥هـ/ ٩٩٠ م، بعض الأحاديث النبوية التي رواها عن شيخه أبي محمد عبدالله بن محمد بن الحسن النيسابورى عن أسانيده، ومنها عن زيد بن خالد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة "أخرجه أبو داود ، وله شواهد كثيرة.[٣] وكذلك سمع أبو معمر المفضل بن إسماعيل الإسماعيلي الجرجاني من أبي زرعة الكشي وكتب عنه بمكة، عندما كان يؤدي فريضة الحج في عام ٣٨٥هـ / ٩٩٠ م.[٤]

(١) السهمى، تاريخ جرجان، ص٤٥٥.

(٢) الذهبي، تذكرة الحفاظ، م٢، ح٣، رقم ٩٢٨ ص٩٩٨.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، م١، ح١ ص١٥١-١٥٢، أبو داود، سنن أبى داود، ح١، رقم٤٦ ص١٢، النسائى، سنن النسائى المجتبى، مكتبة و مطبعة الحلبى، القاهرة، ١٩٦٤، م١، ح١ ص١٥-١٦، السهمى ، نفس المصدر ، رقم٨٨٨ ص٤٥٥ ، البيهقى، السنن الكبرى، ح١ ص٣٧ ، محمد ناصر الألبانى، صحيح سنن النسائى، الرياض، ١٩٨٨ م، ح١ ص٤. وأخرج أصحاب السنن حديثا نبويا صحيحاً مشتهراً على الألسنة فى فضل الصلاة بالسواك، و هو قوله صلى الله عليه و سلم: "صلاة بسواك خيرٌ من سبعين بغير سواك" (الزرقانى ، مختصر المقاصد الحسنة، رقم٥٨٦ ص١٤٦).

(٤) السهمى، تاريخ جرجان، رقم ٩٢٧، ص٤٦٤.

وكان الحافظ عبد الغنى بن سعيد ممن تحلق حول أبي زرعة الكشي وتتلمذ عليه بمكة. ويذكر الذهبي أن عبد الغنى بن سعيد سمع من الكشي رواياته عن شيخه محمد بن عبد الرحمن الدغولي السرخسي (ت ٣٢٥هـ/٩٣٦م) وقد صنف كتاباً في معرفة الصحابة، ومنها روايته عن مصادره عن الصحابي الجليل ابن أبي أوفى أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات(أو ست عند بعض أصحاب السنن) يأكل معه الجراد.[١] و جدير بالذكر أن الإسلام أحّل للمسلمين أكل الجراد، و مصداق ذلك قول رسول الله صلى الله عليه و سلم:" أُحلت لكم ميتتان و دّمان. فأما الميتتان فالحوت و الجراد. و أما الدّمان، فالكبد و الطحال ". أخرجه ابن ماجه و غيره،[٢] و هو حديث حسن و أسانيده صحيحة، وهو من الأحاديث المشتهرة على الألسنة.[٣] و مع ذلك فقد دعا الرسول على الجراد بالهلاك لإفسادها أرزاق الناس، فعن أنس بن مالك أن الرسول صلى الله عليه و سلم دعا على الجراد فقال: " اللهم أهلك الجراد، و خذ بأفواههم عن معاشنا و أرزاقنا إنك سميع الدعاء "، أخرجه

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، م٢، ح٦ ص٧٠–٧١، الترمذى، الجامع الصحيح، ح٤، أرقام١٨٢١–١٨٢٢ ص٢٦٨، النسائى، سنن النسائى، م٤، ح٧ ص٢٠٢، الخطابى، أعلام الحديث فى شرح صحيح البخارى، تحقيق و دراسة د. محمد بن سعيد بن عبد الرحمن آل سعود، الطبعة الأولى، مركز إحياء التراث، جامعة أم القرى، مكة، ١٩٨٨ م، ح٣ رقم١٠٤٣/ ٥٤٩٥ ص٢٠٧٤، البيهقى، السنن الكبرى، ح٩ ص٢٥٧، الذهبي، تذكرة الحفاظ، م٢، ح٣ ص٩٩٨، الألبانى، صحيح سنن النسائى، ح٣ أرقام ٤٠٦٣–٤٠٦٤.

(٢) ابن حنبل، المسند، ح٢، ص٩٧، ابن ماجه، السنن، ح٢، رقم ٣٣١٤ ص١١٠٢، الخطابى، أعلام الحديث فى شرح صحيح البخارى، ح٣، ص٢٠٧٥، البيهقى، السنن الكبرى، ح١، ص٢٥٤، ح٩ ص٢٥٧، الألبانى، صحيح سنن ابن ماجه، ح٢، رقم٢٦٧٩ /٣٣١٤ ص٢٣٢.

(٣) الزرقانى، مختصر المقاصد الحسنة، رقم٢٣ ص٥٦.

الترمذى.[١] ومن مظاهر تأثر أبي زرعة الكشى بالحياة الثقافية بمكة المكرمة أنه تبحر في معرفة أنساب القرشيين، وصار عالما بها مما جعل السهمى يعتمد عليه كمصدر هام في تاريخه لعلماء جرجان خاصة الذين أدعوا انحدارهم من أصول قرشية، فعندما سأله بمكة عن نسب أبي الحسين أحمد بن الحسن الجرجاني، وهل هو من ولد جرير بن عبد الملك المكي؟، نفي ذلك.[٢] ولاشك أن تخصص أبي زرعة الكشى في علم الأنساب جعل كثيرا من المكيين يرجعون إليه لتأصيل أنسابهم وتأكيدها. ويتضح من الروايات أن أبا زرعة الكشى كان على دراية كبيرة بأقدار العلماء ومكانتهم العلمية، فعندما سأله السهمى عن المحدث أحمد بن محمد بن رميح النسوى الذي حدث بجرجان، قال: إنه ضعيف.[٣]

كذلك جاور أبو القاسم الخيمي عبد الرحمن بن محمد بن الحسين الجرجاني بمكة المكرمة سنين كثيرة ومات بها في سنة ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م. وكان قد تلقى العلم على مشاهير شيوخ بلده وروى عنهم، ومنهم: أبو بكر الإسماعيلي وأبو أحمد بن عدى وأبو بكر الصرامى وغيرهم. ومن المرجح أن هذا الجرجاني المجاور قد ساهم بفعالية في الحياة الثقافية بمكة لطول إقامته بها، وتكوينه العلمي المتين، ومما لا شك فيه أنه طلب العلم واشتغل به.[٤]

(١) الترمذى، الجامع الصحيح، م٤، رقم١٨٢٣ ص٢٦٩.

(٢) السهمى، تاريخ جرجان، رقم ١٠٢ ص١٢١.

(٣) السهمى، تاريخ جرجان، ص١٢٢.

(٤) السهمى، تاريخ جرجان، رقم ٤٢٤، ص٢٦٠–٢٦١.

الحجاج الجرجانيون والحياة الثقافية بمكة :

وفد كثير من أهل جرجان إلى مكة المكرمة لأداء الفريضة و تلقى العلم على أيدى العلماء الموجودين بها ، فأخذوا عن المكيين، و عن علماء الأمصار الإسلامية الأخرى الذين جاوروا و استقروا بها ، و منهم علماء جرجان أنفسهم. و كان أبو عبد الله كرز بن وبرة الحارثى من مشاهير أهل جرجان الذين تأثروا بالحياة الثقافية بمكة المكرمة وأثروا فيها. وكان ينتسب إلى الكوفة ، ودخل جرجان غازيا مع يزيد بن المهلب في عام ٩٨هـ/٧١٦م فسكنها واستقر بها ، وأصبح له بها موالٍ،(١) وشيد مسجداً في طرف سليماناباذ ظل باقيا إلى بدايات القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي بقرب قبره. وكان كرز بن وبرة الحارثي معروفا بالزهد والورع والعبادة والخوف من الله، حتى إنه كما يذكر تلميذه محمد بن فضيل عن والده لم يرفع رأسه إلى السماء أربعين سنة حياء من ربه،(٢) كما اشتهر بكثرة الصلاة، فكان يصلى حتى ترم قدماه، فيحفر الحفيرة فيملؤها تبنا ، ثم يقوم عليه من تورم قدميه.(٣)

وقد تردد كرز بن وبرة على مكة كثيراً ، وكان يلازم المسجد الحرام ويُكثر من الطواف حول الكعبة حتى اشتهر بذلك.

---

(١) السهمى، تاريخ جرجان، رقم ٣٦٧ ص٢٢٨.

(٢) السهمى، تاريخ جرجان، رقم ٦١٨ ص٣٣٦ – ٣٣٧.

(٣) كان ابن شبرمه يصف اجتهاد كرز بن وبرة وكثرة صلاته فيقول:

لو شئت كنت ككرز في تعبده ... أو كابن طارق حول البيت والحرم

قد حال دون لذيذ العيش خوفهما ... وسارعا في طلاب الفوز والكرم

(السهمى، نفس المصدر، ص٣٣٦ – ٣٣٧).

وكان يروى عن الصحابي الجليل عبدالله بن عمر بعض أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، كما تتلمذ على يد الفقيه المحدث أبو محمد عطاء بن أبي رباح القرشي المكي مولى فهر مفتى أهل مكة في عصره (ت١١٥هـ/٧٣٣م) ،[١] وروى عنه كثيرا من الأحاديث النبوية الشريفة نقلا عن أبي هريرة، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم مخاطبا أصحابه ذات يوم "خذوا زينة الصلاة، فقالوا: يا رسول الله، وما زينة الصلاة، قال: البسوا نعالكم فصلوا فيها".[٢] كما روى عن كبار الصحابة ومنهم أبو سعيد الخدري، ومعاوية بن أبي سفيان، والعبادلة الأربعة ابن عمرو، وابن عباس، وابن الزبير، وابن عمر وغيرهم. كذلك روى عددا من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن الربيع بن خثيم عن عبدالله بن مسعود وعمر بن الخطاب. وقد استفاد أهل جرجان من هذه العلوم التي حصّلها كرز بن وبرة في مكة، فالروايات تذكر أن تلاميذه تحلقوا حوله بجرجان وأخذوا منه الأحاديث النبوية الشريفة التي سمعها بمكة، ثم قاموا بدورهم برواياتها لطلابهم في جرجان وفي غيرها من البلدان الإسلامية الأخرى، ومنها سمرقند وبخارى.[٣]

وكان الزاهد أبو طيبة عيسى بن سليمان الدارمى الجرجاني

---

(١) عن ترجمة عطاء بن أبي رباح أنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ح١، ص٣١٨، الذهبي، تذكرة الحفاظ، م١، ح١ ص٩٨، الفاسى المكى، العقد الثمين، ح٦، رقم١٩٩٨ ص٨٤-٩٣، السيوطي، طبقات الحفاظ، تحقيق د. على عمر ، الطبعة الأولى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، رقم ٨٨ ص٣٩ ، ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ، مكتبة المقدسى ، القاهرة ، ١٣٥٠ ، ح١ ص١٤٧ .

(٢) السهمى، تاريخ جرجان، ص٢٥٦ — ٢٥٧.

(٣) السهمى، نفسه، ص٢٥٨.

(ت ١٥٣هـ/٧٧٠م)، أبرز علماء جرجان الذين صحبوا كرز بن وبرة وتتلمذوا عليه.[(١)] و قد روى عنه كثيراً من الأحاديث النبوية الشريفة التي سمعها من كبار الصحابة والتابعين.[(٢)] وتذكر الروايات أن أحمد وعبد الواسع ابنى أبي طيبة رويا هذه الأحاديث عن أبيهما،[(٣)] كما رواها عنه أيضاً تلاميذه الجرجانيون، ومنهم أبو سعيد سعد بن سعيد الجرجاني المعروف بسعدويه،[(٤)] ثم تناقلها تلاميذ هذا الأخير وأبرزهم المحدث محمد بن سليمان بن وردان الجرجاني،[(٥)] ثم تلاميذه من بعده. ومما رواه محمد بن سليمان بن وردان عن سعد بن سعيد عن أبى طيبة عن كرز بن وبرة ما رواه عن الربيع بن خثيم عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما رأيت مثل الجنة نام طلابها، وما رأيت مثل النار نام هاربها" أخرجه الطبرانى فى المعجم الأوسط، و إسناده حسن.[(٦)]

---

(١) ولد أبو طيبة عيسى بن سليمان بجوزجان إحدى كور خراسان، ولما أدرك خرج يطلب العلم فوقع إلى أرض جرجان، وانخرط في صفوف جيش يزيد بن المهلب، فلقى كرز بن وبرة فصحبه حتى فتحت جرجان، فاختط موضع داره وأقام بها، كما شيد مسجداً بجوارها، وكان له نعمة ظاهرة من الضياع والعقار، أوقفها على أولاده وأحفاده، وقبره بقرب نهر طيفور في طرف مقبرة سليماناباذ (السهمى، تاريخ جرجان، ص٢٨٥-٢٨٧.

(٢) السهمى، نفس المصدر، ص٢٣٦-٢٤٢-٢٤٤-٣٥٠-٣٥٣-٣٥٤.

(٣) السهمى، نفس المصدر، ص٣٥٣، ٣٥٠، ٢٨٥-٣٥٤.

(٤) السهمى، نفس المصدر، ص٢٨٥، ٣٤٢. وقد روى أيضاً عن سفيان الثورى، وكان عنده عنه مسائل سئل عنها بجرجان، وأنشأ مسجداً له بجنب مسجد جرجان الجامع (السهمى، نفس المصدر، رقم ٣٤٠، ص٢٦٧-٢١٨).

(٥) السهمى، نفسه، رقم ٦٣٠ ص٣٧٧، وانظر أيضاً: ص٣٤٢-٣٤٣.

(٦) الطبرانى، المعجم الأوسط، حققه أيمن صالح شعبان، الطبعة الأولى، دار الحديث، القاهرة، =

وجدير بالذكر أن كثيراً من الجرجانيين الذين وفدوا مكة المكرمة لأداء فريضة الحج قد أخذوا عن العلماء الذين استوطنوها والمجاورين حول الحرم. فالسهمى يذكر أن حماد بن زيدك الجرجاني تحلق حول سفيان بن عيينة، وكانت حلقته أشهر حلقات علم الحديث حول الكعبة في عصره وكان تلميذه الإمام الشافعي يصفه بقوله: "ما رأيت أحداً من الناس فيه من آلة العلم ما في سفيان بن عيينة، وما رأيت أحداً أكفّ عن الفتيا منه. وما رأيت أحداً أحسن لتفسير الحديث منه".[(١)] وسمع منه عن شبيب بن غرقدة، وعن السدى تفسيره لقول الله سبحانه وتعالى " إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم"،[(٢)] بأنه رجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية، يقال له: أتق الله، فييجل قلبه،[(٣)] كما سمع منه عن ابن أبي نجيح. وكان حماد بن زيدك يروى عن علماء آخرين ومنهم ابن المبارك، سمع منه عن حيوة بن شريح عن فضالة بن عبيد قول النبي صلى الله عليه وسلم " المجاهد مَنْ جاهد نفسه في الله "، أخرجه الترمذى و قال حديث فضالة حديث حسن صحيح،[(٤)] كما سمع من أبي معاوية سهل بن الحسن أنه قال: "

=

١٩٩٦ م ،ج٢ رقم١٦٦٦ ص٢٠١ ، السهمى، نفسه، ص٣٧٧، الهيثمى ،مجمع الزوائد و منبع الفوائد ، ج١٠ ص٢٣٠ .

(١) الفاسي، العقد الثمين، ج٤، رقم ١٣١١، ص٥٩١. وكان سفيان بن عيينة كما يصفه ابن شاهين صاحب شرطة سفيان الثورى أمير المؤمنين في الحديث (تاريخ أسماء الثقات، رقم ٤٧٦، ص١٥٤-١٥٥).

(٢) القرآن الكريم ، سورة الأنفال ، آية رقم ٢ .

(٣) السهمى ، نفسه ، رقم٢٩٢ ص٢٠١ .

(٤) الترمذى ، الجامع الصحيح ، باب ما جاء فى فضل منْ مات مرابطا ، ج٤ ، رقم١٦٢١ ص١٦٥ .

يؤتي بالعلماء يوم القيامة فيخاطبهم الله عز وجل قائلاً: "ما جعلت نوري وحكمتي فيكم إلا وأنا أريد بكم خيراً، أذهبوا فقد غفرت لكم".(١)

ومما لاشك فيه أن تلاميذ حماد بن زيدك من أهل جرجان قد استفادوا من علمه الذي تلقاه عن شيوخه بمكة ورووه عنه ومن أشهرهم: الحافظ عمار بن رجاء الإستراباذي وكان محدثاً ثقة(٢) وإسحاق بن إبراهيم بن خالد الطلقي المؤذن الإستراباذي وكان من أهل الرأي الثقة في الحديث.(٣)

كذلك وفد عبد الوهاب بن إدريس الجرجاني على مكة المكرمة، فأدى الفريضة وتردد على حلقات العلم هناك، فأخذ عن علمائها وروى عنهم ومنهم تمام أو ثمامة. وقد انتشرت روايات تمام بين الجرجانيين الذين أخذوا عن تلاميذ عبد الوهاب بن إدريس، فالسهمي يذكر أنه سمع من أحمد بن سعيد بن عمران الذراع الجرجاني عن يوسف بن يعقوب عن أحمد بن يوسف البحيري تلميذ عبد الوهاب بن إدريس الجرجاني ما سمعه من تمام بمكة عن مصادره أن العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والجزء العاشر في الهرب من الناس.(٤)

وكان عبد الوهاب بن علي بن عمران من علماء جرجان الذين

(١) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٢٩٢، ص٢٠١-٢٠٢.

(٢) السهمي، نفس المصدر، ص٢٠١، وأنظر أيضاً: رقم ١١٣٣، ص٥٣٥.

(٣) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ١٠٦٩، ص٥١٧.

(٤) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٤٠٤، ص٢٥٠.

وفدوا إلى مكة لأداء الفريضة و تلقى العلم. و كان قد روى عن محمد بن جعفر العلوي الملقب بالديباج و كتبوا عنه بجرجان في عام٢٠٣هـ/ ٨١٨م،[(١)] كما روى عن مؤمل بن إسماعيل. ويفهم من الروايات أن عبد الوهاب بن علي الجرجاني قد تأثر بالحياة العلمية بمكة المكرمة، فقد أخذ عن العلماء الموجودين بها، ومنهم: عبدالله بن الوليد العدنى المكي، فقد روى عنه عن سفيان الثوري عن أسانيده عن جابر بن عبد الله الأنصارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا يسكن مكة آكل الربا ولا سافك الدم ولا مشاء بنميمة"، أخرجه الصنعانى فى مصنفه،[(٢)] كما روى عن أبي الحارث المدني عن أسانيده عن ابن عمر حديث النبي صلى الله عليه وسلم " لا بأس أن تهجر مَنْ لا ترجو خيره ولا تأمن من شره".[(٣)] كما ساهم هذا العالم الجرجاني بشكل غير مباشر في الحياة العلمية بمكة، فقد ساهم في تشكيل ثقافة كثير من العلماء الذين جاوروا بمكة وأثروا في حياتها الثقافية؛ ومنهم: عبد الرحمن بن سليمان الجرجاني نزيل مكة، وروى عنه بعض الجرجانيين ومنهم أحمد بن حفص السعدي، وعبد الرحمن بن سليمان الجرجاني، وأحمد بن إبراهيم بن أبي رافع، وأبو عمران إبراهيم بن هانئ الفقيه الشافعي وغيرهم.[(٤)]

---

(١) السهمى، تاريخ جرجان، رقم ٦٢٠. ص٣٦٠-٣٦٢.

(٢) الصنعانى ، المصنف ، باب ما يبلغ الإلحاد و من دخله كان آمنا ، ح٥ رقم٩٢٢٤ ص١٥١ ، السهمى ، تاريخ جرجان ، رقم٣٩٩ ٢٤٨.

(٣) السهمى، تاريخ جرجان، رقم ٣٩٩، ص٢٤٨-٢٤٩، أبو هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول، موسوعة أطراف الحديث النبوى الشريف، الطبعة الأولى، عالم التراث، بيروت، ١٩٨٩ م، م٧ ص٣٥.

(٤) السهمى: تاريخ جرجان، ص٢٤٨.

وكان أبو أحمد محمد بن أحمد بن يحيى بن شرين المعروف بالمأمون من أهل جرجان الذين قدموا مكة في الربع الأول من ق٣ هـ/ق٩م، وتتلمذ على أيدي علمائها، ومنهم المحدث علي بن الجعد وكان ثقة ثبتاً، [(١)] سمع منه عن أسانيده حديث النبي صلى الله عليه وسلم "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، و إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، و ليُحد أحدكم شفرته وليُرح ذبيحته". أخرجه أصحاب السنن و صححه مسلم و ابن ماجه، [(٢)] وهو حديث صحيح من الأحاديث المشتهرة على الألسنة. [(٣)] كذلك تتلمذ على الحافظ الثقة أبي زكريا يحيى بن عبدالله بن بكير القرشي المخزومي (ت٢٣١هـ/٨٤٥م) صاحب الإمام مالك بن أنس، [(٤)] وكتب عنه بمكة في عام ٢٢٧هـ/٨٤١م، حديثه عن شيوخه قول أبي الدرداء " تعلموا فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء ولا خير في الناس بعدهما". [(٥)]

وقد استفاد بعض الجرجانيين من العلم الذي حصّله الشرينى بمكة وكتبوه عنه ثم حدثوا به تلاميذهم بجرجان. فالسهمى يذكر أنه

---

(١) الدارقطنى، ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم، دراسة و تحقيق بوران الضناوى و زميلها، الطبعة الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ، ١٩٨٥م، رقم ٧٢٩ ص٢٥٢، الذهبي، المعين في طبقات المحدثين، رقم ٨١٦ ص٧٦، ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ح٧ ص٢٩٢.

(٢) مسلم ، صحيح مسلم ، ج٦ ص ٧٢، ابن ماجه ، السنن، ج٢، رقم ٣١٧٠ ص١٠٥٨، النسائى، سنن النسائى ، م٤ ،ح٧ ص٢٠٢ ، البيهقى ، السنن الكبرى ، ح٩ ص٢٨٠ ، الألبانى ، صحيح سنن النسائى ، ح٣ رقم٤١١٠-٤١١١ ص٩٢١ .

(٣) الزرقانى، مختصر المقاصد الحسنة، رقم٦٧ ص٦٣.

(٤) الدارقطنى، ذكر أسماء التابعين، رقم ١٢٤٠، ص٤٠٦، الذهبي، تذكرة الحفاظ، م١، ح٢ ص٤٢٠.

(٥) السهمى، تاريخ جرجان، رقم ٦٤٠، ص٣٨٦.

سمع من شيوخه، ومنهم أحمد بن محمد بن إسماعيل بن الصرام، وعلى بن محمد بن هارون الواعظ الجرجاني روايات ابن شرين الجرجاني عن علي بن الجعد المكي.(١)

وكان أبو الحسن أحمد بن عبدالله بن عبدك الوراق العدسي الجرجاني من العلماء الرحالة الذين جابوا الأقطار الإسلامية للقاء علمائها والأخذ عنهم سماعا أو إجازة، فقد رحل إلى اليمن والتقى المحدث إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدَّبرى الملقب بـ"مسند اليمن" بصنعاء (ت٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)، (٢) وروى عنه خبراً بأسانيده عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يشير في الصلاة، (٣) ثم قدم مكة المكرمة وأخذ عن شيوخها والمجاورين بها ومنهم: الحافظ الصدوق أبو الحسن على بن عبد العزيز البغوى شيخ الحرم الشهير بمحدث مكة ومصنف المسند، وكان ثقة ثبتاً مأموناً (ت٢٨٥هـ/٨٩٨م). (٤) ونستدل من الروايات أن رحلة ابن عبدك العلمية كانت في مطلع شبابه، وأنه عاد بعدها إلى بلده جرجان وحدث بها تلاميذه، ومنهم أحمد بن موسى بن عيسى شيخ السهمى، بما استفاده

(١) السهمى، تاريخ جرجان، ص٣٨٦.

(٢) عن الدبري، أنظر: الجعدي ، طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق فؤاد سيد ، دار القلم، بيروت ، ١٩٥٧ م ص٦٤ ، الذهبي ، المعين في طبقات المحدثين ، رقم ١١٨٤ ، ص١٠٤ ، ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب ، ج٢ ، ص١٩٠.

(٣) الدارقطنى ، سنن الدارقطنى ، عُنى بتصحيحه السيد عبد الله هاشم يمانى المدنى ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٩٦ م ، م١ ، ج٢ رقم ٣ ص٨٤ ، السهمى ، تاريخ جرجان ، رقم٨٨ ص١٠٥.

(٤) الذهبي، المعين في طبقات المحدثين، تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، الطبعة الأولى، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٤، رقم ١١٨٥ ص١٠٤، تذكرة الحفاظ، م١، ج٢ رقم ٦٤٩، ص٦٢٢، ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب ، ج٣ ، ص١٩٣ .

خلال هذه الرحلة خاصة سماعة عن الدبرى وعلي بن عبد العزيز.[(١)]

وقدم جعفر بن أحمد بن إسماعيل بن شهريل الإستراباذي (ت٣٢٢هـ/ ٩٣٤م) مكة المكرمة وأخذ عن علمائها وكتب عنهم، ونذكر منهم: سعيد بن عبد الرحمن المخزومي، وعبد الرحمن بن عبدالله المقرئ. وكان جعفر بن شهريل قد تتلمذ على شيوخ عصره من أهل إستراباذ وجرجان وروى عنهم، ومنهم عمار بن رجاء وإسحاق بن إبراهيم الطلقى، وجعفر بن أحمد بن بهرام وغيرهم. وكان ابن عدى الإستراباذى من رواته.[(٢)] كما تتلمذ الحسن بن حاتم بن سهيل بن حماد الإستراباذي على الفقيه سعيد بن عبد الرحمن المخزومي بمكة وسمع منه عن أسانيده عن عبد الله بن مسعود قول النبي صلى الله عليه وسلم: "الطيرة شرك، وما منا إلاَّ، ولكن الله يذهبه بالتوكل"، أخرجه ابن حنبل و ابن ماجه بإسناد صحيح.[(٣)] وكان الفقيه أبو الحسن يوسف بن إسحاق الجرجاني ممن وفد على مكة المكرمة ودرس على شيوخها ومنهم: عبد الرحمن بن عبدالله المقرئ وروى عنه، وكان هذا الفقيه الجرجاني يروى كذلك عن شيوخ بلده، ومنهم أبو نعيم ابن عدى الإستراباذي وجماعة غيره.[(٤)]

وكان الحافظ الحجة أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدى

---

(١) السهمى ، تاريخ جرجان ، رقم ٨٨ ، ص١٠٥.

(٢) السهمى ، تاريخ جرجان ، رقم ١٠٨٤، ص٥٢١.

(٣) ابن حنبل ، مسند الإمام أحمد ، ح١ ص٣٨٩ ، ابن ماجه ، السنن ، ح٢ ، رقم٣٥٣٨ ص١١٧٠ ، السهمى ، تاريخ جرجان ، رقم ٢٥٣ ، ص١٨٧ .

(٤) السهمى ، تاريخ جرجان، رقم ١٠٠١ ، ص٤٩٥.

الإستراباذي (٢٤٢ – ٣٢٣هـ – ٨٥٦هـ/٩٣٥م)، الرّحال الجوّال من مفاخر أهل جرجان الذين نهلوا من علوم أهل الحجاز واستفادوا منها، فالذهبي يذكر أنه كتب بالحرمين.(١) وكان ابن عدى قد تتلمذ على شيوخ عصره بجرجان وروى عنهم ونذكر منهم: إسحاق بن إبراهيم الطلقى ومحمد بن عيسى الدامغاني وعمار بن رجاء، وتخرج على أبي زرعة وأبي حاتم. كما روى في رحلته أيضاً عن علماء أهل العراق ومصر والشام والجزيرة وخراسان.(٢) وعندما وفد إلى مكة جلس إلى أبي القاسم الصوفي عبد السلام بن محمد بن أبي موسى المخزومي شيخ الحرم المجاور بمكة سنين طويلة (توفي بمكة سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م)، وكان ممن جمع علم الشريعة والحقيقة والفتوة وحسن الأخلاق، وروى عنه.(٣) ويتضح من المكانة الرفيعة التي بلغها أبو نعيم الجرجاني في الفقه الإسلامي، قيمة العلم الذي حصّله في الحجاز والبلدان الإسلامية الأخرى، فكان من أئمة المسلمين مقدما في الفقه والحديث، ومن الحفاظ لشرائع الدين مع صدق وتيقظ وورع، وكان أحفظ فقهاء عصره للفقهيات و أقوال الصحابة، ومنها ما حدّث به تلاميذه بجرجان عن شيوخه عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصافح في التعزية، فقال: شكر المؤمن من عزى مصابا نال مثل أجره"، أخرجه

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، م٢، ج٣، ص٨١٧، ابن كثير، طبقات الشافعية، م١، رقم٩٢ ص٢٠١ –٢٠٢.

(٢) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ٤٦٦، ص٢٧٦، الذهبي، تذكرة الحفاظ، م٢، ج٣، ص٨١٧.

(٣) الفاسي، العقد الثمين، ج٥، رقم ١٨١١ ص٤٣٠ – ٤٣١

البيهقى، وله شاهد عن طريق عبد الله بن مسعود.[(١)]

وقد أدرك طلاب العلم والعلماء مكانة أبي نعيم العلمية، فشدوا الرحال إليه وقصدوه للاستفادة منه والنّهل من فيض علمه، فالسهمى يقول:" وكانت الرحلة إليه في أيامه"[(٢)] ويذكر الذهبي أن ابن صاعد قد حدّث عن ابن عدى مع تقدمه في العلم، كما حدث عنه أيضاً أبو علي الحافظ، وأبو إسحاق المزكي، وأبو بكر الجوزقي[(٣)] مما يدل على أنه أصبح أحد شيوخ العلم في عصره، وأن جرجان صارت إحدى مراكز الثقافية الإسلامية. وقد ترك الإمام الحافظ ابن عدى الإستراباذي آثاراً علمية هامة تتمثل في بعض التصانيف في الفقه، وكتاب الضعفاء في عشرة أجزاء.[(٤)]

ووفد الإمام الحافظ أبو أحمد عبدالله بن عدى الجرجاني، المعروف بابن القطان مكة في صدر شبابه في أواخر القرن الثالث الهجري، وكان قد كتب الحديث في عام ٢٩٠هـ/٩٠٢م، عن أحمد بن حفص السعدي وغيره بجرجان قبل أن يرحل في طلب العلم عام ٢٩٧هـ/٩٠٩م، فأخذ عن شيوخ العراق والشام ومصر. ويفهم من

---

(١) السهمى، تاريخ جرجان، رقم ٤٦٦، ص٢٧٧، البيهقى، السنن الكبرى، ح٤ ص٥٩-٦٠، الذهبي تذكرة الحفاظ، م٢، ح٣، ص٨١٧.

(٢) السهمى، نفس المصدر، ص٢٧٦.

(٣) الذهبي، نفس المصدر، م٢، ح٣، ص٨١٧-٨١٨.

(٤) الذهبي، نفسه، ص٨١٧، ولمزيد من التفاصيل عن عبد الملك بن محمد بن عدى راجع: البغدادي، تاريخ بغداد، ح١، ص٤٢٨. ياقوت الحموى، معجم البلدان، م٢، ص١٢١، السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٩، ح٣، ص٣٣٥، ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب، ح٢، ص٢٩٩.

الروايات أنه سمع بمكة على شيوخها والمجاورين بها، ومنهم عبد الرحمن بن سليمان بن عدى الجرجاني " نزيل مكة".[١] وكان أبو أحمد عبدالله بن عدى حافظا متقنا لم يكن في زمانه أحد مثله، وكان قد جمع أحاديث الإمامين مالك بن أنس والأوزاعي، كما جمع أيضاً أحاديث سفيان الثورى وشعبة وإسماعيل بن أبي خالد وجماعة من المقلين، وصنف كتاباً بعنوان "الانتصار" على أبواب مختصر المزني فى فروع الشافعية و هو مفقود، و معجماً عن شيوخه الذين زادوا كما يذكر بنفسه على ألف شيخ و هو مفقود، كما صنف كتاباً في ضعفاء المحدثين اسمه الكامل في ستين جزءاً، أخرج فيه اثنا عشر ألف حديثاً مسنداً، و اثنا عشر ألف مقطوع.[٢] و هو كتاب مهم جامع، و قد استهله ابن عدى بالحديث عن عظم و هول و سوء عاقبة الكذب على رسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم ترجم بعد ذلك لأعلام الأئمة الذين استجازوا الكلام فى الرجال ذبا عن بيضة الدين و حفظا من كل حاقد لئيم، و صنف ابن عدى كتابه على حروف المعجم، ليكون أسهل على مَنْ طلب رواياتهم. و ذكر فى ترجمة كل

---

(١) السهمى، تاريخ جرجان، رقم ٤٤٣، ص٢٦٦-٢٦٧، وأنظر أيضاً: المصدر نفسه، رقم ٧ ص٦٥، رقم ١٧٩ ص١٥٥، رقم ٤١٦ ص٢٥٦-٢٥٧، ياقوت الحموى، معجم البلدان، م٢، ص١٢١-١٢٢.

(٢) السهمى، تاريخ جرجان، ص٢٦٧. ابن كثير، طبقات الشافعية، م١، رقم ١٨٦ ص٢٧١-٢٧٢، أكرم ضياء العمرى، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، الطبعة الخامسة، مكتبة العلوم و الحكم، المدينة المنورة، ١٩٩٤، ص١٥٧. ويوجد من كتاب الكامل عدة نسخ، وقد حقق الأستاذ السيد صبحى البدرى السامرائي مقدمة هذا الكتاب ونشرها في بغداد(مقدمة كتاب الضعفاء و المتروكين للدارقطنى، ص٢٥)، ثم قام الدكتور سهيل ذكار بتحقيقه فى عام ١٩٨٤، و صدرت طبعته الثانية فى العام التالى، و فىعام ١٩٨٨ قام الأستاذ يحيى مختار غزاوى بإخراجه فى طبعة منقحة، و أضاف إليها تعليقات و زيادات كثيرة.

راوٍ مترجم حديثاً أو أكثر من غرائبه و مناكيره. و كان ابن عدى يبدأ باسم صاحب الترجمة، ثم يذكر كنيته و لقبه و بلده، و بعض أسانيده. ثم يذكر أقوال الأئمة فى الجرح و التعديل و غيرهم مدحا أو ذما. أما منهجه فى الجرح و التعديل فلم يحاج فى أحكامه، و بينْ ذلك عندما قال: فلعل منْ قبح أمره أو حسنه تحامل عليه أو مال إليه. ولم يعتمد ابن عدى فى ذكره لأقوال العلماء نمطا معينا فمرة يقدم البخارى و مرة ابن معين. و جدير بالذكر أن العلاّمة الكوثرى ألف كتاباً خاصا فى نقد كتاب الكامل، سماه " إبداء وجوه التعدى فى كامل ابن عدى" لا يزال مخطوطاً.(١)

ويتضح من آثار أبي عبد الله بن عدى الجرجاني العلمية أنه تأثر كثيراً بالعلوم التي حصّلها بمكة وغيرها من البلاد التي درس بها، وأنه يدين بالفضل في تكوينه العلمي المتين إلى هؤلاء العلماء الذين درس عليهم خاصة شيخه نزيل مكة، كذلك أثرت ثقافته العلمية المكية في تلاميذه بجرجان، فاستفادوا من كتابه الكامل على وجه الخصوص، وكان فيه الكفاية في علم الجرح والتعديل، فالسهمى يذكر أنه سأل الدارقطنى أن يصنف كتابا في الضعفاء فرفض وأرشده إلى كتاب ابن عدى وقال : "فيه كفاية لا يزاد عليه"(٢) وقد أورد ابن عدى في كتابه الكامل عن أحمد بن سلمة بن عمرو الكوفى الجرجاني عن أبى معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن

---

(١) ابن عدى الجرجانى، الكامل فى ضعفاء الرجال، ح١ ص١-٢، ص ى-ص من مقدمة التحقيق، تقى الدين الندوى المظاهرى، علم رجال الحديث، ص٢٨٤-٢٨٥.

(٢) السهمى، نفس المصدر، ص٢٦٧، الذهبي، تذكرة الحفاظ م٢، ح٣، رقم ٨٩٣، ص٩٤٠-٩٤١.

ابن عباس قول النبي صلى الله عليه وسلم: " أنا مدينة العلم و علّى بابها فمن أراد العلم فليأتها من قبل بابها". وقد عرّف ابن عدى بـرواة هذا الحديث ثم نقده فقال: " يعرف هذا الحديث بأبي الصلت الهروى عن أبي معاوية، سرقه منه أحمد بن سلمة هذا وجماعة الضعفاء"، [١] وهو حديث منكر الإسناد و المتن، [٢] فأبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروى هذا لم يكن ثقة و لا مأمون. [٣]

وقد سمع ابن عدى عن شيخه عبد الرحمن بن سليمان بن عدى بمكة أخباراً هامة من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم رواها لتلاميذها بجرجان، ومن هذه الأخبار ما حدثه به إسحاق بن إبراهيم البصرى الجرجاني عن حميد الطويل عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نسائه بغسل واحد، أخرجه مسلم و البيهقى. [٤] ونستدل من الروايات أن علم ابن عدى قد انتشر بعد وفاته عن طريق تلاميذه في مكة وجرجان ، فقد كان أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن الحسين الخيمي المجاور بمكة أحد تلاميذه الذين درسوا عليه وأخذوا منه. ولاشك أنه حدّث بما سمعه منه بمكة أُثناء جواره بها. [٥]

وكان سعيد بن عثمان من العلماء الجرجانيين الذين ساهموا

---

(١) السهمى، تاريخ جرجان ، رقم ٧ ، ص٦٥.

(٢) ابن عدى ، الكامل فى الضعفاء ، ج٣ ص٤١٢-٤١٣ .

(٣) الزرقانى ، مختصر المقاصد الحسنة ، رقم١٧٠ و التعليق ص٨٠ .

(٤) مسلم ، صحيح مسلم ، باب جواز نوم الجنب ، ج١ص١٧١، السهمى ، تاريخ جرجان، رقم ١٧٩ ، ص١٥٥.

(٥) السهمى ، نفس المصدر ، رقم ٤٢٤ ، ص٢٦١.

في الحياة الثقافية بمكة المكرمة، فقد حدّث بها وتتلمذ عليه كثير من طلاب العلم الذين تحلقوا حوله هناك، فأخذ عنه عبدالله بن محمد السعدي رواياته عن شيوخه عن الصحابي الجليل عبدالله بن عمر، كما أخبر عنه حفص بن أحمد بن عمران الشيباني عن شيوخه قيام أنس بن مالك بأداء الصلاة كما كان يؤديها الرسول صلى الله عليه وسلم وهي صلاة حسنة لم يطول فيها. كذلك استفاد سعيد بن عثمان الجرجاني من العلماء الذين لقيهم بمكة وروى عنهم، ومنهم محمد بن إسماعيل بن أبي فديك الذي أخذ عنه كثيراً. وتتضح قيمة الروايات التي سمعها الفقيه الجرجاني عن ابن أبي فديك عن شيوخه، أنها أصبحت مصدراً هاماً لتلميذه ابن أبي الدنيا صاحب كتاب القبور خاصة أنها توضح بجلاء بركة زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة. ومنها رواية أنس بن مالك عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مَنْ زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة"، أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان،(١) ومنها أيضاً رواية أحد الأوائل أنه قال: "بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية" إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً" الآية،(٢) قال صلى الله عليه وسلم عليك يا

(١) السهمى، نفسه، رقم٣٤٧ ص٢٢٠، البيهقى، شعب الإيمان، تحقيق مختار أحمد الندوى، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٣م، باب إتيان المدينة و زيارة قبر النبى صلى الله عليه و سلم، ح٦، رقم٣٨٦٠ ص٥٠. العجلونى الجراحى، كشف الخفاء و مزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تعليق أحمد القلاش، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣ ح٢، رقم٢٤٨٩ ص٣٢٨–٣٢٩، و لهذا الحديث شاهد آخر عند البيهقى فى السنن الكبرى، ح٤ ص٢٤٥.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، آية رقم٥٦.

محمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك: صلى الله عليك يا فلان لم تسقط لك حاجة".[١]

وتذكر الروايات أن أبا زرعة أحمد بن محمد بن أحمد بن هارون الإستراباذي انتقل من بلده إلى مكة المكرمة ليدرس بها. وكان قد روى عن شيوخ بلده، ومنهم أبو نعيم عبد الملك بن عدى وجعفر بن شهريل. ويفهم من رواية السهمي أنه نهل من علوم مكة الكثير، وبعدما تأهل بها خرج منها على طريق البصرة في عام ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م ففقد.[٢] وكان أبو القاسم عبيد الله بن أحمد الجرجاني البزاز من علماء جرجان الذين ساهموا في الحياة الثقافية بمكة، وكان قد أخذ عن الربيع بن سليمان وروى عنه. وتذكر الروايات أن بعض المكيين قد تتلمذوا عليه بمكة ورووا عنه، ومنهم يوسف بن أحمد بن يوسف بن الدخيل الصيدلاني المكي (ت٣٨٨هـ/٩٨٨م).[٣]

وكان الإمام شيخ الإسلام أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسحاق بن العباس الإسماعيلي الجرجاني (٢٧٧-٣٧١هـ/ ٨٩٠-٩٨١م) من أبرز علماء الحديث في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. وكان قد تتلمذ في صغره على إبراهيم بن هانئ شيخ الشافعية بجرجان، فأظهر نبوغاً كبيراً، كما نهل من الثقافة المكية بطريقة غير مباشرة وهو بعد في العاشرة من عمره، فقد سمع من علماء

---

(١) السهمى، تاريخ جرجان، ص٢٢٠-٢٢١.

(٢) السهمى، تاريخ جرجان، رقم ١٠٥٠، ص٥١٣.

(٣) السهمى، تاريخ جرجان، رقم ٤٦١ ص٢٧٦، الفاسى: العقد الثمين، ج٧، رقم ٢٧٦٤، ص٤٨٢.

جرجان بين عامي ٢٨٧-٢٨٩هـ/٩٠٠-٩٠٢م، رواياتهم عن شيوخهم عن العلماء المكيين وكتبها عنهم، فالسهمى يذكرأن أبا بكر الإسماعيلي سمع من شيوخه بإسنادهم عن داود بن عبد الرحمن المكى عن رواته عن صفية عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكئ في حجرى وأنا حائض فيقرأ القرآن" و هو حديث صحيح أخرجه البخارى وغيره من أصحاب السنن ومنهم مسلم وابن ماجه و أبو داود.[1] كما كتب عن شيوخه بجرجان بإسنادهم عن صدقة بن يسار المكى،[2] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتكف فخطب الناس فقال:"أيها الناس إن أحدكم إذ قام إلى الصلاة فإنه يناجي ربه، فليعلم أحدكم بما يناجي به ربه ولا يجهر بعضهم على بعض بالقراءة"، أخرجه أحمد فى مسنده و الطبرانى فى المعجم الكبير.[3]

وتذكر الروايات أن أبا بكر الإسماعيلي خرج من جرجان في

(١) البخارى ، صحيح البخارى ، باب قراءة الرجل فى حجر امرأته و هى حائض ، م١ ، ح١ ص٨٢ ، مسلم ، صحيح مسلم ، م١ ، ح١ ص١٦٩ ، ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، ح١ ، رقم٦٣٤ ص٢٠٨ ، أبو داود ، سنن أبى داود ، ح١ ، رقم٢٦٠ ص٦٨ ، و أخرج النسائى هذا الحديث بروايتين واحدة عن السيدة عائشة و الأخرى عن السيدة ميمونة (سنن النسائى ، م١ ، ح١ ص١٢١) ، السهمى ، تاريخ جرجان ، رقم٩٨ ص١١٦ ، البيهقى ، السنن الكبرى ، ح١ ص٣١٢ ، الألبانى، صحيح سنن ابن ماجه ،ح١ ، رقم٥١٧/٦٣٤ ص١٠٤ ، و لنفس المؤلف ، صحيح سنن النسائى ، ح١ رقم٢٦٨ ص٨١ ، رقم٢٧٢ ص٨٢ .

(٢) ابن شاهين ، تاريخ أسماء الثقات، رقم ٥٥١، ص٧٤.

(٣) ابن حنبل ، مسند الإمام أحمد ، ح٢ ص٣٦ ، الطبرانى ، المعجم الكبير ، ح١٢ ، رقم١٣٥٧٢ ص٣٢٧-٣٢٨ ، السهمى ، تاريخ جرجان ، رقم٩٨ ص١١٥ . و أنظر أيضا ص١٠٩.

رحلة علمية إلى نسا يطلب الحديث، فقرأ على الحسن بن سفيان مسنده وغيره من أمهات الكتب، كما قام برحلة علمية ثانية مع بعض أقاربه إلى بغداد في عام ٢٩٦هـ/٩٠٨م، فأخذ عن شيوخها وروى عنهم.[١] وعند عودته تتلمذ على وجوه علماء الحديث بجرجان، ومنهم عبد الرحمن بن عبد المؤمن بن خالد المهلبي (ت ٣٠٩/٩٢١م) وكان صدوقاً ثبتاً يعرف الحديث،[٢] كما روى عن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن زهير القرشي (ت ٣١٦هـ/٩٢٨م)،[٣] وغيرهما. ونستدل من الروايات أنه قدم إلى مكة ونهل من ثقافتها، فقد تحلق حول شيوخها والمجاورين والوافدين عليها وسمع منهم، فالسهمي يذكر أنه جلس إلى أبي عبدالله محمد بن حميد الوراق الجرجاني بمكة، وأخذ عنه عن أسانيده بعض الأحاديث النبوية الشريفة.[٤]

وكان أبو بكر الإسماعيلي جيد القراءة غزير العلم والفهم والجلالة، وكان ذا حديث حسن، ووصفه بعض شيوخ بغداد بقولهم: "كان مقدما في جميع المجالس، وكان إذا حضر مجلسا لا يقرأ غيره"، وصنف كتبا كثيرة منها: "الجامع على جامع الصحيح للبخاري" وبعض المجموعات والتصانيف الفقهية. و أما كتابه الجامع فليس فيه أحاديث مستقلة زائدة على البخارى، و إنما تحصل الزيادة فى بعض المتون. وقد طافت شهرته ومصنفاته الآفاق، وكان علماء

(١) السهمى، نفسه، ص١٠٩.

(٢) السهمى، نفسه، رقم ٤١٥ ص٢٥٥.

(٣) السهمى، نفسه، رقم ٤١٨ ص٢٥٧.

(٤) السهمى، نفسه، رقم ٨٤٣ ص٤٤٤.

مصر والعراق وغيرها يسألون تلاميذه عنها. وكانت الرحلة إليه في عصره، فالسهمي يذكر أن طلاب العلم من مختلف الآفاق كانوا يقصدون مجلسه بجرجان. مما يدل على عظم مكانته العلمية. ولا شك أنه ساهم في نشر العلوم التي حصّلها على مدار حياته العلمية، ومنها علوم المكيين عندما كان يحدث بها تلاميذه، فالسهمي يذكر أنه سمع منه الأحاديث النبوية الشريفة التي سمعها صغيراً بجرجان، وتلك التي سمعها بمكة على شيوخه هناك.[1]

وكان الإمام أبو سعد إسماعيل (٣٣٣-٣٩٦هـ/ ٩٤٤-١٠٠٥م) ابن الإمام أبي بكر أحمد بن إسماعيل بن العباس الإسماعيلي، من مفاخر علماء جرجان الذين نهلوا من الثقافة المكية. ويُعد هذا الإمام نموذجا للعالم الموسوعي الذي يسعى إلى توسيع معارفه رغم أستاذيته وألمعيته وتقدمه في العلوم، فقد كان إمام زمانه في الفقه الشافعي وأصول الفقه، وصنف كتاباً كبيراً في أصول الفقه بعنوان "تهذيب النظر"، وكتاباً آخر في الأشربة رد على الجصاص، كما كان عالما في العربية والكتابة والشروط والكلام. وقد قدم مكة لأداء الفريضة والأخذ عن علمائها في عام ٣٨٤هـ/٩٩٤م، وهو في الخمسين من عمره، فحج في نفس العام، ومكث بمكة وحج ثانية في العام التالي، ثم رجع إلى وطنه في عام ٣٨٦هـ/٩٩٦م. وكان يرافقه أولاده

---

(١) السهمي، نفسه، ص١١٠-١١١-، ١١٥-١١٦، أكرم ضياء العمري، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، ص٣٥٨. وعن ترجمته أنظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، م٢، ح٣، ص٩٤٧، المعين في طبقات المحدثين، رقم ١٢٨٦ ص١١٥، السبكي، طبقات الشافعية، ح٣ ص٧، ابن كثير، طبقات الشافعية، م١، رقم ٢٠٢، ص٢٩٧-٢٩٩، السيوطي، طبقات الحفاظ، رقم ٨٦٧ ص٣٨١، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ح٣ ص٧٥.

الخمسة في هذه الرحلة كما سنرى.[١]

ولا شك أن الإمام أبا سعد الإسماعيلي استفاد من فترة وجوده بمكة، فقد ساهم بفعالية في الحركة الثقافية بها مُتعلما ومُعلما، فالروايات تذكر أنه روى عن أبي بكر محمد بن إبراهيم الشافعي، ومحمد بن إسحاق الفاكهي المكي (مسندا من طريقه)، ودعلج بن أحمد السجزى، والإمام أبي العباس الأصم محمد بن يعقوب بن يونس النيسابوري(ت ٣٤٦ هـ/٩٥٩ م) الملقب بـ "محدث الشرق"،[٢] و كان محدث عصر بلا مدافعة، وغيرهم. وقد تحلق حوله طلاب العلم من المكيين وغيرهم من المقيمين بها والوافدين عليها لأداء الفريضة، فحدثهم في أصول الفقه خاصة الفقه الشافعي، كما حدثهم بما سمعه من علماء مكة. ويتضح من الروايات أن الإمام أبا سعد الإسماعيلي ساهم في نشر الثقافة المكية في كثير من البلدان التي زارها عند عودته من رحلة الحج؛ فكان يحدث تلاميذه بما استفاده

(١) السهمي، تاريخ جرجان، رقم ١٧٠ ص١٤٧. وتحتفظ المصادر بأبيات شعرية للإمام أبي سعيد الإسماعيلي تدل على كثرة عبادته واهتمامه بأمور الدين والنصيحة للمسلمين. وتوضح أيضاً تمسكه بالمذهب الشافعي، ومنها:

إني ادخرت ليوم ورد منيتي ... عند الإله من الأمور خطيراً
قولي بأن إلهنا هو أوحد ... ونفيت عنه شريكه ونظيراً
وتمسكي بالشافعي وعلمه ... ذاك الذي فتق العلوم بحوراً

(السهمي، نفسه ، ص١٤٨-١٤٩، القزويني، آثار البلاد ، ص٣٥٠).

(٢) عن ترجمته راجع: السيوطي، طبقات الحفاظ. رقم ٨٠٥ ص٣٥٤. و قد تتلمذ كثير من أهل جرجان على يد محدث الشرق و كتبوا و رووا عنه كثير من الأحاديث، حتى اشتهر ذكره ببلدهم و صارت له مدرسة للحديث بها. لمزيد من التفاصيل راجع: السهمي ، نفسه ، تراجم١١١ ، ١٦٧، ٢١٤، ٤٢٣، ٥٨٦، ٨٧٩، ٨٩٧، ٩٥٣، ٩٦٢، ١٠٣١ .

بمكة، وتخرج على يده جماعة من الفقهاء من أهل جرجان وطبرستان وغيرهما من البلدان، [(١)] فالسهمى الذي رافقه في رحلته وحج معه حجته يذكر أنه سمع منه بمكة وبغداد روايته عن الفاكهى عن أسانيده عن عبدالله بن عمر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من شرب في إناء ذهب أو فضة أو إناء فيه شيء من ذلك فإنما يجرجر في بطنه نار جهنم"، أخرجه الطبرانى فى المعجم الأوسط، [(٢)] و له شواهد صحيحة عند مسلم. [(٣)]

كذلك كان أخوه الفقيه الشافعى أبو نصر محمد بن الإمام أبى بكر الإسماعيلى (ت ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م) من مشاهير علماء الحديث الجرجانيين الذين استفادوا من علوم المكيين. و من المرجح أنه نهل منها منذ صغره عن طريق سماعه من والده، و من شيخه الحافظ أبى يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن محمد البحرى الجرجانى (ت ٣٣٧ هـ/ ٩٤٩ م)، فالسهمى يذكر أن أبا نصر الإسماعيلى كتب عن شيخه أبى يعقوب البحرى الحديث الكثير. [(٤)] و كان أبو يعقوب البحرى يروى لتلاميذه الجرجانيين أحاديث الرسول صلى الله عليه و سلم بروايات شيوخه بأسانيدهم عن كبار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، [(٥)] و منها عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى

---

(١) السهمى ، نفس المصدر ، ص١٤٧.

(٢) الطبرانى ، المعجم الأوسط ، ح٤ ، رقم٤١٨٩ ص٤٥٨-٤٥٩ ، السهمى ، نفسه ، ص١٤٩ .

(٣) مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب اللباس و الزينة ، ح٣ ص٤٩٩ ، الهيثمى ، مجمع الزوائد و منبع الفوائد ، ح٥ ص٧٧ .

(٤) السهمى ، تاريخ جرجان، رقم٨٨٣ ص٤٥٣.

(٥) السهمى ، تاريخ جرجان ، رقم١٩١ ص١٦٤.

صلى الله عليه و سلم قال:" أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم إلا فى الحدود". و هو حديث صحيح أخرجه أحمد فى مسنده، و أبى داود و البيهقى،[١] و هو من الأحاديث المشتهرة على الألسنة.[٢] كما كان يُملى عليهم أيضا ما سمعه من شيوخه بأسانيدهم عن بعض العلماء المكيين، منها رواية شيخه إسحاق بن إبراهيم عن إليسع بن زيد القرشى عن سفيان بن عُيينة عن أسانيده أن أنس بن مالك رضى الله عنه قال:" خدمت رسول الله صلى الله عليه و سلم فما قال لى لشىء فعلته:لم فعلته ؟ و لا قال لشىء كسرته:لم كسرته ؟ و كنت واقفاً على رأس رسول الله صلى الله عليه و سلم أصّب الماء فرفع رأسه إلىّ فقال: يا أنس بن مالك! هل أعلمك ثلاث خصال تنتفع بهن ؟ فقلت: بأبى أنت يا رسول الله بلى ! فقال لى: من لقيت من أمتى فسلم عليهم يطل عمرك، و إذا دخلت إلى بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك، و صلِ صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار".[٣]

و كان أبو نصر الإسماعيلى قد تتلمذ على يد عدد من شيوخ الحديث الجرجانيين و العلماء الوافدين عليها، و كتب و روى عنهم، ونذكر منهم: أبا العباس محمد بن يعقوب الأصم (مُحدث الشرق) وكتب عنه الحديث الكثير، و أبا العباس احمد بن عبد الله بن عتاب الجرجانى، و أبا القاسم عبد الله بن إبراهيم بن يوسف الآبندونى الجرجانى الزاهد و كان ثقة مأموناً فيما يرويه، و أبا على

(١) أحمد بن حنبل، المسند، ح٦ ص١٨١، أبو داود، السنن، ح٤ ص١٨٩، البيهقى، السنن، ح٨ ص٣٣٤.
(٢) الزرقانى، مختصر المقاصد الحسنة، رقم١٢٩ ص٧٢.
(٣) السهمى، تاريخ جرجان، ص٤٥٣.

الحسن بن يعقوب بن إسماعيل السجزى نزيل جرجان و كان مدافعاً عن الدين و السنة، و أبا الحسن على بن الفضل الفقيه البغدادى المعروف بالخيوطى، و أبا الحسن على بن محمد بن عبد الله بن يوسف المقدسى.(١) و يتضح من الروايات أنه لم يكتف بما حصّله من العلوم على يد العلماء بجرجان، بل خرج منها فى رحلة علمية طالباً المزيد من علوم الحديث على يد شيوخه فى مراكز الثقافة الإسلامية فى المشرق، فشدّ الرحال إلى العراق، و الرى، و همذان، و كتب عن علماء الحديث هناك، ثم وفد إلى مكة فأدى الفريضة، و تحلق حول شيوخها و العلماء الوافدين عليها و المجاورين بها، فأخذ منهم و كتب الحديث عنهم.(٢) و هكذا ساهمت الثقافة المكية فى تكوينه العلمى المتين، مما سيترك أثراً واضحاً فيما وصل إليه من مكانة علمية رفيعة. فالسهمى يصفه بأنه كان يعرف الحديث و يدرى، و كان له جاه عظيم و قبول عند الخواص و العوام فى كثير من البلدان الإسلامية التى حلّ بها. و لقد صنف أبو نصر الإسماعيلى كتاباً قيماً فى الحديث بعنوان" العقد" تحلى به.(٣) و لاشك أنه اعتمد فى تأليفه على أصوله التى جمعها ببلده و بالبلدان الأخرى التى تعلّم فيها و منها مكة.

و نستدل على ارتفاع مكانة أبى نصر الإسماعيلى العلمية و عظمها، بل و اعتراف أئمة الحديث فى عصره بها و إجازتهم له، أنه

---

(١) السهمى، تاريخ جرجان، تراجم ٦٣، ٢٤٨، ٤٤٤، ٥٢٧، ٥٢٨، ٨٨٣.

(٢) السهمى، تاريخ جرجان ص٤٥٣.

(٣) السهمى، تاريخ جرجان، ص٤٥٣.

ترأس في حياة والده الإمام أبي بكر الإسماعيلي و بعد وفاته؛ فقد عقد مجلساً للإملاء في مسجد الصفارين بجرجان يوم السبت من كل أسبوع منذ عام ٣٦٦ هـ/ ٩٧٦ م، و حتى وفاته في سنة ٤٠٥ هـ/ ١٠١٤ م. و قد تحلق حوله في هذا المجلس كثير من طلاب العلم الجرجانيين و الوافدين، و كان السهمي من أبرز تلاميذه الذين سمعوا منه و كتبوا عنه، و قد احتفظ بسماعه منه و اعتمد عليه كثيراً في كتابه تاريخ جرجان.[١] و لاشك أنه حدّث تلاميذه برواياته التي حصّلها في حياته العلمية، و منها رواياته التي سمعها بمكة من شيوخه بإسنادهم عن بعض العلماء المكيين، فساهم بذلك في نشر ثقافة المكيين بينهم.

وكان الجرجانيون حريصين على تعليم أبنائهم واصطحابهم إلى مجالس العلم، و قد حرص بعضهم على أن يرافقوهم في رحلاتهم العلمية لتحصيل العلم على شيوخ الأمصار الإسلامية. وكان بنو الإسماعيلي من أشهر بيوت العلم بجرجان ، وقد حرص بعض أفراد هذا البيت على تخريج أولادهم في العلوم تخريجاً حسناً، فكانوا يصطحبونهم في رحلاتهم العلمية لمقابلة العلماء والتتلمذ على أيديهم. فالسهمي يذكر أن الإمام أبا سعد إسماعيل بن أبي بكر الإسماعيلي قد حمل أولاده الخمسة، وهم: أبو معمر المفضل،[٢] وأبو الحسن مبشر،[٣] وأبو الفضل

(١) السهمي ، تاريخ جرجان ، صفحات متفرقة:٩٧-٩٨ ، ٢٦٦ ، ٢٦٠، ٢٧٥، ٢٢١ ، ١٨٦ .

(٢) السهمي ، تاريخ جرجان ، رقم ٩٢٧ ص٤٦٤-٤٦٥.

(٣) السهمي ، نفسه، رقم ٩٢٩ ص٤٦٥ .

مسعدة،[١] وأبو سعيد سعد،[٢] وأبو العلا السرى،[٣] إلى مكة لأداء الفريضة في عام ٣٨٤هـ/٩٩٤م ، وبقى هؤلاء الأولاد مع والدهم هناك إلى أن حجوا ثانية في عام ٣٨٥هـ/٩٩٥م، ثم رجعوا معه إلى جرجان في عام ٣٨٦هـ/٩٩٦م.[٤]

وقد نهل هؤلاء الأبناء من الثقافة الإسلامية خلال وجودهم بمكة المكرمة، فتحلقوا حول علمائها والمجاورين بها والقادمين لأداء الفريضة، وسمعوا من يوسف بن الفضيل وأبي زرعة الكشى الجرجاني وجماعة غيرهم، وكتبوا عنهم، وكان جدهم الإمام أبو بكر الإسماعيلي ووالدهم الإمام أبو سعد قد اهتما بتعليمهم وتخريجهم تخريجاً حسناً منذ صغرهم، فيفهم من الروايات أن الإمام أبا بكر الإسماعيلي قد خص أبا العلا السرى بسماع تفسير شبل في عام ٣٦٨هـ/٩٧٨م، وهو بعد في الثامنة من عمره، كما حدثه هو وأخاه أبا معمر المفضل بأحاديث محمد بن عثمان بن أبي شيبة صاحب المصنف (ت ٢٣٥هـ/٨٤٩م). ويذكر السهمى أن أبا معمر المفضل قد روى عن جده الكتب الكثيرة، وسمع منه كتابه الجامع على جامع الصحيح للبخاري وغيره من المجموعات والتصانيف والأمالى. ويبدو أنه أظهر نبوغاً كبيراً في ذلك مما جعل جده يثنى عليه ويقرظه، فقال عنه إنه: "له سبع سنين يحفظ القرآن ويعلم الفرائض وأصاب في مسألة

(١) السهمى ، نفسه، رقم ٩٢٨ ص٤٦٥.

(٢) السهمى ، نفسه، رقم ٣٦١ ص٢٢٦.

(٣) السهمى ، نفسه، رقم ٣٦٠ ص٢٢٦.

(٤) السهمى ، نفسه، ص١٧٠.

أخطأ فيها بعض قضاتنا".[١] كذلك ضبط لهم والدهم الإمام أبو سعد سماعهم، ثم حملهم معه في رحلة علمية في عام ٣٨٤هـ/٩٩٤م إلى بغداد، فسمعوا على مشاهير علمائها ومنهم أبو الحسن الدراقطني، سمعوا منه أكثر كتبه ومصنفاته، كما سمعوا من أبي حفص بن شاهين وأبي الحسن الختلي، وأبي حفص الكتاني، وعبيد الله بن حباجة وغيرهم، كما رحلوا أيضاً إلى الكوفة والري وهمدان، والمدينة المنورة وسمعوا من علمائها. وكانوا قد تتلمذوا أيضاً على أيدي شيوخ جرجان، ومنهم الإمام الحافظ أبو أحمد محمد بن أحمد الغطريفي الجهم (ت٣٧٧هـ/٩٨٧م)[٢] وأبو يعقوب بن إبراهيم السهمي، وعمهم أبو نصر محمد بن أبي بكر الإسماعيلي وغيرهم من الغرباء.[٣]

وقد أفاد أبناء الإمام أبي سعد الإسماعيلي تلاميذهم الجرجانيين بما درسوه في مكة وغيرها من مراكز الثقافة الإسلامية، فعند عودة أبي العلاء السرى من رحلته العلمية جلس لتدريس الفقه والفرائض وتخرج على يده جماعة، كما آلت إليه هو وأخيه أبي معمر المفضل رئاسة الفتيا بعد وفاة والدهم،[٤] ويصفهم السهمي بقوله: إن أبا معمر قد صار إماماً مقدما في العلوم، أما أبو

(١) السهمي ، نفسه، ص٤٦٤، العمري، المرجع السابق، ص٣٠١، ٣٩٨-٣٩٩.

(٢) عن ترجمته راجع: السهمي ، نفسه، رقم ٧٧٩، ص ٤٣٠-٤٣٢ ،الذهبي، تذكرة الحفاظ ، م ٢ ج٣ ص٩٧١ ، السيوطي ، طبقات الحفاظ ، رقم ٨٨٢ ، ص٣٨٧ ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٣ ، ص٩٠ .

(٣) السهمي ، نفسه ، ص٤٦٤، ٢٢٦-٤٦٥. وراجع أيضاً: السبكي، طبقات الشافعية، ج٢، ص٤٠٠.

(٤) السهمي ، نفسه ، ص٢٢٦، ٤٦٥.

العلاء، فإنه كان عالماً في الفقه والأدب.[١] وتجدر الإشارة إلى أن بقية أخواتهما أبا سعيد سعد وأبا الفضل مسعدة وأبا الحسن مبشر قد سمعوا من جميع العلماء الذين سمعا منهما خلال رحلتهم العلمية.[٢]

وكان المحدث أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن موسى بن إبراهيم السهمي القرشي من علماء جرجان الذين ساهموا بفعالية - تأثراً وتأثيراً - في الحياة الثقافية بمكة. فقد قدمها كما يذكر ابنه حمزة السهمي صاحب تاريخ جرجان وحدّث بها، وكان قد حدّث بغيرها من المدن الإسلامية التي زارها، ومنها بغداد والكوفة والري وهمدان بالإضافة إلى بلده جرجان.[٣] ويتضح عمق مساهمة هذا المحدث في الحياة الثقافية بمكة إذا علمنا متانة تكوينه العلمي وأصالة مصادر معرفته، فقد درس على شيوخ عصره بجرجان، وروى عنهم ومنهم: أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدى، وعبد الله بن محمد بن مسلم، وموسى بن العباس، وعلى بن محمد بن حاتم وعلى بن مهرويه. وكان المحدث أبو يعقوب يوسف السهمي معلما لولده أبي حمزة، فقد سمع منه رواياته عن شيوخه الجرجانيين عن فقهاء مكة، ومنها حديث ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم " ثلاثة لا يكترثون للحساب ولا تخوفهم الصيحة ولا يحزنهم الفزع الأكبر: حامل القرآن المؤديه إلى الله بما فيه يقدم على ربه سيداً شريفا، وعبد أذن سبع سنين لم يأخذ عليه طمعا، وعبد أدى حق الله

---

(١) السهمي، نفسه، ص١٤٨.

(٢) السهمي، نفسه، أرقام ٣٦١، ٩٢٨، ٩٢٩ ص٢٢٦، ٤٦٥.

(٣) السهمي، نفسه، رقم ١٠٠٠، ص٤٩٤.

وحق مواليه"، أخرجه العقيلي في الضعفاء.[١] كذلك كان أبو يعقوب يوسف مصدراً لابنه أبي حمزة حيث نقل عنه عن أسانيده عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة خبراً يتعلق بوصف زيارة الشيماء السعدية (و كانت تسمى حُذافة و قيل جذامة و حذامة و لكن اسم الشيماء غلب عليها، فلم تعرف في قومها إلا به) ،[٢] لأخيها من الرضاع محمد صلى الله عليه وسلم، وكيف أنه بسط رداءه لها فجلست عليه.[٣]

و من المرجح أن هذا اللقاء الأخوى قد تم في شهر ذى الحجة في أعقاب هزيمة هوازن و ثقيف في غزوة حُنين(شوال ٨ هـ/ ٦٧٠ م)، وعودة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة(تقع بين الطائف و مكة، وهي إلى مكة أقرب) منصرفا من الطائف بعد حصار دام خمسة عشر يوماً. وكان المسلمون قد أسروا زوجها بجاداً في المعركة و ساقوها معه، كما وقع في الأسر أيضا عدد كبير من النساء و الأبناء. و جدير بالذكر أن المشركين أرادوا أن تكون موقعة حُنين موقعة فاصلة بينهم و بين المسلمين، فحشدوا الأموال و النساء و الأبناء على عادة العرب في الجاهلية، حتى لا يفر أحد دون ماله و أهله، رغم اعتراض دُريد بن الصِّمة على ذلك، لأن المنهزم لا يرده شيء. و يبدو أن

(١) العقيلي المكى ، الضعفاء، حققه عبد المعطى أمين قلعجى، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٤ م ، ح٢ ص١١٨ ، السهمى ، نفسه ، ص٤٩٤ ، زغلول ، موسوعة أطراف الحديث النبوى الشريف ، م٤ ص٤٦٩ .

(٢) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، م٤ ، رقم٣٢٩٢ ص١٨٠٩ ، رقم٤٠٠٣ ص١٨٧٠-١٨٧١ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ح٤ ص٧٥ ، السهمى ، نفسه، ص٤٩٤ ، ابن عبد البر ، نفس المصدر ح٤ ص١٨٧١ .

مقاتلى المسلمين قد عنّفوا على الشيماء فى السياق معهم، فقالت لهم إنها أخت الرسول صلى الله عليه و سلم من الرضاعة فلم يصدقوها، وعندما تقابلت مع الرسول صلى الله عليه و سلم لم يعرفها لتقدمها فى السن، ثم استدل على صحة ما تقول حينما فكْرته بأمور جرت بينهما فى صغره أيام رضاعه فى بادية بنى سعد و كانت تحتضنه مع أمها إذ كان عندهم، فسألها عن أمه و أبيه من الرضاعة ولم يكن يعرف بوفاتهما. و قد أكرمها صلى الله عليه و سلم و خيْرها بين البقاء معه مُكرمة مُحببة و بين الرجوع إلى قومها، فاختارت قومها، فأذن لها و أسلمت، و أعطاها الرسول الكريم غلاماً و جارية و بعض العطايا الأخرى. و لعل الشيماء قد توسلت(كما توْسل وفد هوازن الذين قدموا على الرسول صلى الله عليه وسلم بالجعرانة بعد تقسيم الغنائم و الأموال، و أخبروه بإسلامهم و إسلام قبيلتهم) إلى أخيها من الرضاع أن يُطلق سراح الأسرى من النساء و الأطفال ففيهم خالاته و عماته من الرضاعة، فقبل و رد على هوازن نساءهم و أبناءهم، تألفاً لهم ومكافأة لهم على إسلامهم.(١)

(١) لما فتحت مكة و سقطت زعامة قريش، حملت حليفتها قبيلة هوازن راية الشرك و تحركت بسرعة لمواجهة الموقف، خاصة أن الرسول صلى الله عليه و سلم لم يوقف نشاط المسلمين العسكرى بعد الفتح، فبدأت هوازن وثقيف تحشد قواهما فى حنين بعد نصف شهر فقط من فتح مكة، و قد انضمت إليهما بعض القبائل الأخرى من غطفان و غيرها، و بلغ عدد المشركين أكثر من عشرين ألفا، فى حين كان جيش المسلمين قرابة عشرة الأف مقاتل. و قد أسفرت المعركة فى النهاية عن هزيمة منكرة للمشركين و فرارهم تاركين وراءهم قتلى كثيرين و أموالا عظيمة فى الميدان، فتعقبهم المسلمون و قتلوا منهم مقتلة عظيمة. كما أسفرت المعركة عن وقوع عدد كبير فى الأسر، بلغوا ستة الآف فى رواية سعيد بن المسيب، و يقول عروة و ابن إسحق إن الستة الآف كانوا من الذرارى و النساء معاً. ولم يشأ النبى أن يشغل المسلمين بالغنائم، فأمر بجمعها و وضعها فى الجعرانة =

وكان حمزة بن يوسف السهمى القرشي من علماء جرجان الذين تأثروا بعمق بالحياة الثقافية بمكة. ويتضح من الروايات أنه تأثر بهذه الثقافة عن طريقين أولهما: السماع المباشر من العلماء المسلمين الذين نهلوا من علوم المكيين، ومنهم شيوخه الجرجانيين وغيرهم من علماء الأمصار الإسلامية الأخرى الذين أخذ منهم خلال رحلته العلمية. وثانيهما: الاتصال المباشر بعلماء مكة والمجاورين بها والزائرين لها ومنهم جرجانيون، والسماع منهم عندما كان يؤدي فريضة الحج. وكان أول سماع حمزة السهمى للحديث بجرجان في عام ٣٥٤هـ/٩٦٥م في وقت كانت جرجان عامرة بكبار الحفاظ الذين تأثروا بالثقافة المكية ومنهم أبو عبدالله بن عدى وأبو بكر الإسماعيلي، والحافظ المتقن الإمام أبو أحمد محمد بن أحمد الغطريفي (ت٣٧٧هـ/٩٨٧م)، وغيرهم، فاغتنم والده ذلك وبكّر في السماع، فأرسله إلى مجالس العلم، فكان يفهم ويضبط ما يسمع، ثم خرج في رحلته العلمية سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م، فدخل أصبهان والرى ونيسابور وغزنة وغيرها من بلاد خراسان والأهواز، ودخل العراق، فسمع بالبصرة والكوفة وبغداد، كما سمع بالشام على شيوخ الرقة

=

حتى يفرغ من أمر العدو، ثم زحف على الطائف لمطاردة فلول المشركين الذين تحصنوا بها، فحاصرهم لمدة أسبوعين، ثم رحل عن الطائف عند حلول ذى القعدة و هو من الأشهر الحرم، عائدا إلى الجعرانة ليقسم سبى أهل حنين و غنائمهم. لمزيد من التفاصيل راجع: القرآن الكريم، سورة التوبة، آيات ٢٥-٢٧، الواقدى، كتاب المغازى، ح٣ ص٨٨٥-٩٥٨، ابن هشام، السيرة النبوية، ح٤ ص٦٠-٩٨، البخارى، صحيح البخارى، م٢، ح٥ ص١٩٥، الطبرى، تاريخ الأمم و الملوك، ح٣، ص٧٠-٨٩، المقريزى، إمتاع الأسماع، ح١ ص٤٠١-٤٣٢، محمد جمال الدين سرور، قيام الدولة العربية الإسلامية، ص١٣٤-١٣٨، أكرم ضياء العمرى، السيرة النبوية الصحيحة، ص٤٨٩-٥٠٦.

ودمشق وعسقلان وتنيس، كذلك زار مصر والحجاز فسمع بمكة. وشيوخه كثيرين جداً صنف في تراجمهم كتاباً خاصاً هو معجم شيوخه. وكان حمزة واسع العلم كثير الرواية، وقد لازم أبا عبدالله بن عدى وأبا بكر الإسماعيلي وسمع منهما مصنفاتهما.[1] وهذا البحث يمتلئ بنماذج لرواياته عن شيوخه بجرجان وخراسان والعراق والشام ومصر ومكة فلا داعى لتكرارها هنا.

وقد صنف حمزة السهمى تصانيف جليلة والمعروف منها تاريخ جرجان، ومعجم شيوخه، وكتاب الأربعين في فضائل العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم،[2] وسؤالاته للدارقطنى في الجرح والتعديل هو كتاب مشهور. ولم يقتصر تأثير حمزة السهمى الجرجاني في الحياة الثقافية بمكة على فترة وجوده بها فحسب، بل امتد هذا التأثير لعصور تالية، فقد ظلت بعض مؤلفاته مصدراً هاماً من مصادر المعرفة لعلماء مكة حتى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادي، فالفاسى المكي يذكر أن أبا بكر بن عمر بن شهاب الهمداني نزيل مكة وشيخ الصوفية بالحرم المكي الشريف (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م) سمع من شيخه أبي الفرج يحيى بن ياقوت البغدادي شيخ الحرم كتاب فضائل العباس لحمزة السهمى، ثم حدّث به طلابه الذين كانوا يتحلقون حوله برباط خاتون بالمسجد الحرام،[3] وكان الحافظ شرف الدين الدمياطي أحد الذين سمعوا هذا الكتاب على

(١) السهمى، تاريخ جرجان، ص١١٤-١١٦، ياقوت الحموى، معجم البلدان، م٢، ص١٢٢.

(٢) الفاسى، العقد الثمين، تحقيق محمود محمد الطناحي، القاهرة، ١٩٦٩م، ح٨، ص١٦.

(٣) عن رباط خاتون أنظر: الفاسى، شفاء الغرام، ح١ ص٣٣١، العقد الثمين، ح١ ص١١٩.

شيخه ابن شهاب الهمداني، كذلك سمعه منه المحدث تقى الدين عبدالله بن عبد العزيز المهدوى، وأورد حديثا منه (أي من كتاب فضائل العباس) في كتابه "مجتبى الأزهار في ذكر مَنْ لقيناه من علماء الأمصار"[١].

وتحتفظ المصادر بتراجم بعض الجرجانيين الذين قدموا مكة لأداء الفريضة ثم رحلوا عنها، دون أن تشير إلى مساهماتهم في الحياة الثقافية بها. ورغم عدم وجود إشارات تدل على تأثرهم بالحياة العلمية بمكة، فإننا نرجح أنهم لم يتركوا مثل غيرهم من الحجاج هذه الفرصة لكي ينهلوا من علوم المكيين في هذا الموسم الديني الثقافي. يؤيد هذا التخريج أنهم كانوا من العلماء، ثم أنهم واصلوا رحلاتهم العلمية بعد رحيلهم عن مكة، فقصدوا بلدانا أخرى للقاء علمائها والأخذ عنهم قبل عودتهم إلى جرجان. ومن هؤلاء الجرجانيين أبو عمرو إسماعيل الجوزفلقى المقرئ تلميذ أبي نعيم الإستراباذي (وروى عنه صحيح البخاري) الذي قدم مكة للحج، ثم رحل إلى مصر والشام وكتب بها الحديث.[٢] ومنهم أيضاً الفقيه أبو القاسم الخليل بن محمد بن عبد الرحمن من قرية وسسكن قرب جرجان، وكان قد تتلمذ على شيوخ بلده وروى عنهم، ونذكر منهم: والده، ومحمد بن حمدان الجرجاني، والحافظ ابن عدى الإستراباذي وغيرهم. وخرج إلى مكة لأداء الفريضة ثم رحل إلى العراق ولكن المنية وافته في البادية

(١) الفاسى، العقد الثمين، ح٨، رقم ٢٨١٨ ص١٦-١٧.

(٢) السهمى ، تاريخ جرجان، رقم ١٧٤ ، ص١٥١.

سنة ٤٠٥هـ/١٠١٥م،[١] ويذكر الخطيب البغدادي نقلا عن أحمد بن محمد العتيقي أن أبا العباس أحمد بن محمد بن محمد بن جعفر الجرجاني قدم بغداد في طريقه إلى الحج في عام ٣٨٣هـ/٩٩٣م، وروى بها عن بعض شيوخها ومنهم عبدالله بن إبراهيم الأبندونى، ونعيم بن أبي نعيم الذي سمع منه عن أسانيده عن ابن عمر رضى الله عنهما حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "مَنْ حلف واستثنى، إن شاء رجع و إن شاء ترك غير حانث" أخرجه ابن ماجه ،[٢] وهو حديث صحيح الإسناد. ولا شك أن هذا الفقيه الجرجاني قد ساهم في الحركة العلمية بمكة خلال موسم الحج، فأخذ عن علمائها ، وحدّث طلاب العلم هناك بما سمعه من شيوخه البغداديين.[٣]

ومنهم أيضاَ الفقيه أبو عبدالله محمد بن علويه بن الحسين الرزاز الجرجاني، وكان قد روى عن جماعة من شيوخ العراق والشام ومصر والحجاز.ولقد ساهم ابن علوية في تشكيل ثقافة الجرجانيين وأفادهم بعلمه الذي حصّله على شيوخه ومنهم الحجازيون، فقد تتلمذ عليه بعض العلماء الجرجانيين الذين سيصبح لهم مكانة عالية في الفقه الإسلامي ونذكر منهم : أبا بكر الإسماعيلي وابن عدى

---

(١) السهمى ، تاريخ جرجان ، رقم ٣١٦ ، ص٢٠٩.

(٢) ابن ماجه ، السنن ، ح٢ ، رقم ٢١٠٥ ص٦٨٠ . و لهذا الحديث شاهد آخر فعن ابن عمر أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:"منْ حلف و استثنى، فلم يحنث" (ابن ماجه، السنن، ح٢ ، رقم٢١٠٦ ص٦٨٠). و ورد الحديث عند الخطيب البغدادى برواية أخرى و هى: قوله صلى الله عليه و سلم:" منْ حلف علىّ يمين فاستثنى، ثم أتى ما حلف فلا كفارة عليه"(تاريخ بغداد ، م٥، رقم٢٤٨٣ ص٨٨).

(٣) الخطيب البغدادى ، تاريخ بغداد ، م٥ ، رقم٢٤٨٣ ص٨٨ .

الإستراباذي ، وإسماعيل بن سعيد وجماعة. وقد حدّث أبو بكر الإسماعيلي عنه ما رواه أبو شيبة إبراهيم بن عبدالله بن أبي شيبة عن أسانيده وصف السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها للحوار الذي دار بين النبي صلى الله عليه وسلم وخولة بنت ثعلبة التي كانت تشتكى إليه زوجها أوس بن الصامت و كان يظاهرها كثيراً. فقالت:" أكل شبابى و نثرت له بطنى حتى إذا كبرت سنى و انقطع ولدى ظاهر منى، اللهم إنى أشكو إليك". فما برحت حتى هبط الوحى الأمين على رسول الله صلى الله عليه و سلم بأية الظهار.[١] و هى قوله تعالى : ﴿ قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها﴾. الآية.[٢]

ومنهم أيضاً الفقيه أبو جعفر محمد بن علي بن دلان الجرجاني، وكان قد تغرب كثيراً في طلب العلم، فرحل إلى مصر في سنة ٣٥٣هـ/ ٩٦٤م، وأخذ عن علمائها ومنهم أبو العباس عتبة الرازي، كما تردد على العراق عدة مرات وتتلمذ على شيوخه، كذلك شد الرحال إلى اليمن في عام ٣٦٧هـ/٩٧٧م وقصد أبا عبدالله النقوى ليسمع منه، واختتم رحلاته العلمية بزيارة مكة المكرمة حاجا في عام ٣٦٨هـ/٩٧٨م.[٣] ومن المرجح أنه ساهم في الحياة العلمية بمكة، فقد رأيناه يجوب الأقطار لينهل من العلم على أيدي شيوخها، وما أكثر

---

(١) السهمى ، تاريخ جرجان ، رقم ٦٤٧ ، ص٣٨٩ ، البيهقى ، السنن الكبرى ، كتاب الظهار ، ح٧ ص٣٨٢-٣٨٣ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة المجادلة ، آيات ١-٤ ، البخارى ، صحيح البخارى ، باب قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها ، م٣ ، ح٧ ص٦٥ .

(٣) السهمى ، تاريخ جرجان ، رقم ٨٥٩ ، ص٤٤٧.

العلماء المسلمين بمكة خاصة في موسم الحج. و لاشك أنه أخذ عنهم، وسمعوا منه. ومما يؤيد تخريجنا هذا أن السهمى (و كان قد سمع منه بجرجان رواياته عن شيوخه) قد رآه في مكة في موسم الحج عام ٣٦٨هـ/٩٧٨م.[١] فلاشك أنه واصل السماع عليه والأخذ منه لاسيما ما حصّله من علم في رحلته الأخيرة إلى اليمن قبل أن يحضر إلى مكة لأداء مناسك الحج.

كذلك تأثر الجرجانيون المقيمون بالبلدان الإسلامية الأخرى بالحياة الثقافية بمكة المكرمة وأثروا فيها. فالروايات تذكر أن أبا عبدالله الحسين بن عبدالله بن الحسين الجرجاني (ت٣٩٠هـ/٩٩٩م) المقيم في بعض قرى اليمن، كان يحج سنوياً حتى بلغ عدد حجاته خمسين حجة. ولاشك أنه أخذ عن كثير من علماء مكة والمجاورين بها طوال هذه السنين وروى عنهم، ومنهم الإمام الحافظ الثقة الزاهد أبو سعيد أحمد بن زياد بن الأعرابى البصرى فقيه مكة محدث الحرم المجاور به (ت٣٤١هـ/٩٥٢م)، وكان من كبار المحدثين،[٢] فقد تحلق حوله ونهل من فيض علمه، وكان مستمليه.[٣]

---

(١) السهمى ، نفس المصدر ، ص٤٤٧-٤٤٨.

(٢) جاور أبو سعيد بن الأعرابي بالحرم ومات به سنة ٣٤١هـ، وكان قد صحب الجنيد، وعمرو بن عثمان المكي، والثوري وغيرهم، روى عنه الطبراني والخطابي، وصنف كتبا في الطريق. عن ترجمته راجع: القشيرى، الرسالة القشيرية، تحقيق د. عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٧٢ ، ح١ ، ص١٧٦، الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، م٢ ، ح٣ ص٨٥٢، المعين في طبقات المحدثين، رقم ١١٤٧ ص١١١، السيوطى ، طبقات الحفاظ ، رقم ٨٠١ ص٣٥٢ ، ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ، ح ٣ ص ٣٥٤ .

(٣) السهمى ، تاريخ جرجان ، رقم ٢٨٨ ص١٩٩ .

ويتضح من الروايات أن هذا الفقيه الجرجاني قد حدّث بما استفاده من علم ابن الاعرابي بمكة المكرمة، وأن كثيراً من الجرجانيين نهلوا من هذا العلم ونشروه ببلدهم، فالسهمى يذكر أنه أخذ عنه في المسجد الحرام عام ٣٨٧هـ/٩٩٧م روايته عن ابن الأعرابي عن أسانيده عن عبدالله بن مسعود حديث النبي صلى الله عليه وسلم "نضّر الله امرأ سمع منا حديثاً فبلغه، فرب مُبلغ أحفظ من سامع"، حديث صحيح أخرجه ابن ماجه.[١]

ولم تقتصر مساهمة الجرجانيين في الحياة الثقافية بمكة على العلوم الدينية فحسب، بل كان لهم دور بارز في ميادين التاريخ والأنساب. ومن مظاهر مساهمة المؤرخين الجرجانيين في الحياة الثقافية بمكة، اهتمامهم الكبير بالمكيين وأنسابهم وتحريهم الدقة في إثباتها وتوثيقها. وكان القاضي أبو الحسن على بن عبد العزيز المؤرخ الجرجاني مصدراً هاماً لغيره من المؤرخين، ومنهم ابن عبد البر القرطبي الأندلسي فيما يتعلق بأنساب المكيين، فهو ينقل عن مصنف الجرجاني رواية تتعلق بترتيب رقية ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم بين أخواتها رضوان الله عليهن أجمعين. وقد أثنى ابن عبد البر على مصداقية النسّابة الجرجاني، وقرظ تصحيحه لرواية الزبير ومصعب صاحب نسب قريش[٢]

---

(١) ابن ماجه ، باب من بلّغ علماً، سنن ابن ماجه، ح٢ ، رقم٢٣٢ ص٨٥ . و قد أخرج ابن ماجه هذا الحديث بشواهد كثيرة عن بعض الصحابة نذكر منهم: زيد بن ثابت و جبير بن مطعم (ابن ماجه، نفس المصدر ،ح٢ أرقام ٢٣٠ –٢٣١ص٨٤–٨٥) ، السهمى ، نفس المصدر ، ص٢٠٠ ، الألبانى ، صحيح سنن ابن ماجه ، ح١ص٤٤–٤٥ .

(٢) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ق٤، رقم ٣٣٤٣ ص١٨٣٩ ، الفاسى، العقد الثمين، =

مساهمة علماء جرجان في الحياة الثقافية بمكة من خلال تلاميذهم هناك

ولم تكن مساهمة العلماء الجرجانيين في الحياة الثقافية بمكة بشكل مباشر عن طريق وجودهم بها فحسب، بل ساهموا فيها أيضاً بشكل غير مباشر من خلال تلاميذهم من الأقطار الإسلامية الأخرى الذين وفدوا على مكة وحدّثوا بها بما سمعوه من شيوخهم الجرجانيين. فالرواية تذكر أن أبا عبد الله عبد الحميد بن عصام الجرجاني وكان محدثاً ثقة فيما يرويه، قد نزل همدان في عام ٢٥٤هـ/٨٦٨م، وحّدث بها، وأن بعض الهمدانيين تحلقوا حوله وأخذوا منه، ونذكر منهم: أحمد بن محمد بن أويس المقرئ. ويذكر السهمى أن تلاميذ عبد الحميد بن عصام الهمدانيين قد نشروا علمه بمكة وحدثوا برواياته هناك، فأخذها عنهم طلاب العلم المكيون والوافدون عليها. ومنهم محمد بن إبراهيم بن علي الأصبهاني الذي أخذ عنه عبدالله بن محمد بن شبيب بن أحمد الهمداني بمكة روايته عن شيخه عبد الحميد بن عصام عن شيوخه عن ابن جريج المكى عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ليس الكاذب من قال خيراً أو نما خيراً أو نشره"، رواه السهمى ، و أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير بشواهد كثيرة عن طريق الصحابية أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط امرأة عبد الحمن بن عوف(٢٢ رواية) و غيرها.(١)

=

ح٨، رقم ٣٣٤٤ ص٢١٦. وكان على بن عبد العزيز قاضياً بجرجان، وقاضياً للقضاة بالرى، وصنف تاريخا (السهمى، تاريخ جرجان، رقم ٥٦٠ ص٣١٨) ، كما كان أديباً شاعراً (القزوينى، آثار البلاد، ص٣٥٠-٣٥١).

(١) السهمى ، تاريخ جرجان ، رقم ٤٠٦ ص٢٥١-٢٥٢ . و أنظر: الطبرانى ، المعجم الكبير ،ح٢٥، أرقام١٨٣-٢٠٤ ص٧٥-٨٠.

وجدير بالذكر أن هؤلاء الهمدانيين قد حدّثوا تلاميذهم الجرجانيين عند نزولهم همدان بروايات شيخهم عبد الحميد بن عصام ومنها: رواية تلميذه أحمد بن محمد بن أويس المقرئ عنه عن أسانيده عن عطاء بن أبي رباح عن عبدالله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"لعن الله من سب أصحابي"، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير.(١) و للحديث شواهد كثيرة عند معظم أصحاب السنن و الصحاح.(٢)

الجرجانيون والحياة الاجتماعية بمكة

لم تقتصر مساهمة الجرجانيين الذين قدموا إلى مكة حجاجا و طلاب علم في حياتها الثقافية فحسب، بل تفاعلوا أيضا في حياتها الاجتماعية و لم يكونوا بمعزل عنها. و رغم قلة المعلومات المتوفرة فى المصادر المتاحة بين أيدينا حول هذا الموضوع، غير أننا استنطقنا هذا النذر اليسير منها لنضع تصوراً حول طبيعة هذا التفاعل.

كان أهل جرجان – كما سبق أن ذكرنا– من أهل الأخلاق المحمودة و المروءات، كما كانوا موصوفين بالوقار و الستر، و اشتهر عنهم شغفهم بالعلوم و الآداب و بذل الأموال الكثيرة فى تحصيلها ببلادهم و شد الرحال فى طلبها خارجها.(٣) مما يعنى ارتفاع المستوى

---

(١) الطبراني ، المعجم الكبير ، ح١٢ ، رقم١٣٥٨٨ ص٤٣٤ ، السهمى ، نفس المصدر ، ص٢٥٢.

(٢) مسلم ، صحيح مسلم ، ح٧ ص ٨٣–٨٤ ، ١٨٨ ، ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ،ح١، رقم١٦١–١٦٢ ص ٥٧ ، الألبانى ، صحيح سنن ابن ماجه ، ح١ ص٣٢ .

(٣) أنظر ص٩ من هذا البحث .

الاقتصادى و الاجتماعى لكثير ممن وفد منهم إلى مكة. فالفقيه سعيد بن عبد الواسع الدارمى الذى اصطحب ابنه عبد الواسع بن سعيد إلى مكة لأداء فريضة الحج فى سنة نيف و مائتين للهجرة، كان من أثرياء جرجان. فقد ورث عن جده أبى طيبة عيسى بن سليمان الدارمى نعمة ظاهرة من الضياع و العقار، (١) كذلك كان الإمام أبو سعد الإسماعيلى بن الإمام أبى بكر الإسماعيلى الذى وفد مكة لأداء الفريضة و طلب العلم فى عام ٣٨٤ هـ/ ٩٩٤ م، من أثرياء جرجان، إذ كان لديه أموال كثيرة و ضياع و عقار و تجارة واسعة. (٢) و لقد كان بعض علماء جرجان الذين زاروا مكة من التجار مثل أبى القاسم عبيد الله بن أحمد البزاز، (٣) و لاشك أنهم حملوا معهم بعض سلعهم لينفقوا من ريعها خلال إقامتهم هناك. و يؤكد هذا التخريج شهرة محاصيل جرجان و منتجاتها التى كانت تحمل إلى سائر البلاد و منها: العنّاب الجيّد و النِشاب و الظروف و الأطباق الخشبية خاصة المصنوعة من خشب الخَلنج، (٤) و شهرتها كذلك فى صناعة ثياب الأبريسم الحريرية، (٥) و المقانع القزّيات و أكسية الديباج التى كانت تُحمل إلى جميع الآفاق لاسيما اليمن و مكة. (٦) و يذكر المقدسى

---

(١) السهمى، تاريخ جرجان، ص٢٤١، ٢٨٥، ٢٩٢.

(٢) السهمى، تاريخ جرجان، رقم١٧٠ ص١٤٨.

(٣) السهمى، نفس المصدر، رقم٤٦١ ص٢٧٦، الفاسى، العقد الثمين، ج٧، رقم٢٧٦٤ ص٤٨٢.

(٤) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص٢٨٤.

(٥) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص٢٨٤.

(٦) اليعقوبى، كتاب البلدان، ص٤٦، ياقوت الحموى، معجم البلدان، م٢ ص١١٩.

أنه رأى الأكسية الجرجانية و الطبرستانية تباع بمكة بمبالغ مالية كبيرة.(١) و هذا يدل على جودْتها، و الأرباح الكبيرة التى كان يجنيها تجار البز الجرجانيون. و جدير بالذكر أن الإسلام أباح التجارة فى موسم الحج بعد الإفاضة من عرفات، وكانت غير مستحبة قبل ذلك، حتى نزلت إحدى آيات القرآن الكريم وهى قوله تعالى: ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ﴾ الآية.(٢) و كان أحد المسلمين قد سأل الرسول صلى الله عن التجارة فى الحج فلم يُجبه حتى نزلت هذه الآية، فأرسل إليه و قرأ عليه هذه الآية و قال: " لك حج "، رواه البخارى وأبو داود.(٣) و قال عبد الله بن عباس فى تفسير هذه الآية: كان المسلمون يتبايعون فى منى و عرفة و سوق ذى المجاز فى أول الحج، ثم تأثموا التجارة فيها و هم حُرم، فلما نزلت هذه الآية أُمروا بالتجارة إذا أفاضوا من عرفات.(٤)

و نستدل من الروايات أن بعض الحجاج الجرجانيين كانوا يحملون معهم بعض الأطعمة لاسيما التى كانت تشتهر بها جرجان،

---

(١) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص٢٨٢. كى لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٢١. و جدير بالذكر أن أصل بذر أبريسم طبرستان الذى كان يصنع منه ثياب الأبريسم الحريرية التى كانت تُحمل إلى مكة و تباع هناك بمبالغ كبيرة، كان من جرجان. لأنه كان كما يذكر المقدسى أزكى و أتم، و كان لا يصنع من بذور طبرستان حرير بتة (المقدسى، نفس المصدر، ص٢٨٢).

(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة، آية رقم ١٩٧.

(٣) أبو داود، سنن أبى داود باب التجارة فى الحج، ج٢، رقم١٧٣٣ ص١٤٢.

(٤) البخارى، صحيح البخارى، م١، ج٣ ص٦٩، أبو داود، سنن أبى داود، ج٢، رقم١٧٣١ ص١٤١، البيهقى، السنن الكبرى، ج٤، ص٣٣٣-٣٣٤.

ليقتاتوا بها فى طريقهم وفى أثناء إقامتهم بالحجاز، و كان بعضهم لاسيما المتعجلين يعودون بفضلة طعامهم زاداً لطريق عودتهم. فالمقدسى يذكر أن الجرجانيين خاصة أهل بيار قد اشتهروا بصنع نوع من المعجنات يسمى آشروسنة(و كان يُصنع من الدقيق و السمن و يؤكل رطباً) عجيب لا ترى مثله فى الدنيا، و أنه أى – المقدسى – رأى بعض أهل جرجان يحملون منها إلى مكة، ثم ردوه معهم إلى جرجان و لم يتغير طعمه.(١) و من المرجح أنهم حملوا معهم أيضا كميات كبيرة من التين و الزيتون و البلح، حيث كانت جرجان تشتهر بكثرة نخيلها و وفرة محصوله.(٢)

كما كان بعض المجاورين الجرجانيين بمكة من المستورين؛ فرغم انشغالهم بحياة الزهد والانقطاع للعبادة و الاشتغال بالعلم، إلا أنهم قد امتهنوا بعض المهن ليقتاتوا منها و لا يصبحون عالة على المجتمع المكى، و نذكر منهم: أبا عبد الله محمد بن حميد الوراق الذى عمل بالوراقة بمكة.(٣)

و لاشك أن أثرياء الحجاج و طلاب العلم الجرجانيين أنعشوا المجتمع المكى من الناحية الاقتصادية، بما أنفقوه من نفقات كبيرة على مأكلهم و مسكنهم الذى يتناسب مع مكانتهم الاقتصادية و الاجتماعية، لاسيما أن بعضهم قد اصطحبوا أسرهم معهم لأداء

---

(١) المقدسى، نفس المصدر، ص٢٨٤.

(٢) اليعقوبى، كتاب البلدان، ص٤٦، المقدسى، نفسه، ص٢٨٢، ياقوت الحموى، معجم البلدان، م٢ ص١١٩.

(٣) السهمى، تاريخ جرجان، رقم ٨٤٣ ص٤٤٤.

الفريضة و طلب العلم ، و منهم الإمام أبا سعد الإسماعيلى الذى اصطحب معه أولاده الخمسة و مكث بمكة موسمين متتاليين.(١)

و لم يقتصر تفاعل بعض أثرياء جرجان بالمجتمع المكى خلال وجودهم هناك على النفقات الكبيرة لمعيشتهم فحسب، بل كان بعضهم يتصدق على المحاويج و الفقراء بالطعام و الأموال تقرباً إلى الله، كما كانت دورهم هناك عامرة بإخوانهم الجرجانيين الذين رافقوهم فى رحلة الحج و غيرهم من العلماء الوافدين و المكيين. و نستدل على ذلك من وصف السهمى لأخلاق الإمام أبى سعد الإسماعيلى، فكان فيه من الخصال المحمودة التى لا تُحصى كحسن الخلق و طلاقة الوجه و السخاء فى الإطعام و بذل المال، كما يذكر السهمى الذى رافقه فى رحلة الحج أيضا أنه(أى الإمام) لم يتغير عن خلقه الحميد، و أنه كان معظما مبجلاً بمكة و فى جميع البلدان التى مر عليها فى طريق عودته إلى بلده سنة ٣٨٦ هـ/ ٩٩٦ م.(٢)

و مع ذلك فالأمر لا يخلو من وجود بعض الجرجانيين الذين كانوا عالة على المجتمع المكى، لاسيما الحجاج الفقراء و المجاورين من الزهاد و العُبّاد. و تجدر الإشارة إلى أن جرجان كانت تشتهر بكثرة الصوفية الذين كانوا يعرفون بالفقراء.(٣) و مما يؤيد تخريجنا بوجود عدد من الجرجانيين الفقراء و غير القادرين بمكة ، أن أحوال أهل جرجان الاقتصادية و الاجتماعية قد تبدلت و تغيرت لاسيما فى

---

(١) السهمى ، تاريخ جرجان ، ص١٤٧–١٤٨ . و راجع أيضا ص٢٣ من هذا البحث .

(٢) السهمى ، تاريخ جرجان ، ص١٤٧ .

(٣) القزوينى ، آثار البلاد ، ص٣٤٩ .

النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى ، بسبب هلاك أرزاقهم لمصادرة بعض الحكام لأملاكهم، وانعدام الأمن الذى مكّن جند الترك و قطاع الطرق من الإغارة عليهم و سلب بضائعهم و سلعهم .[1] و قد انصرف هؤلاء عن الكسب و العمل لينقطعوا للعبادة، فشاع بينهم الفقر و العوز، و عاش معظمهم على الصدقات و الأُعطيات التى كانت تأتيهم من الحجاج الأثرياء و أبناء البيوتات الإسلامية الحاكمة خاصة فى مواسم الحج. فالروايات تذكر أن أبا بكر محمد بن على المادرائى(ت ٣٤٥ هـ/٩٥٦م)، كان يحمل معه إلى الحجاز– و كان كثير التردد عليه لأداء الفريضة -- مبالغ مالية كبيرة و كميات ضخمة من الطعام و الحبوب و الحلوى و الثياب ليوزعها هناك، و كان لا ينصرف عن الحجاز كما يقول ابن سعيد المغربى إلا و جميع منْ فيه مستورون.[2] و عندما أدت جميلة بنت ناصر الدولة فريضة الحج فى عام ٣٦٦ هـ/ ٩٧٧ م، أنفقت أموالاً طائلة فى مجاورى مكة، و أمرت بكسوتهم جميعا تقربا إلى الله تعالى

---

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٣٢٤ . و من صور نكبات أهل جرجان الاقتصادية و الاجتماعية ؛ أن جند الأكراد و غيرهم من اللصوص و قطاع الطرق كانوا يغيرون عليهم و يقطعون المسالك و الطرق التجارية عليهم ، و قد هاجموا بضائع الفقيه أبى سعد الإسماعيلى و تجارته التى كانت تأتيه من البلدان المجاورة كأصبهان و خراسان. كما آمر شمس المعالى قابوس بن وشمكير صاحب جرجان بسجنه و مصادرة جميع ضياعه (السهمى ، نفس المصدر ، رقم١٧٠ ص١٤٨) ، كذلك نكب الأمير نفسه كل من أبى نصر محمد الإسماعيلى و أبى بشر الفضل بن محمد حفيد أبى بكر الإسماعيلى بعزلهما عن مناصبهما ، و سجنهما و صادر أملاكهما (السهمى ، نفسه ، تراجم ٢٨٦ ص١٩٨–١٩٩ ٨٨٣ ص٣٥٢ ، ٦٠٨ ص٣٣٣) .

(٢) ابن سعيد المغربى ، المغرب فى حلى المغرب ،طبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، ص٣٥٠–٣٥٢ ، ص٣٥٠ ، ٣٥٢ . الزيلعى ، مكة و علاقاتها الخارجية ، ص١٤٩ .

و ابتغاء مرضاتـــه.[(١)]

و مـن المـرجح أن الجرجـانيين المجـاورين فـى مكـة مـن الزهـاد و العبـاد و المشتغلين بـالعلم هنـاك، قـد اسـتفادوا مثـل غيرهـم مـن المجـاورين مـن النفقـات العامـة للدولـة العباسـية، فـابن فهـد يـذكر أن علـى بـن عيسى بـن الجـراح الـوزير فـى أيـام الخليفـة المقتـدر بـالله العباسـى رتـب منـذ عـام ٣٠٦ هـ/ ٩٢٠ م، بـأن يُحمـل إلى الحـرمين الـشريفين و المجـاورين بهمـا و أربـاب الوظـائف بمكـة و المدينـة فـى كـل عـام ٣٠٠ ألـف دينـار.[(٢)] و نـستدل مـن إحـدى الروايـات أن المجـاورين بمكـة كـانوا يـستفيدون أيـضا مـن كميـات الـورق و الأدوات الكتابيـة الـضخمة التـى كانت توفرها لهم الحكومة.[(٣)]

و رغـم عـدم وجـود أدلـة علـى أمـاكن إقامـة الحجـاج و المجـاورين الجرجـانيين الفقـراء، و الـصوفية فـى مكـة. غـير أننـا نـرجح أن بعـضهم لم يـستطع كـراء منـازل أو ربـاع لإقـامتهم هنـاك، و أنهـم أصـبحوا بـلا مـأوى. ولعلـهم أقـاموا فـى الأربطـة التـى أقامهـا أهـل الخـير و أوقفوهـا لـسكنى الحجـاج الفقـراء و المجـاورين الـذين لا يجـدون مـأوى لهـم فـى مكـة. ويـدعم هـذا التخـريج أن زهـاد جرجـان و متـصوفيها قـد اعتـادوا سـكنى الأربطـة ببلـدهم و الإقامـة فيهـا مثـل ربـاط دهـستان.[(٤)] و مـن

---

(١) ابن الجوزى، المنتظم فى تاريخ الملوك و الأمم، حيد آباد، ١٣٥٩ هـ، ج٧ ص٨٤، الزيلعى، نفس المرجع، ١٤٩.

(٢) ابن فهد، اتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم محمد شلتوت، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٨٣ م، (حوادث سنة ٣٠٦ هـ) ج٢ ص٣٦٥، الزيلعى، نفسه، ص١٥٠.

(٣) الزيلعى نقلا عن البكرى صاحب المسالك و الممالك، نفسه، ١٥٠.

(٤) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص٢٨٢ س.

الأربطة بمكة فى الفترة موضوع الدراسة رباط السدرة و كان فى الأساس دار القوارير التى شيدها حماد البربرى للخليفة هارون الرشيد(١٧٠–١٩٣ هـ/ ٧٨٦–٨٠٩ م) ،(١) و يقع هذا الرباط بالجانب الشرقى من المسجد الحرام على يسار الداخل إلى المسجد من باب بنى شيبة، و كان هذا الرباط موقوفاً كما يذكر الإمام الفاسى منذ عام ٤٠٠ هـ/ ١٠١٠م.(٢)

و جدير بالذكر أن أهل جرجان كانوا يشتهرون بالحذق و البراعة فى عمل الطوب النيئ(الطين) و البناء به، " حتى لا ترى رئيساً و لا عالماً إلا و له فيه حذق، بعضهم يبنى خُصاً أو يرفع حائطاً، لهم هندسة و فطنة فى عمل البناء من غير تعلُم."(٣) و لعل هذا يدفعنا إلى ترجيح قيام بعض الصوفية و الزهاد الجرجانيين بمكة ممن لا مأوى لهم، ببناء أكواخ من الطين وعُرش(هى بيوت من عيدان منصوبة و يُظلل عليها) فى الأودية و الشعاب لإقامتهم وعبادتهم.

و كان للجرجانيين مثل غيرهم من المسلمين الذين استقروا بمكة و جاوروا بها، تأثير فى حياتها الاجتماعية من خلال ظاهرة التزاوج بينهم وبين المكيات، حيث تركت هذه الظاهرة بصماتها الواضحة على المجتمع المكي . و جدير بالذكر أنه قد وردت فى المصادر أقوال عن بعض الصحابة فى الترغيب فى نكاح نساء أهل

---

(١) الأزرقى ، تاريخ مكة ، ح٢ ص٧٥ ، الفاكهى ، أخبار مكة ،م٢ ،ح٤ ص٩٩ .س

(٢) الفاسى ، شفاء الغرام ، ح١ ص٣٣٠ ، الزيلعى ، نفسه ، ص١٥٠ . و عن دار القوارير أنظر: الفاكهى، أخبار مكة ،ح٢ ص١٦٦ ،١٨٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٦ ،ح٣ ص٢٨٧ ، ٣٠٠ ، ح٤ ص٩٩.

(٣) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص٢٨٢ .

مكة؛ فابن عمر يروى عن أبيه – رضى الله عنهما– أنه قال:" انكحوا نساء أهل مكة."[١] وذلك لفضلهن على ما يبدو، و لما كن يتمتعن به من خصال حسنة و أخلاق حميدة. ولعل هذا الترغيب فى نكاح المكيات كان وراء إقدام الغرباء على الاقتران بهن، بالإضافة إلى الأسباب الأخرى التى تتعلق بطول فترة إقامتهم بمكة، و الرغبة فى تحصين فروجهم. و تحتفظ المصادر بأمثلة متعددة لزيجات بين الغرباء وخاصة المجاورين وبين المكيات، فتذكر أن عدداً منهم تزوجوا بمكة، وكان لهم بها أهل وولد وأموال، وكان بعضهم خاصة الأثرياء يبالغون في تلك الزيجات حتى إن أحدهم تزوج ستين امرأة أثناء إقامته بمكة على مدار نصف قرن.[٢]

ويذكر السهمى أن أبا عبدالله الحسين بن الحسين بن عبدالله الجرجاني المقيم باليمن والذي كان يحج سنوياً، كان له بمكة أهل وأولاد وأموال.[٣] و يبدو أن هذا الجرجانى كان يمارس بعض الأعمال– لعلها التجارة بين اليمن و مكة– التى كانت تدر عليه هذه الأموال الكثيرة، و أن أولاده بمكة كانوا يراعونها طوال غيابه باليمن و يُنمونها. وكان لأبي القاسم الخيمي عبد الرحمن بن محمد بن الحسين الجرجاني المجاور بمكة ابن يسمى عبد العزيز، وكان على ما يبدو من رواية السهمى بمكة وباليمن.[٤] ومن المرجح أن هذا

---

(١) الفاكهى، أخبار مكة، م٢، ح ٣ رقم١٦٩٣ ص٥ .

(٢) الجعدى، طبقات فقهاء اليمن، ص٩٢، الفاسي المكي، العقد الثمين، ح٧، ص٤٤٤، الزيلعى، مكة وعلاقاتها الخارجية، ص١٥٠.

(٣) السهمى، تاريخ جرجان، رقم ٢٨٨ ص١٩٩ .

(٤) السهمى، نفس المصدر، رقم ٤٢٤ ص٢٦١.

المجاور اقترن بإحدى النساء بمكة وأنجب منها هذا الولد. يؤيد هذا التخريج انتشار ظاهرة التزاوج بين المجاورين والمكيات، كذلك طول إقامته بمكة التي دفعته للزواج ليحصن فرجه.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض أبناء العلماء الجرجانيين وأحفادهم قد نزلوا بمكة واستوطنوها، فالسهمي يذكر أن بعض أبناء وأحفاد الفقيه أبي القاسم عبدالله بن أحمد بن الجرجاني (ت٣٧٥هـ/٩٨٥م) نزيل البصرة، قد استقروا بمكة وسكنوها.(١) ولاشك أنهم صاروا جزءا من نسيج المجتمع المكى و تأثروا به و أثروا فيه، لطول إقامتهم هناك.

***

الخاتمة

استعرضنا في هذه الدراسة صلة الجرجانيين بالحياة الثقافية والاجتماعية بمكة المكرمة من الفتح الإسلامي حتى بدايات القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. وأمكن تأكيد بعض الحقائق من خلال تحليل ومناقشة النصوص التي وردت بالمصادر، ومن أهمها:

(١) أن جرجان إحدى مناطق إقليم الديلم سميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها جرجان بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام. وأنها لم تكن عند الفتح الإسلامي الأول لها (٢٩، ١٨هـ/٦٤٩، ٦٣٩م) مدينة، وإنما كانت منطقة جبلية يحيط بها حائط من آجر.

(١) السهمى، نفسه، رقم ٤٥١، ص٢٧٣.

(٢) أن الفتح الإسلامي الأول لجرجان لم يكن مستقرا، وأن أهلها وكانوا من الترك والفرس ارتدوا عن الإسلام عدا قلة منهم، وامتنعوا عن دفع الخراج حتى فتحها يزيد بن المهلب من جديد في عام ٩٨هـ/٧١٦م، فاستقرت أحوالها وانضوت نهائيا تحت سلطان الدولة العربية الإسلامية.

(٣) أن جرجان أصبحت بعد تمصيرها على يد يزيد بن المهلب في عام ٩٨هـ/٧١٦م جانبان (جرجان وبكراباذ)، وأنها كانت تضم مدن و أقاليم كثيرة مما جعلها أكبر مدينة في نواحيها، وأنه لم يكن في المشرق بعد العراق والرى مدينة أخصب منها.

(٤) أن بعض الصحابة والتابعين قد دخلوا جرجان بعد الفتح الإسلامي، وساهموا بفعالية في نشر الإسلام بين أهلها الذين أقبلوا عليه واعتنقوه وأظهروا حماساً كبيراً في نصرته.

(٥) أن العناصر الإسلامية التي شاركت في فتح جرجان عام ٩٨هـ/٧١٦م واستقرت بها، كانت من أهل الشام والجزيرة والكوفة والبصرة وخراسان، بالإضافة إلى جماعات من الأزد وقريش والأنصار. وقد أمكن التوصل إلى أسماء بعض القبائل العربية التي هاجرت إليها و استوطنتها وتناسلت بها، ومنها: تميم، وثقيف، وأسد، وخثعم، وهمدان، ومراد، وقضاعة، وسنان.

(٦) أن أكثر أهل السنة والجماعة بجرجان كانوا على مذهبي الإمامين أبي حنيفة النعمان والشافعي، وأن الشيعة منهم كانوا على المذهب الزيدي، كما كان للفرق الدينية بها مثل المرجئة والكرامية والنجّارية أتباع كثيرون.

(٧) أن الجرجانيين قد اتصفوا بمكارم الأخلاق والمرؤة، وعرفوا بالكرم والسخاء، وأنهم شغفوا بالعلوم والآداب وبذلوا الأموال في سبيل تحصيلها من مصادرها بمراكز الثقافة الإسلامية الأخرى.

(٨) أنهم تأثروا بعمق بالحياة الثقافية بمكة وأثروا فيها، وكانت مساهمتهم هذه عن طريق مجاورتهم بها، وزيارتهم لها، لأداء مناسك الحج والعمرة. فقد كانوا يتصلون بعلمائها والمجاورين بها والوافدين عليها، وينهلون من فيض علمهم. كذلك حدّثوا بها، فتحلق حولهم طلاب العلم المكيين وغيرهم من المجاورين والوافدين، مما ساهم في تشكيل ثقافتهم، ووصول بعضهم إلى مكانة سامية في الفقه الإسلامي.

(٩) أن جرجان اشتهرت بكثرة بيوت العلم، وأن أرباب هذه البيوتات كانوا يحرصون على تخريج أولادهم في العلوم تخريجاً حسناً، فكانوا يصطحبونهم معهم في رحلاتهم العلمية إلى مراكز الثقافة الإسلامية ومنها مكة، ليتتلمذوا على شيوخها، ومن أشهر هذه البيوتات التي بلغ أفرادها مكانة مرموقة في الفقه الإسلامي بنو الدارمي، وبنو عدى، وبنو الإسماعيلي، وبنو السهمى.

(١٠) أن الجرجانيين الذين نهلوا من الثقافة المكية قد أفادوا تلاميذهم بجرجان وغيرها من الأمصار الإسلامية الأخرى بهذه العلوم، مما ساهم على نشرها في الآفاق.

(١١) أن الجرجانيين المقيمين بالبلدان الإسلامية الأخرى قد تأثروا أيضاً بالثقافة المكية عند زيارتهم لها، وأنهم حدثوا طلابهم هناك بهذه العلوم.

(١٢) أن بعض العلماء الجرجانيين أثروا في الحياة الثقافية بمكة عن طريق تلاميذهم من الأقطار الإسلامية الأخرى الذين حدّثوا بمكة بعلوم الجرجانيين.

(١٣) أن بعض الحجاج و طلاب العلم الجرجانيين الأثرياء قد أنعشوا المجتمع المكى اقتصادياً و اجتماعياً بما كانوا ينفقونه من أموال أثناء معيشتهم هناك، و بما كانوا يُخرجونه من صدقات و أعطيات لفقراء المجاورين و الزهاد و الصوفية.

(١٤) أن بعض الجرجانيين من المجاورين و الزهاد و الصوفية الذين انصرفوا عن الكسب و العمل و تفرّغوا للعبادة و انقطعوا لها، كانوا يعيشون عالة على المجتمع المكى. و كانوا كغيرهم من أشباههم يعيشون على الصدقات و الأعطيات التى كانوا يحصلون عليها من الأثرياء لاسيما فى مواسم الحج، وكذلك من النفقات العامة للدولة.

(١٥) أن بعض الجرجانيين أثّروا في الحياة الاجتماعية بمكة من خلال ظاهرة التزاوج بينهم وبين أهلها، وأن بعضهم كان لهم بمكة أهل وأولاد وأموال. كما أكد البحث استقرار بعض أبناء العلماء الجرجانيين وأحفادهم بها، وتأثيرهم في المجتمع المكي.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية:

(١) البخارى (الإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم) ت ٢٥٦ هـ/ ٨٧٠ م :

- صحيح البخارى ، طبعة أحمد محمد شاكر ، دار الجيل (مصورة عن طبعة دار الحديث بالقاهرة)، بيروت، بدون تاريخ

(٢) البغدادي (الإمام عبد القاهر بن طاهر) ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م:

- الفرق بين الفرق، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٧م.

(٣) البكرى الشافعى (محمد بن محمد بن عبد الرحمن) ت ٩٥٢ هـ/ ١٥٤٦ م :

- الدرة المكللة فى فتح مكة المشرفة المبجلة ، تقديم محمد حجازى ، الطبعة الأولى ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .

(٤) البلاذرى (أبو العباس أحمد بن يحيى) ت ٢٠٧ هـ/ ٨٢٢ م :

- فتوح البلدان ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع و عمر أنيس الطباع ، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر ، بيروت ، ١٩٨٧ م .

(٥) البيهقى (إمام المحدثين الحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين بن على) ت ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٦ م:

- السنن الكبرى ، طبعة دار الفكر (مصورة عن طبعة حيدر آباد بالهند) ، بيروت ، بدون تاريخ .

(٦)———: شعب الإيمان ، تحقيق مختار أحمد الندوى ، مكتبة الرشد للنشر و التوزيع ، الرياض ، ٢٠٠٣ م .

(٧) الترمذى (الإمام أبو عيسى محمد بن سورة) ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢ م:

- الجامع الصحيح و هو جامع الترمذى ، طبعة أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت، بدون تاريخ .
- الجامع الصحيح و هو سنن الترمذى، الجزء الرابع، تحقيق إبراهيم عطوه عوض، دار إحياء التراث العربى، القاهرة، ١٩٦٢ م.

(٨) ابن تيمية (شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم) ت ٧٢٨هـ/١٣٣١م:
- مسألة في المرابطة بالثغور أم المجاورة بمكة شرفها الله ؟ تحقيق أشرف عبد المقصود ، الطبعة الأولى ، مكتبة أضواء السلف ، الرياض ، ٢٠٠٢م.

(٩) ابن الأثير (أبو الحسن على بن محمد) ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٣ م :
- الكامل فى التاريخ ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، ١٩٨٢ م .

(١٠) الجعدى (عمر بن علي بن سمرة) ت ٥٤٧هـ/١١٥٠م.
- طبقات فقهاء اليمن، تحقيق فؤاد سيد، دار القلم، بيروت، ١٩٥٧م.

(١١) ابن الجوزى (عبد الرحمن بن على) ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠١ م :
المنتظم فى تاريخ الملوك و الأمم ، طبعة حيدر آباد الدكن ، ١٣٥٩ هـ .

(١٢) الحاكم النيسابورى (محمد بن عبد الله):المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٠ م .

(١٣) ابن حجر العسقلاني (الإمام أبي الفضل أحمد بن علي) ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م:
- تهذيب التهذيب، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٢٦هـ.

(١٤)ـــــــــــــ: تقريب التهذيب، دراسة وتحقيق

مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

(١٥) ابن حزم الأندلسى (على بن أحمد بن سعيد) ت ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٧ م:

– الفصل فى الملل و الأهواء و النحل، تحقيق د. محمد نصر و د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٥ م.

(١٦)ابن حنبل (الأمام أحمد) ت ٢٤١ هـ/ ٨٥٥ م :

– مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط و آخرون، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣ م.

(١٧) ابن حوقل (أبو القاسم) ت٣٨٠هـ/٩٩٠م.

– صورة الأرض، بيروت، ١٩٨٥م.

(١٨) الخطابى (الإمام أبو سليمان حمد بن محمد) ت ٣٣٨ هـ/ ٩٤٩ م:

أعلام الحديث فى شرح صحيح البخارى، تحقيق و دراسة د. محمد بن سعيد بن عبد الرحمن آل سعود، الطبعة الأولى، جامعة أم القرى، مركز إحياء التراث، مكة، ١٩٨٨ م.

(١٩) ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) ت ٣٠٠ هـ/ ٩١٢ م :

– المسالك و الممالك / مكتبة المثنى ، بغداد ، بدون تاريخ .

(٢٠) الخطيب البغدادي (الحافظ أبو بكر أحمد بن علي) ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م.

تاريخ بغداد ، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، بدون تاريخ.

(٢١) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦:

العبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٦

(٢٢) ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر) ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م.

– وفيات الأعيان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

(٢٣) خليفة بن خياط (أبو عمر الملقب بـ شبَّاب) ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م:

تاريخ خليفة بن خياط، راجعه وضبطه ووثقه ووضع حواشيه وفهرسه د. مصطفى نجيب فواز وزميلته، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٨٥م.

(٢٤) ــــــــــ: كتاب الطبقات، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٦٧م.

(٢٥) الدارقطني (الحافظ أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد) ت٣٨٥هـ/ ٩٩٥ م :

– ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته عن الثقات عند البخاري ومسلم، دراسة وتحقيق بوران الضناوي وزميلها ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٩٨٥م.

(٢٦) ــــــــــ: سنن الدارقطنى ، عُنى بتصحيحه السيد عبد الله هاشم يمانى المدنى ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٩٦ م .

(٢٧) الذهبي (الإمام شمس الدين) ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م:

– تذكرة الحفاظ، بعناية عبد الرحمن بن يحيى المعلمى، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

(٢٨) ــــــــــ: المعين في طبقات المحدثين، تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، الطبعة الأولى، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٤م.

(٢٩) الرازي (الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر) من علماء ق٧هـ/١٣م:

– مختار الصحاح، دار التنوير العربي، بيروت، بدون تاريخ.

(٣٠) الرازي (الإمام فخر الدين محمد بن عمر) ت ٦٠٦هـ/١٢١٠م:

- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ضبط وتقديم وتعليق، محمد المعتصم بالله البغدادي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦م.

(٣١) الزرقاني (الإمام محمد بن عبد الباقي) ت ١١٢٢ هـ /١٧١٠ م:

- مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق د. محمد بن لطفي الصبّاغ، الطبعة الثانية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٩٩٥ م.

(٣٢) الأزرقي (أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد) ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٥م:

- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، الطبعة الثانية، مكة، ١٩٦٥ م.

(٣٣) السبكي (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي) ت٧٧١هـ /١٣٦٩م:

- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

(٣٤) الأسدي المكي (الشيخ أحمد بن محمد) :

- إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام، تحقيق د. الحافظ غلام مصطفى، الطبعة الأولى، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ١٩٨٥م.

(٣٥) السهمي (أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم القرشي) ت٤٢٧هـ/١٠٣٩م:

- تاريخ جرجان، نشر تحت إشراف د. محمد عبد المعيد خان، الطبعة الرابعة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧م.

(٣٦) السيوطي (الإمام جلال الدين عبد الرحمن) ت ٩١١هـ/١٥٠٥م:

طبقات الحفاظ، تحقيق د. علي محمد عمر، الطبعة الأولى، مكتبة

وهبة، القاهرة، ١٩٧٣م.
(٣٧) ———: تحذير الخواص من أكاذيب القُصّاص ، تحقيق د. محمد بن لطفى الصبّاغ، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامى، بيروت، ١٩٨٤ م.
(٣٨) ابن شاهين (أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان) ت٣٨٥هـ/٩٩٥م:
- تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم، تحقيق د. عبد المعطى أمين قلعجي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.
(٣٩) الأشعرى (أبو الحسن):
مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ١٩٥٠ م.
(٤٠) الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم) ت٥٤٨هـ/١١٥١م:
- الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلانى، طبعة القاهرة ، ١٩٤٨م.
(٤١) شيخ الربوة (شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي):
- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م.
(٤٢) الصنعانى (أبو بكر عبد الرزاق بن همام) ت٢١١هـ/ ٨٢٦ م :
- المصنف ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى ، الطبعة الثانية ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، ١٩٨٣ م .
(٤٣) الطبرانى (الحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد) ت ٣٦٠ هـ/ ٩٧٠ م:
- المعجم الوسيط، حققه أيمن صالح إسماعيل و زميله، الطبعة الأولى، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٦ م.
- (٤٤) ———: المعجم الكبير ، تحقيق حمدى بن عبد المجيد السلفى ، الطبعة الثانية ، مكتبة العلوم و الحكم ، الموصل ،

١٩٨٣ م .
(٤٥) الطبري (الإمام أبو جعفر محمد بن جرير) ت ٣١٠هـ/٩٢٢م:
- تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.
(٤٦) ابن عبد البر القرطبي (أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد) ت: ٤٦٣هـ/١٠٧١م:
الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق على محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٠م.
(٤٧) العقيلى المكى (أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد) ت ٣٢٢هـ/ ٩٣٤ م :
الضعفاء الكبير ، حققه و وثّقه عبد المعطى أمين قلعجى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٤م.
(٤٨) ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد) ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م:
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مكتبة المقدسي، القاهرة، ١٣٥٠هـ.
(٤٩) الفاكهي (الإمام أبو عبدالله محمد بن إسحاق) توفي بين سنتي ٢٧٢-٢٧٩هـ/٨٨٥-٨٩٢ م :
- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، دراسة وتحقيق د. عبد الملك بن عبدالله بن دهيش، الطبعة الثانية، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٩٩٤م.
(٥٠) الفاسى المكي (الإمام أبو الطيب تقى الدين محمد بن أحمد بن علي) ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م:
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون

تاريخ.
(٥١) ―――――――: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ح١ تحقيق محمد حامد الفقى، القاهرة، ١٩٥٧م، الأجزاء ٢-٧ تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، ١٩٦٢-١٩٦٧م، ح٨ تحقيق محمود محمد الطناحي، القاهرة، ١٩٦٩م.
(٥٢) ―――――――: الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق د. علي عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠١م.
(٥٣) ابن الفقيه الهمداني (أبو بكر أحمد بن محمد) ت٢٩٠هـ/٩٠٣م:
- مختصر كتاب البلدان، طبعة دار صادر، بيروت، بدون تاريخ (مصورة عن طبعة ليدن، ١٣٠٢هـ).
(٥٤) ابن فهد المكى (النجم عمر بن محمد بن محمد بن محمد) ت ٨٨٥ هـ/ ١٤٨٠ م :
إتحاف الورى بأخبار أم القرى ،تحقيق فهيم محمد شلتوت ، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجى، القاهرة ، ١٩٨٣ م .
(٥٥) ―――――――: الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، دراسة وتحقيق د. عبد الملك بن عبدالله بن دهيش، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ٢٠٠٠م.
- (٥٦) القرآن الكريم .
(٥٧) القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود) ت ٦٨٢هـ/١٢٨٢م:
- آثار البلاد وأخبار العباد ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤م.
(٥٨) القشيرى (الإمام أبو القاسم عبد الكريم) ت٤٦٥ هـ/ ١٠٧٢ م :
- الرسالة القشيرية ، تحقيق د. عبد الحليم محمود و زميله ، دار

الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .

(٥٩) ابن كثير (عماد الدين إسماعيل بن عمر) ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م:

–طبقات الشافعية، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الطبعة الأولى، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٤م.

(٦٠) ابن ماجـــه (الإمام الحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى) ت ٢٧٥ هـ/٨٨٨ م :

السنن ، تحقيق محمود فؤاد عبد الباقى ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٥٤ م .

(٦١) المحبى (ابو العباس احمد بن عبدالله):

– القرى لقاصد أم القرى، عناية الشيخ مصطفى السقا، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٣٩٠هـ.

(٦٢) مسلم (الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى) ت ٢٦١ هـ/ ٨٧٤ م :

صحيـــح مسلم، طبعة دار البيان العربى (مصورة من طبعة استانبول ١٣٢٩ هـ) القاهرة ، ١٣٨٣ هـ .

(٦٣) المقدسى (أبو عبدالله محمد بن أحمد البشارى) ت ٣٧٨هـ/٩٨٨م:

– أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٧م.

(٦٤) المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١ م:

– إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء و الأموال و الحفدة و المتاع، طبعة الأستاذ محمود محمد شاكر، القاهرة، ١٩٤١ م.

(٦٥) النسائى (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب) ت ٣٠٣ هـ/٩١٥م.

– سنن النسائى المجتبى، الطبعة الأولى، مكتبة و مطبعة الحلبى،

القاهرة، ١٩٦٤ م.

(٦٦) النوبختى:

فرق الشيعة، صححه وعلق عليه محمد صادق الأبجر، النجف، ١٩٣٦م.

(٦٧) الواقدى (محمد بن عمر) ت ٢٠٧ هـ/ ٨٢٢ م :

– كتاب المغازى ، تحقيق ماسدن جوتس ، الطبعة الثالثة ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٤ م .

(٦٨) ابن هشام (أبو محمد عبد الملك) ت ٢١٣ هـ/ ٨٢٨ م:

– السيرة النبوية، قدم لها طه عبد الرؤف سعد، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.

(٦٩) الهيثمى (أبو بكر نور الدين) ت ٨٠٧ هـ/ ١٤٠٤ م :

– مجمع الزوائد و منبع الفوائد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .

(٧٠) ياقوت الحموى (الإمام شهاب الدين أبو عبد الله) ت٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩ م:

– معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

(٧١) اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب) ت ٢٧٨هـ/ ٨٩١م:

– كتاب البلدان، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨ م .

ثانياً : المراجع العربية الحديثة والمعربة

(١) إقبال (عباس): تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة د. محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠م.

(٢) ———————: تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة د.عبد الوهاب علّوب، المجمع الثقافي بأبوظبي، أبو ظبي، ٢٠٠٠م.

(٣) بارتولد (فاسيلي): تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، نقله عن الروسية صلاح الدين هاشم، الطبعة الأولى، الكويت، ١٩٨١م.

(٤) زغلول (أبو هاجر محمد السعيد بن بسيونى) : موسوعة أطراف الحديث النبوى الشريف ، الطبعة الأولى ، عالم التراث ، بيروت ، ١٩٨٩ م .

(٥) أبو زهرة (الإمام محمد) : تاريخ المذاهب الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

(٦) الزيلعى (د. أحمد عمر) : مكة و علاقاتها الخارجية (٣٠١–٤٨٧ هـ) ، الطبعة الأولى ، عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الرياض ، الرياض ، ١٩٨١ م .

(٧) الزين (الشيخ محمد حسين) : الشيعة فى التاريخ ، الطبعة الثانية ، دار الآثار للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

(٨) سرور (د. محمد جمال الدين): قيام الدولة العربية الإسلامية فى حياة محمد صلى الله عليه و سلم، دار الفكر العربى، القاهرة، بدون تاريخ.

(٩) أبو سيف (د.فتحى): خراسان تاريخها السياسي والحضارى من سقوط الحكم الطاهرى إلى بداية الحكم الغزنوى، القاهرة، ١٩٩٥م.

(١٠) الشريف (د. أحمد إبراهيم)، ومحمود (د.حسن أحمد): العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٥م.

(١١) الشريف (د. أحمد إبراهيم) : مكة و المدينة فى الجاهلية و عهد الرسول ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

(١٢) صادق(حسن): جذور الفتنة فى الفرق الإسلامية، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩٣م .

(١٣) عبد الرءوف (د.عصام): الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، الطبعة

الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩م.
(١٤) عمارة (د.محمد): الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤ م.
(١٥) العمرى (د. أكرم ضياء): بحوث في تاريخ السنة المشرفة، الطبعة الخامسة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٩٩٤م.
(١٦)———: السيرة النبوية الصحيحة ، الطبعة الثالثة ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٩٩٨ م .
(١٧) فامبري: تاريخ بخاري، ترجمة د. أحمد محمود الشريف ، مراجعة د. يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٦١م.
(١٨) الفيومى (د. محمد إبراهيم): الخوارج و المُرجئة، الطبعة الأولى، دار الفكر العربى، القاهرة، ٢٠٠٣ م.
(١٩) قلعه جى (محمد رواس): موسوعة فقه سفيان الثورى ، الطبعة الثانية، دار النفاس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٠م.
(٢٠) ماجد (د. عبد المنعم): التاريخ السياسي للدولة العربية (عصر الخلفاء الأمويين)، الطبعة الثامنة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م.
(٢١) مصطفى (إبراهيم) وآخرون: المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية ، استانبول ، بدون تاريخ.
(٢٢) المطاهرى (تقي الدين الندوى): علم رجال الحديث، الطبعة الأولى، دبي، ١٩٨٦م.
(٢٣)الألبانى (محمد ناصر): صحيح سنن ابن ماجه، الطبعة الأولى، مكتب التربية العربى لدول الخليج، الرياض، بدون تاريخ.
(٢٤)———: صحيح سنن النسائى باختصار السند، مكتب



التربية العربى لدول الخليج العربى، الرياض، ١٩٨٨ م.

(٢٥) لسترنج (كى): بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة كوركيس عواد وزميله، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

(٢٦) لين بول (ستانلى): طبقات سلاطين الإسلام، ترجمه عن الفارسية مكى طاهر، تحقيق على البصرى، القاهرة، ١٩٨٦.

المراجع الأجنبية ومواقع الإنترنت :

- **Encyclopedie de l' Islam, (art Djurdjan), ٢ed., Paris, ١٩٥٤.**
- www. Kalemat. Org.
- Www. Rafed. Net/mawsoah/F١٤.html.
-
-